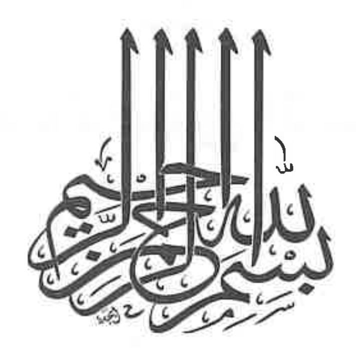
بركةُ الكلمات
في
مناقب بعض السادات

للشيخ: محمد عاصم ابن الشَّيْخ محمد علاء الدين
ابن الشيخ فتح الله الفاروقيِّ[1] الوَرْقَانسيُّ
قدس الله أسرارهم العليَّة
[ونفعنا الله ببركاتهم وهممهم][2]

(١) قوله: (الفاروقي) سقط من (ب)
(٢) ما بين معقوفتين من (ب).





وَمِنْهُ الْعَوْنُ

الحمدُ لله حمداً يوافي نعمه، ويكافي مزيدَه، ربَّنا لك الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، أفضلَ صلواتك، عددَ معلوماتك، وبارِكْ وسلِّمْ كذلك.

وبعدُ: فقال محمد عاصم بن الشيخ الأجلّ مولانا الشيخ محمد علاء الدين بن الشيخ الأكبر مولانا الشيخ فتح الله الورقانسيُّ العُمريُّ الشافعيُّ النقشبنديُّ قدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمَا الْعَلِيَّةَ الآتي ذكرهما: أردتُ منذ زمانٍ أن أكتب بعضاً يتيسَّر لي، وأعلمُ من أحوال الآتين ذكرهم قدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمْ، فالآن وُفِّقْتُ لذلك، فأقول:

قال اللهُ تبارك وتعالى في كلامه المحكم البيِّن: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾(١) صدق الله العظيم، وبلَّغ رسولُه النبيُّ العربيُّ الكريمُ ﷺ. وكان رسولُ الله ﷺ يقصُّ على الصَّحابة رضوان الله

(١) سورة هود: ١١/ ١٢٠.

تعالى عليهم أجمعين قصصَ بني إسرائيل ليثبِّت به فؤادهم، وقال رئيسُ الطَّائفة جُنَيْدٌ البغداديُّ رضِي الله عنْه وَقُدِّس سرُّه: حكاياتُ الصَّالحين جندٌ من جنود الله تعالى. واشتهر من كُبَراء ساداتنا قَدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّة أنَّ بحكاية السَّادات تزداد المحبَّةُ، وبحكايات[1] الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يقوى الإيمانُ.

فعلم من تلك المذكورات: أنَّ في نقل أحوال المتقدِّمين من الصُّلحاء إلى مسامع المتأخِّرين وقعًا عظيمًا، ونفعًا قويمًا، فلذلك امتثلنا بأمرهم ضِمْنًا لنا، وكتبنا وُرَيْقاتٍ حسب علمنا، وقدرَ طاقتنا في [٣] تلك المشارب، وإيفاء أولئك المآرب، كيلا تضيع من البَيْن آثارُهم، ولا يُنسى رأسًا أحوالُهم، ولينتفعَ بها من يحبُّهم من أصحَّاء القلوب وأتباعهم رضوان الله تعالى عليهم، ونحتظِي بذكرها عن أفضالهم وهممهم وبركاتهم، ونفوزَ بدعواتٍ من يدعو لمن كان سببًا لجمع منتقباتهم.

جعل اللهُ ذلك الجمعَ منا خالصًا لوجهه الكريم، وكتبه في صحيفة أعمالنا بفضله العميم، مما يُثقِّل به الموازينَ، وينجِّي به الآثمينَ.

** ** **

(١) في (ب): (وبحكاية).

[مبحث[1]]

مناقب السيّد عبد الله الشمزديني قُدِّسَ سِرُّهُ

ولم نبحثْ عمَّن سبق شيخَنا السيِّدَ طه الفدَويَّ وعمَّه السيدَ عبد الله قَدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمَا وَأَفَاضَ عَلَيْنَا أَنْوَارَهُمَا؛ لأنَّ من سبقهما دُوِّنَ في أحوالهم ومناقبهم الرَّسائلُ والصَّحائفُ، وأما هما ومن بعدهما قَدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمْ؛ فلا، فقصدُنا عدمُ الضَّيعة كما ذكرنا.

فأوَّلاً نريد أن نتبرَّك بذكر بعض مناقب وأحوال سيِّدنا ومولانا السيد عبد الله الشِّمزدِينيِّ النَّهْرِيِّ من سلسلة الأشراف، من ذُرِّيَّة الغوث السَّيِّد عبد القادر الكَيْلانيِّ وسُلالَتِه، قَدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمْ وَأَفَاضَ عَلَيْنَا بَرَكَاتِهِمْ وَأَنْوَارَهُمْ، ونتكلَّم فيها حسب معلوماتنا القليلة كالغَرْفَة من البحر، ولكن نُريد أن نتبرَّك بالدُّخول في زمرة زمرتهم، فنقول:

منها: إنَّ السيد قُدِّسَ سِرُّهُ كان من جملة خُلّان مولانا خالدٍ ذي الجناحين الشَّهْرَزُورِيِّ قُدِّسَ سِرُّهُ، ومن الملازمين له في كلِّ الأحوال بالمحبَّة، من الصِّبَا إلى المشيب.

وكانا قد قرآ من العلوم الظَّاهريَّة إلى أنْ أكملاها، مع التَّفوُّق على

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

الأقران بالإتقان، ونَبَغَا في كلِّ العلوم، حتى صارا معروفين من بين جميع أهل عصرهما في سائر الأقطار، سيَّما في مِصْرِهما.

ثم أرادا واتَّفقا على أن يعملا عند كاملٍ في علوم رياضات القلوب[1] والتَّصوُّف، حتى أخلصا بقلوبهما الطَّاهرة عن الكَدُورات[2] لقُطْب [٤] الوقت الشَّيخ عبد الله شاه الدَّهْلَويِّ قَدَّس الله أَسْرَارَهُمْ لسماعهما أحوالَه وعُلوّ مقامه، ولياقَته لتربية السَّالكين، حيث رأيا أو سمعا مقالاته في تلك الخصوصيَّة.

والسَّبَبُ الأقوى في ذلك الإخلاص: أنَّ مولانا خالد ﷺ لَمّا ذهب إلى سفر الحجّ وزيارة الرَّوضة المطهَّرة، ووصل إلى المدينة المنوَّرة، على منوِّرها أفضلُ الصلاة وأكملُ السَّلام؛ زارَ علماءَها الأعلامَ، ومشائخَها الكرامَ، فأوصاه واحدٌ كاملٌ منهم أن لا يعترِضَ على أيِّ أحدٍ من المسلمين الزَّائرين؛ لأنَّ لكلٍّ دليلاً على ما يفعله، وأن يهتمَّ بما أمامَه من النُّسُك وسائر الأعمال والأذكار.

فبعد وصوله إلى الكعبة المعظَّمة كان مولانا ﷺ وقتاً يطوف حول الكعبة المعظَّمة، رأى واحداً قد جلس مستدبراً للكعبة المعظَّمة، وينظر إلى أهل الطَّواف، فاستنكر مولانا ﷺ تلك الحالَ عنه، مستدلًّا بأنَّ تلك من

(١) في (ب): (القلب).

(٢) في (ب): (الكدرات).

إساءته الأدبَ على ما يدلُّ عليه العقلُ والشَّرْعُ، فاستشرف ذلك الواحدُ على تلك الخطرة، فناداه: لَمَ نسيتَ وصيّةَ شيخ المدينة أي: المذكور سابقاً حيث كان أوصى بأن لا تعترضَ على أحدٍ؟ وإنَّ لي دليلاً على ما فعلتُ، فإنّي وإن استدبرتُ بيتَ الله الظَّاهر أي: الكعبة ـ ولكنّي استقبلتُ[1] بيتَ الله الباطن أي: قلبك المتحلّي بحلي معارف الله وأنوار هدايته ـ.

فلما انتبه مولانا ﷺ لما جرى؛ اشتاقَ قلبُه الطَّيِّبُ الطَّاهرُ إلى محبّة ذلك الكامل وملازمته ما داما متواصِلَين أو سَهل المواصَلة، وقد كان مولانا ﷺ مشتاقاً بالقلب والرُّوح إلى الطَّريقة النَّقْشَبَنْدِيَّة، وقد سأل الرَّجلَ عن طريقته، فأوضح أنَّه نقشبنديٌّ.

وبعد أن قَوِيَتْ له عُرْوةُ الاستخلاص لذلك الكامل، وتمَّتْ له المحبَّةُ الصَّادقةُ، قال له مولانا ﷺ: إنِّي أريد التَّمسُّكَ بذيلك الطَّاهر عن البِدَع والإغواءات، بعد أن علم أنَّه من خلفاء الشَّيخ عبد الله شاه الدَّهْلَويِّ قَدَّس الله أَسْرَارَهُمْ، فأجاب: بأنَّ بازِيَّ همَّتك ـ كما أراها ـ [٥] عاليةٌ جدّاً، ولا أُراني قابلاً لتربيتك، فعليك بالذَّهاب إلى سيِّدي وشيخي الشَّيخ عبد الله شاه الدّهلويِّ ﷺ.

فلما رجع إلى بيته، ورأى أحوالَ أهله وأقاربه؛ اشتدَّ داعي الذَّهاب إلى دَهْلو لقضاء ذلك المرام، وأراد أقاربُه أن يمنعوه من الذَّهاب إلى تلك

(١) في (ب): (استقبلت إلى).

المملكة، واستدلّوا بأنَّها مملكةُ كُفرٍ، كيف يقبل قلبُك الطَّاهرُ التَّدنُّسَ بتراب تلك المملكة المهلكة؟ مريدين عدمَ ذهابه وإرجاعَه، فلم يقبلْ منهم، وأصرَّ على تصميم ما يريده، فأقبلوا على زوجتيه الطَّيِّبتين الطَّاهرتين ليأتوه بالمنع من طرَفيها، فلم ينجحْ ذلك أيضـاً، وقال لهما: إنِّي لا أدعُكما في شدَّةٍ وضيْقةٍ، فإذا أرادَ من لا يُطيق صبراً؛ فلتأتِ فلاناً ـ أحدَ خواصِّه ـ، فإنِّي جعلتُهُ وكيلاً في قطع ما بيننا من عقد الزَّوجيَّة، فسكتَّا بعد أن علمتا أنَّه صمَّمَ الأمرَ، وقالتا: لا نبغي شيئاً، ونرضى بما يصيبنا من ضيقة العيش، ونرجو من الله الكريم أرغدَهُ.

فلما استسلموا، وتمَّ الأمرُ، ولم يَبْقَ إلا السَّفَرُ؛ وصل إليه السيدُ عبد الله قدس سره، وأنشأ السَّفرَ مِقداراً ناويين الوصولَ إلى قُدْسِ الحضرة معاً، فرأيا أنَّ المَصرفَ لا يكفيهما الاثنين جميعاً، فتشاوروا في أن يكون المصرفُ محوَّلاً إلى أحدهما، ويرجعَ الآخرُ، فسامح السيِّدُ أن يحوِّلَ المصرفَ جميعاً إلى مولانا، وقال: اذهبْ أنت، وأنا أرجعُ إلى البيت، ففعلا كذلك، وقال له السيِّدُ: سِرْ راشداً مَهْديّاً، فذهب هو، ورجع هذا.

ولا نطيلُ الكلامَ على ما وقع بعد ذلك بعدما زُبِرَ وسُطِرَ من غيرنا جزاهم الله خيراً.

وبعد أن وصل إلى دولة الحضرة القُدْسيَّة بقي هنالك تسعةَ أشهرٍ، فأذن له بالإرشاد، ومما يليق أن يُقضَى منه العجبُ: أنَّ ولادتَهُ المعنويَّةَ لم

تزدْ على الظَّاهريَّة زمناً، أي: كلٌّ منهما تسعةُ أشهرٍ.

فبعد أن رجع إلى قريته شَهْرَزُور؛ أذاع فيها وفيما حولها [٦] الطَّريقةَ النَّقشبنديَّةَ، كما لا يخفى ذلك لا على المحبِّ ولا على غيره، ولا يحتاجُ إلى تطويلٍ.

فاستسلم له إذ ذاك السَّيِّدُ عبد الله قدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمَا، فكمُل كمالاً تامّاً كافياً، ونال أعلى درجات الرِّجال، ومشاراً إليه بالبنان، وذا جذبةٍ وجلبٍ لقلوب الرِّجال؛ فأجازه مولانا قدس سره بالخلافة العامَّة، فرجع إلى محلِّ بيته في نَهْرى من قُرى شمزدينارة[1]، فاشتغل بإرشاد النَّاس من حينئذٍ، واجتمع عليه كثيرٌ من فحول العلماء وخواصِّ وعوامِّ النَّاس.

وكان قدس سره بحيث إذا سمع واحدٌ مآثِرَهُ ومناقبَه؛ تأثَّرَ فيه وتجعلُهُ من ذوي الأحوال وأهل الكمال، حتى كان يحصلُ لزُوَّاره في سفرهم بعيداً عن دولة الوصول أحوالٌ شاسعةٌ وشؤونٌ راصعةٌ قبل الوصال.

واستسلم له النَّاسُ، بحيث لم يَبْقَ له منكرٌ، وقال عند ذلك شيخُه مولانا خالد قدس سره: نِعمَ الشيخُ السَّيدُ عبد الله الشمزدينيُّ، لا عَيْبَ فيه غير أنَّه لا مُنْكَرَ له؛ إذ الشَّوْقُ يزداد بالمنكرين.

ودامَ قدس سره على ذلك الحال، ويزدادُ آناً فآناً في تربية العلماء المتبحِّرين، ومنهم ابنُ أخيه السيِّدُ طه قدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمْ.

(١) في (ب): (شَمِزدينَان).

وفي أثناء تلك الآونة كان يُكْثِرُ زيارةَ شيخه ذي الجناحَين (قدس سره)، وحينما يريد الرُّجوعَ من عنده كان شيخُه ذلك يشيِّعُه مقداراً من الطَّريق إلى أن يخرجوا من البلدة، ويأمره الشيخُ (قدس سره) بالُّركوب، ويأخذ بِركابه، وكلّما يرجو من الشّيخ الرُّجوعَ فلا يفعل، ويقول: أنا أُشَيِّعكَ خطواتٍ بعد الرُّكوب، وكان ذا الفعلُ تأسِّيًا بالنبيِّ ﷺ حين تشييعه لزيدِ بن حارثةَ وجيشه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين في سريّة مُؤْتَة كما هو معلومٌ من الكتب، وبالصِّدِّيق الأكبر ﵁ حين تشييعه لأسامة بن زيدٍ ﵁ في إرساله إلى أُبْنى بأمر النبيِّ ﷺ بعد أن جعله أميراً، [٧] واستصغره أكابرُ الجيش، وطلبوا منه أن يُؤَمِّرَ عليهم غيرَه، ولم يفعلْ لاحترام أمر النبيِّ ﷺ وعَقْدِ لوائه.

وفي بعض رحلاته إلى شيخه (قدس سرهما) كان حوله في المجلس العالي جمعٌ كثيرٌ من العلماء والأكابر، فدخل رجلٌ زائراً الشَّيخَ مولانا (قدس سره)، ولم يعرف الشيخَ من بينهم، فسأل: أيُّ هؤلاء الشَّيْخُ؟ فأجاب الشيخُ مولانا (قدس سره) بنفسه: هذا الشَّيخ، مشيراً إلى السيِّد عبد الله (قدس سرهما)، فتنزَّلَ السيِّدُ عن تلك الموهمة، وقال: ماذا تقول وأنت الشيخُ؟ فقال الشيخُ مولانا أيضـًا: إنَّما الشَّيخُ أنتَ ما كنتَ حاضراً، وإلَّا؛ ففي غيبتك يقولون لي: أنت الشيخ، وأنا إذاً أرضى.

وكان يقول (قدس سره) مولانا[١] كثيراً في حقِّ السيِّدِ عبد الله والسيِّد طه قدَّس الله أَسْرَارَهُمَا العَلِيَّةَ في كثيرٍ من مجالسهم العالية: لا تحسبوني أكبرَ من السيِّدين،

(١) في (ب): (وكان يقول مولانا (قدس سره) كثيراً ...إلخ).

ومَثَلي معهما كمَثَل مُعَلِّمي أولاد السَّلاطين معهم، فإذا تَمَّ وثاقُ التَّعليم؛ كان الأولادُ سلاطينَ، والمعلِّمون معلِّمين كما كانوا.

وبعد أن أجابَ السيِّدُ عبد الله (قدس سره) منادي: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[١] في قرية نَهْرى النَّائبة عن الكوثر والسَّلسبيل، وقد قال الغوثُ الغَيْدويُّ (قدس سره) في حقِّها: جميعُ البقاع في نَهرى سوى موضعين ـ وهما: المحلّةُ المشهورةُ بمحلّة اليهود، وقلعةُ الأمير ـ مشحونةٌ بنوافحِ النِّسبة النَّقشبنديَّة، وسمعه مولانا (قدس سره)؛ تأثَّر منه كثيراً، وعيي عن التَّكلُّم، وطأطأ رأسَه مقدارَ ساعةٍ زمانيَّةٍ، وكأنَّه غاب عن الوجود والفكر، ثم رفع رأسَهُ وتكلَّم مع الحاضرين وقال: واللهِ إنَّ قلبي كان مشغوفـًا به، والباري تعالى لا يقبلُ أن يكون له شريكٌ في القلب، فذهب به (قدس سره)، وأخلى القلبَ ليبقى لتجلِّيه تعالى[٢] فحسب، ثم تمسَّك بمولانا (قدس سره) السيِّدُ طه بن السيد أحمد بن السيد صالح بن أخي السيِّد عبد الله قَدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمَا[٣].

** ** **

(١) سورة الفجر: ٨٩/ ٢٧.
(٢) في (ب): (لتجلّيتِهِ تعالى).
(٣) في (ب): (أسرارهم).

[مبحث][١]

مناقب السيِّد طاه الشمزديني ﷺ

ولنذكر نَبْذةً من أحواله حسبَما نعلمه وسمعناه [٨أ] من الثِّقات:

واشتهر أنَّه ﷺ ملقَّبٌ بالسيِّد الفَدَويّ؛ لِمَا أنَّه أصاب المسلمين ضرَّاءُ شديدةٌ، ولا علمَ لنا الآن بها، فاستضاء الشيخُ مولانا ﷺ بنور قلبه، وقام وقال في المجلس: أيُّ رجلٍ يفدي نفسه لأُمَّةِ الإسلام، ويغيثُهم في هذه النَّازلة؟ فقام السيِّدُ طه ﷺ على قدميه، وقال ـ لفرط وفائه للملَّة الإسلاميَّة ووفور شجاعته ـ: أنا لذلك المُهمِّ، ولم تبقَ في الخاطر نتيجتُه. فمن ذلك الوقت صار السيِّدُ الفدويُّ لقبًا له ﷺ.

وبعد أن توفِّي العمُّ الجليلُ الشفيقُ ﷺ قصد السيِّدُ طه ﷺ بغدادَ، وكان الشيخُ مولانا ﷺ إذ ذاك فيها ليزوره ويستسلم له في أخذ الآداب النَّقشبنديَّة عنه، فأجابه مولانا بأنَّ بغدادَ مركزُ سلطنة جدِّك الغوث الأعظم ﷺ، ولا نتجاسَرُ أن نقبلك ونجعلك بشخصك فيها في الطَّريقة النَّقشبنديَّة تأدُّبًا مع ذلك الجناب العالي، فاذهب إلى مرقده العالي، واستأذِنْ منه ﷺ، فإن أَذِن نفعل إن شاء الله، فامتثل وذهب إلى المرقد، واستخار، وراقب ما أراد أن يُراقب، فظهر له أن قال روحانيَّةُ الغوث ﷺ: إنَّ طريقَتَنا لحقٌّ، ولكنَّ

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

اليومَ ليس فيها من يُجدي النَّاسَ المستهدين للنَّجاة من البأس، وطريقةُ هذا الملا أيضًا حقٌّ، وهو حقيقٌ بالتَّسليم له، فافعل، أي: أَذِنَ له بالدُّخول في طريقته، والتَّسليك منه قدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّة.

فبعدما رجع إلى مولانا ﷺ لم يسأل منه: ماذا أنتجَ لكم من الأمر؟ بل استشرف على ذلك الإذن والرِّضا من قِبَل الكشف، فقَبِله، وعلّمه الآداب تتميمًا على ما كان يفعلُه عند العمّ الشفيق قدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمْ، فداوم السيِّدُ الفدويُّ على مشاقِّ التَّعليم، وأَتْعَبَ نفسَه الكريمةَ في تعباتٍ معلومةٍ، من العادة المعهودة للسَّالكين، إلى أن شاء اللهُ، وجاء له ﷺ الأمرُ بالخلافة والتَّصرُّف كيف شاء، فبدأ بإرشاد المسترشدين، وهَدْيِ مَنِ استهدى إلى الحقِّ اليقين، والطَّريق المستقيم المبين، كما سَمِعْنَا ورأينا، [٩] رزقنا اللهُ الدُّخولَ تحت رايتهم[١]، آمين.

فدخل النَّاسُ في طريقته أفواجًا، واجتمعوا عنده من الخواصِّ والعوامِّ كالبحر المتلاطم أمواجًا.

فيومًا من الأيّام جاءه خبّازُه الكريمُ، وأخبره بأنّي أطعمتُ في التَّكِيَّة ألفًا من الأُناس[٢]، فلم يبقَ في المخزن ـ أي: عَنْبارِ الدَّقيق ـ شيءٌ يُتقوَّتُ منه، فقال ﷺ: إنَّ المخزنَ ممتلئٌ دقيقًا، قد تشوَّشْتَ في ذلك، فذهب الخبَّازُ وفتَّش، فإذا المخزنُ ممتلئٌ كما قال الشيخُ السيدُ الفدويُّ ﷺ.

(١) في (ب): (رؤيتهم).

(٢) في (ب): (الناس).

فلما سمع شاهُ إيران بذلك الاجتماع الكبير، والمَصْرف الكثير، بل يحتمل أنَّه رآه؛ حنَّتْ إلى الإكرام إليه والإعانة له بَلابلُه، فوقف عليه قُرىً كثيرةً إعانةً لذلك السيِّد الفدويِّ قدس سره، فلا يبقى على خاطره فكرةُ الضِّيقة وشدَّةُ الشِّدَّة. فلما سمع السيدُ الفدويُّ ذلك قال شاكراً لنعم الله تعالى: الحمد لله.

ولما أن توفّي الشاهُ العادلُ إلى رحمة الله تعالى بالفضائل والفواضل، وجلس في مقامه ابنُه الذي هو بضدِّه؛ استردَّ كلَّ ما منح به أبوه الكريمُ إلى حاله الأوَّل، فلما سمع السيدُ الفدويُّ ذلك الاستردادَ قال أيضاً: الحمدُ لله، ولم يتأثَّر به. وكان في المجلس علماءُ كثيرون، وقالوا: إنَّ الحمدَ كان مناسباً لوقت المنح، وأما في وقت الاسترداد؛ فالمناسبُ الاسترجاعُ بقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. فأجاب قدس سره: بأنَّ كلتا الحالتين لي للسَّرَّاء، فإنِّي فتَّشْتُ قلبي، فوجدتُه خالياً عن الميل إليه، لا أوّلاً ولا آخراً؛ إذ في الإعطاء لم أكن مائلاً إليه؛ لأنَّه كان من مَنْح النَّاس، فلم أبتَشِرْ به، وحين الأخذ لم أغتَمّ له؛ لأنَّه استردادُ العبد عطيَّتَه، فحمدي في الحالتين إنَّما هو على حال قلبي خالياً لا مائلاً.

ومما وقع في أيّام إرشاده قدس سره: أنَّه تكاثرت الخاصَّةُ والعامَّةُ في الاجتماع عليه، فجاء رجلٌ من أهل البوادي ودخل في طريقته، وأخذ التَّسبيح والمُشْطَ، وترك من الحلق لحيتَه، ثم بعد أحيانٍ وقَعَتْ على أغنامه

وسائر أمواله الجائحةُ، ونفد أكثرُ ما بيده، فألقى الشَّيطانُ في رُوعه: أنَّ هذه الطَّوائحَ والجوائحَ من شُؤم ذلك الطَّريق، [١٠] فندم على ذلك، وأعاد على السيِّد التَّسبيحَ والمُشطَ معلناً له بأنَّ هذا الطَّريقَ كان شُؤماً عليَّ، وهلكت الأموالُ، فبقيتُ من ذلك فقيراً، سيِّءَ الحال، فهاك ما أخذتُ منك.

وبعد حينٍ كان السيِّدُ الفدويُّ قدس سره جالساً في المجلس العامِّ، الغاصِّ بالعلماء وفحول الخواصِّ والعوامِّ؛ إذ صدر من السيِّد الفدويِّ صوتٌ عالٍ زائدٌ على حَدِّه، فظنَّ كلُّ واحدٍ من نفسه أنَّه صدر منه ما لا يناسب الحضرةَ القدسيَّةَ[1]، وأنَّ هذه الصَّيحةَ إنَّما هي عليه، فتحيَّرَ كلٌّ في شأن نفسه. فبعد أن خرج السيِّدُ من المجلس؛ أرسل القومُ إليه واحداً من خواصِّه وصاحب سرِّه، فسأله عن تلك الصَّيحة بأنَّها لماذا؟ ولخصوص مَنْ هي[2]؟ فأجاب قدس سره: بأنَّ الرَّجلَ الذي أعاد عليَّ التَّسبيحَ والمُشطَ كان في النَّزْع، فأراد الشَّيطانُ لعنه الله سلبَ إيمانه، فلم تقبل[3] غَيْرتي وغَيْرةُ السَّادات أن نُبقِيَه بحاله، فصحتُ على الشَّيطان تلك الصَّيحةَ؛ لأنَّه على كل حالٍ انتسب إلى طريقتنا بُرْهةً من الزَّمان، ففرَّ من تلك الصَّيحة اللَّعينُ، ونجا الرَّجلُ، ولله الحمد.

وكأنَّ السَّبَبَ في توصيفه قدس سره بقول شيخنا: الغَيورُ الذي نتباهى به، مولانا الوَقورُ في قراءة السِّلسلة في الختمة النَّقشبنديَّة قدس سره هذه الغَيرةُ التامَّةُ.

---

(١) في هامش (أ): (خ: المقدسة).

(٢) في هامش (أ): (خ: كانت).

(٣) في هامش (أ): (خ: تتركني).

ومما وقع له قدس سره أنَّه كان يوماً في مجلسٍ غاصٍّ بالعلماء والفضلاء، وكان في ذلك المجلس العالي حضرةُ الشَّيخ فهيم الأرْفاسي قدس سره، فأطال الصُّحبةَ، فقال: منشأُ جميع المستحسنات إنَّما هو الوجودُ، وهو وجودُ الباري تعالى، ومَنْشَأُ جميع السَّيِّئات العدمُ الأصلُ للكائنات، فإذا فعل عبدٌ حسنةً؛ فمبدؤه من ذلك الوجود الأصل، أي: وجود الله تعالى؛ إذْ ألقى ذلك الوجودُ ظلَّه على تلك الحسنة، فحصل لها الوجودُ، واتَّصفتْ بالحُسْن، وإذا فعل سيِّئةً؛ فمبدؤه من ذلك العدم الأصل للكائنات.

** ** **

[مبحث][1]

مناقب حضرة الشيخ فهيم الأرفاسي

وكان حضرةُ الشَّيخ فهيم في عِقال التَّعليم[2] عند الأستاذ العلَّامة حضرة الملَّا رسول السيپكيّ ﵀، فلما ذهب إلى ذلك الأستاذ نقل له ما قاله السيِّدُ الفدويُّ من مبدأ ومنشأ الخير والشرّ، أي: الحسنة والسيِّئة، فقال ذلك الأستاذُ: تلك صحبةٌ حسنةٌ، لِمَ لمْ [١١] تسأل عن السيِّد الفدويِّ قدس سره: لمَ يثيبُ الله تعالى المحسنين على حسناتهم وهي من عطاياه تعالى ليس للعبد[3] فيه دخلٌ؟ فأجاب حضرةُ الشَّيخ فهيم قدس سره: بأنِّي كنت في صفِّ النِّعال دون العلماء الأعلام، فكيف لي طاقةٌ ولياقةُ السُّؤال بحضرة أولئك الأكابر؟

وبعد زمانٍ زار حضرةُ الشَّيخ فهيم قدس سره أيضاً ذلك الحضرةَ السيّد الفدويَّ قدس سره، وبعد انعقاد المجلس العالي أعاد السيِّدُ الفدويُّ قدس سره تلك الصُّحبةَ بعينها، والشيخ فهيم قدس سره أيضاً في صَفِّ النِّعال، فتذكَّر ما قاله أستاذُه ﵀، وما تكلَّمَ لما أنَّه كان في ذلك الصَّفِّ، فتوجَّه إليه السَّيِّدُ الفدويُّ قدس سره، وقال: إعطاءُ الله الثَّوابَ على حسنات العباد من مَحْضِ فضله تعالى وإحسانه إليهم دون سابقةٍ منهم. وقال في آخر ذلك المجلس: أما الطَّالبُ

---

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

(٢) في (ب): (التعلم).

(٣) في (ب): (للعبيد).

المريدُ؛ فكثيرٌ، ولكن لا مرشدَ في زماننا يرشدُهم ويهديهم، فلما سمع حضرةُ الشَّيخ فهيم (قدس سره) ذلك وعلم أنَّ السيِّدَ الفدويَّ استشرف على خاطره من سؤال أستاذه[1] وجواب السيِّدِ الفدويِّ (قدس سره) له؛ لم يتمالَكْ نفسَه، فقام على قدميه، وقال في هذه الرَّقَبة[2]: إنَّ المشايخَ القابلين للهداية كثيرون، ولكن لا مسترشِدَ بالحقِّ والحقيقة.

وهذا القولُ من ذلك الجناب العالي (قدس سره) مِصداقٌ للبيت الفارسيِّ:

مَكُـــو ارْبــــاب دِل[3] رَفتنـــد ‌‌ شـــهر عشـــق خـــالي مانـــد

دني بُـــر شـــمس تبريـــزي ‌‌ وكـــومردي جُـــو مَولانـــا

وبعد أن أتمَّ حضرةُ الشَّيخ فهيم قراءته[4] العلومَ الظَّاهريَّةَ؛ انساق باشتياق قلبه المشتاق إلى السيِّد الفدويِّ طالباً للعلوم الباطنيَّة، وتمسَّك به، فعلَّمه السيِّدُ الفدويُّ ما عِلَّمه من الأوراد والآداب والأذكار، ثم أدخله في مكانٍ خاصٍّ، وقال له: هل رأيتَ النَّمر قطُّ؟ أي: باللغة الكردية: هِنْكو بُلَنك ديه، فقال: لا، وكرَّر السُّؤالَ ثلاثاً، فأجابه الشَّيخُ فهيم (قدس سره): ما رأيتُه، ولكن سمعتُ أنَّه سريعُ الوثبة والحركة، وشديدُ البطش، بحيث يَثِب من الأرض إلى سقف البيوت العالية ذات طبقاتٍ ثلاثٍ فصاعداً، فقال له الشَّيخُ

(١) في (ب): (الأستاذ).

(٢) في (ب): (الرَّقَبة).

(٣) في (ب): (ذِل).

(٤) في (ب): (قراءة).

الفدويُّ (قدس سره): [١٢] يلزم أن تكون همَّةُ المريد كذلك، فلا يرضى بالدُّون، ويقصد دائماً الفوقَ مهما أمكن.

ومن توصية الأكابر كلِّهم: التَّرقِّي إلى ما فوقهم من الدَّرجات، حتى قال بعضٌ من أولئك السَّادات قدَّس الله أَسْرَارَهُمْ: لا أُحِلَّ المريدَ حتى يكون قصدُهم أن يضعوا أقدامهم على رقبتي، أي: يقصدوا الاستعلاءَ عليّ.

وقال الشيخُ محمد قاسم مفتي بلدة وان من أحفاد الشَّيخ فهيم (قدس سره): إنَّه زار السيدَّ الفدويَّ (قدس سره) مرَّةً، وقال له السيِّدُ باللُّغة الفارسيَّة: ما راجه تحفه آوردي، فأجابه بهذا البيت:

جـــارجيز آوردَه ام شـــاها كـــه دَرْكَـــنجِ تُونيســـت

حـــاجتي ونِســـتي وعـــذر وكنـــاه آورده ام

أي: أتيتُك يا سلطاني بأربعةِ أشياءَ لا توجد في خزانتك: الحاجةُ، والعدمُ، والمعذرةُ[1]، والخطايا.

ولَمّا انتهى ذلك السيِّدُ الفدويُّ إلى ما لا مفرَّ منه، ولا بدّ من الاستسلام له؛ ناداه داعي المَنُون بـ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[2]، فأجاب تلك المُطمئنَّةُ ذلك الدَّاعي بنشاطٍ، وانتقلتْ إلى تلك الجنَّة المزيَّنة بالحور والقصور، والرَّوح

(١) في هامش (أ): (نسخة: الاعتذار).

(٢) سورة الفجر: ٨٩/ ٢٧.

والرَّيحان، بالمسرَّة والرِّضوان، سنة (١٢٦٨)، أي: سنة مائتين وثمانٍ وستِّين بعد الألف هجرية، ودُفِن في قرية نهرى من قرى شمزدينان. اللهم لا تحرِمْنا أجرَه، وأَفِضْ علينا كلَّ آنٍ فضلَه وبرَّه، وأَسْبِلْ علينا سَتْرَ نسبته وفيوضاته، وعلى جميع الأتباع والأحبَّة، وسائر المسلمين. آمين.

وذلك السيِّدُ الفدويُّ (قدس سره) بنُ السيِّد أحمد بن السيِّد صالح، من سلالة الغوث الأعظم السيد عبد القادر الكَيلانيِّ (قدس سره)، كما قدَّمْنا.

وله ابنان: السيِّدُ عُبيد الله، والسيِّدُ علاءُ الدين.

وللسيِّدُ عُبيد الله ابنان: السيِّدان الشيخُ محمد صدّيق، والشيخ عبد القادر.

وللسيِّد علاء الدين ثلاثةُ أبناءَ: السيِّد حَمِيد، والسيِّد عُثمان، والسيِّد فهيم.

ولهم أعقابٌ تفرَّقوا الآن في أنحاءٍ شتَّى، بعضهم في عِراقٍ، وبعضهم في إيران، وبعضهم في التُّركية، أعلى الله درجاتهم، ولا [١٣] أرانا دركاتهم، ولا نُطَوِّلُ بذلك الكلام.

وأكملَ خلفاءَ علماءَ صلحاءَ كثيرةً، ولكن لم نُحِطْ بهم وبأعدادهم عِلْماً، ولكن نكتبُ منهم من كان لنا بهم خبرٌ، قدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمْ وَأَرْوَانَا مِنْ بِحَارِ أَنْوَارِهِمْ.

ومنهم - بل أكبرهم -: أخوه الشَّريفُ الكريمُ الشيخُ صالح (قدس سره)، القائمُ مقامَه في الإرشاد، وهداية العباد، والسيِّدُ صبغةُ الله الآرْفاسيُّ الغوثُ الغَيدويُّ (قدس سره)، وحضرةُ الشَّيخ فهيم الآرفاسيُّ (قدس سره) المدفونُ في قرية آرفاس من أيالَةِ مُكْسن، والشيخُ محمد الكُفْروِيُّ (قدس سره) المدفونُ في بتليس[1]، والشيخُ الملّا طه (قدس سره) المشهورُ بخليفة كُوسَه (قدس سره)، والسيِّدُ عبدُ الأحد (قدس سره)، والشيخُ الملّا أحمد المجذوب (قدس سره)، والشيخُ عبدُ الله النَّيْنَكيُّ (قدس سره)، والشيخُ طه الحريريُّ (قدس سره)، والشيخُ إسلامُ الكَرْكُوكيُّ (قدس سره)، ومولانا الشيخُ حاجي الحكاريُّ (قدس سره) المدفونُ في قرية نهرى، ومولانا الشَّيخُ سليمان البَرادُوسْتيُّ (قدس سره).

وبعد أن مضى عهدُ ذلك الفدويِّ (قدس سره)، وقوَّض خِيامَه من دار الدُّنيا، واختار الرِّحْلَةَ إلى ساحةِ العُقبى، رحمه اللهُ رحمةً واسعةً؛ انتقلت رِبقةُ الإرشاد في مملكتنا أكثريّاً إلى الكاملَيْن: مولانا الشيخ السيِّد صَبغةُ الله ومولانا حضرة الشَّيخ السيد فهيم الآرفاسِيَّين، قَدَّسَنا اللهُ بِأَسْرَارِهِمَا، وَأَرْوَانَا مِنْ بِحَارِ أَنْوَارِهِمَا.

أما الشيخُ فهيمٌ؛ فقد كتبنا بعضاً من أحواله العليَّة حسبَ إحاطتنا بالعلم به، وهو ابنُ السيِّد عبد الحميد بن الشَّيخ عبد الرحمن القُطُب الآرفاسيُّ (قدس سره)، ولد في سنة (١٢٤١)، أي: مائتين وإحدى وأربعين بعد الألف الهجريَّة، وتوفِّي في سنة (١٣١٣)، أي: ثلاثمائةٍ وثلاثةَ عشرَ بعد الألف

(١) في (ب): (بدليس).

الهجرية، وله أبناءٌ سبعةٌ كلُّهم علماءُ صلَحاءُ، وهم: الشيخُ محمد أمين الوارثُ لعلمه، ولم يُعقِّبْ ذَكَراً، والشيخُ معصوم، والشيخ حسن، والشيخُ محمد صِدِّيق، والشيخ حُسَين، والشيخ محمد صالح، والشيخ نظامُ الدِّين، ولهؤلاء السِّتَّة أعقابٌ. [١٤] اللهم أَعْلِ درجاتهم، ولا تَحْرِمْنا من بركاتهم.

** ** **

[مبحث][1]

مناقب الغوث الأعظم السيِّد صبغة الله الأرفاسي

وأما الغوثُ السيِّدُ صبغةُ الله قدس سره؛ فنذكر نبذةً من مآثره على حسب ما نعلمه.

وكان عمودُ نسبه قدس سره كما كتبه خليفته الشيخُ خالد الأولكيُّ قدس سره هكذا: قال الشيخُ الغوثُ قدس سره: أنا صبغةُ الله بنُ مولانا لُطف الله بنِ مولانا عبد الرحمن القطب الأَرْفاسيّ بنِ مولانا عبد الله بنِ مولانا محمد بنِ مولانا محمد بن مولانا الشَّيْخ إبراهيم بن مولانا جمال الدِّين، ويقف هنا.

وكان يقول عن شيخه قدس سرهما: إنَّ الظَّاهرَ: أنَّ جمالَ الدين الموقوفَ عليه ابنُ مولانا محمد الكبير الآرفاسيِّ الشَّهير بملا محمد القطب، وهو ابنُ مولانا الشَّيْخ قاسم البغداديِّ الحُسَينيِّ قَدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمْ، ويجزمُ به مرَّةً بعد مرَّةٍ.

وقد سأله شيخُه قدس سرهما عن نسبه العالي، فقال: أنا حفيدُ الشَّيخ عبد الرحمن، فقال شيخُه السيِّدُ الفدويُّ قدس سره: إنَّه الشيخُ عبد الرحمن نيكونام القطب الآرفاسيُّ؟ فقال: نعم.

وبعد أن تحوَّل من مدارس العلوم الظَّاهريَّة؛ اشتاق شاهينُ روحه

---

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

الطَّاهرة إلى اصطياد المعارف الباطنيَّة، والرِّياضات الرُّوحيَّة، من مناهل الشُّيوخ[١] الأكارم، والكُمّل الضَّراغم، ففي سنة (١٢٤٥) أي: مائتين وخمسٍ وأربعين بعد الألف من الهجرة استسلم لكثيرٍ من الكُمَّل واحداً بعد واحدٍ، وانتفع بهم كثيراً إلى سنة (١٢٥٦) أي: مائتين وستٍّ وخمسين بعد الألف من الهجرة، وتفصيلُ ذلك مكتوبٌ في رسالة الحضرة (قدس سره).

فبعدئذٍ أرسل السيِّدُ الفدويُّ (قدس سره) الملّا مراداً الخُوروسيَّ خلفه، وقال: قل له: بيا بآشيانه خود، فأتى في تلك السَّنَة عاشقاً عاقداً على وسطه مَنْطِقَةَ الخدمة، فبلغ ما بلغ، ولا يعرفَ مقامَه إلا ربُّه الأعلى.

وكان يحضرُ صحبتَه العاليةَ كلَّ سنةٍ مرَّتين، إلى أن توفِّي السيِّدُ الفدويُّ (قدس سره) إلى رحمة الله تعالى سنة (١٢٦٨) أي: مائتين وثمانٍ وستِّين بعد الألف من الهجرة، فاصطَحب أخاه الشَّيخ السيِّد صالحاً إلى أن توفِّي [١٥] ذلك الأخُ سنة (١٢٨٠) أي: مائتين وثمانين بعد الألف من الهجرة، فبعد ذلك استقلّ لإرشاد العباد، والتَّصرُّف في القلوب والفؤاد، حتى اجتمع في صحبته (٤٠٠) أربعمائة رجلٍ عالمٍ، ونساءٍ صالحاتٍ.

وكان (قدس سره) حريصاً على التَّوجّه، ويقول: إنِّي مأمورٌ بذلك أمراً حثيثاً، ولا محيصَ لي على خلافه، فكانت العادةُ إذاً يجلس النَّاسُ بعد صلاة الضُّحى حَلْقةً كحَلْقة التَّوجُّه بآدابه، فإن جاء (قدس سره) فيتوجَّه، وإن جاءت مرَقَةُ

(١) في هامش (أ): (خ: المشائخ).

بـركة الكلمات في مناقب بعض السادات

الصَّباح ـ أي: الطعام ـ يعلمون أنَّه لا توجُّهَ، ولا يختصُّ توجُّهه إذ ذاك بيومَي الإثنين والخميس.

وكان (قدس سره) يزور شيخَه في قرية نهرى في كلّ سنةٍ مرَّتين كما ذكر، ومرَّةً كان معه ابنُه المِقدامُ الشَّيخُ جلال الدين (رحمه الله)، وبعد الوصول إلى كعبة آمالهم إذا النَّاسُ يصنعون رحىً لبيت السيِّد الفدويِّ (قدس سره)، ورأوا أنَّ مخزنةَ الماء ـ أي: شيب الرَّحى ـ طويلٌ، وكان ضخماً وثقيلاً جدّاً، واجتمع لرفعه وتعليقه وإصلاحه نحوُ ثلاثين رجلاً لم يقدروا أن يعلِّقوه، فجاء الشيخُ جلالُ الدين (قدس سره)، وصنع ما يَسهُل به الرَّفعُ، أي: آلة رفع الثِّقال، فأخذ هو به في طرفٍ وسبعةُ رجالٍ في طرفٍ، فرفعوه، وعلَّقوه، وأصلحوه كيف شاؤوا بسهولةٍ، ولم يتعبْ به أحدٌ. فقال السيِّدُ الفدويُّ (قدس سره): أنت حملي.

ويروى أنَّه كان ثعبانٌ كبيرٌ جدّاً يظهر في غرفة السيِّد الفدويِّ (قدس سره) مراراً، ولم يتجاسَرْ أحدٌ على أخذه، وظهر مرَّةً والشيخُ جلالُ الدين (قدس سره) حاضرٌ، فجاء الخبرُ بأنَّ الثُّعبانَ قد ظهر، فقام الرِّجالُ ليهجموا عليه، فأقعدهم الشيخُ جلالُ الدِّين، وقال في هذه المرَّة: النَّوبةُ لي، لا لأحدٍ غيري؛ لأنَّكم قد تهيَّأتم له مراراً، ولم تظفروا به، فذهب وخنقَه في عنقه، وسلَّه من موضعه، وجلد به الأرضَ بجمع قوَّته، فمات الثُّعبانُ من ذلك، فقال السيِّدُ الفدويُّ (قدس سره) أيضاً: أنت حملي.

ويروى أنَّ السيِّدَ الفدويَّ (قدس سره) كان مرَّةً جالساً في إيوانِ صحبته

الصَّيفية، إذا طائرٌ يقع على [١٦] منكب السيِّد مرَّةً ويطيرُ أخرى، فظنَّ السيِّدُ أنَّه مستغيثٌ، فنظر إلى فوقه، فرأى حيَّةً تقصُدُ وَكْرَه لتأكل أفراخَه، فنظر السيِّدُ إلى الرِّجال، وكان الشَّيخُ جلالُ الدين حاضراً فيما بينهم، فأخذ بيده وسط الحيَّة بين أشجار الإيوان، فأطال الحيَّةُ رأسَها لتلدغه، فضربها الشيخُ جلالُ الدين بسيفه، وقطعها نصفين، وأنجى الطَّائرَ المسكينَ من نِكايتها.

وبعد تلك الوقائع إذا تضجَّرَ منه أبوه الغوثُ ﷺ يقول: لا أحمل منك مِنَّةً، وها أنا والسيِّدُ الفدويُّ ﷺ وهو قد قال لي: أنت ابني، وأنت حملي.

ووقع أنَّ الغوثَ ﷺ تضجَّرَ منه مرَّةً، وتوجَّه إلى قرية نهرى، وراح خلفَه الشيخُ جلالُ الدين ﷺ، وكلَّما وصلا إلى قريةٍ ينزل الغوثُ ﷺ في بيتِ رجلٍ، وهو ينزل في بيتٍ آخر نتيجةَ تلك الضَّجرة، ولما أنشأ السَّفرَ من تلك القرية؛ ذهب الغوثُ ﷺ أوَّلاً، ثم يقع هو خلفه بعيداً عنه، وهكذا إلى أن رُؤِيَ منهما قريةُ نَهْرى، فنزل الغوثُ ﷺ عن فرسه للوضوء، فوقف الشيخُ جلالُ الدين بعيداً عنه كما كان يفعل في هذه السَّفرة، وترنَّم بهذا البيت باللِّسان الكردي:

از غــزا لِـم غــزا لا في بــرى   دَفي من لجيرى كهى من لكازيي

خــوزى بمرامــا ببويــا قســمت   مِــن آف وبَــرى في نهريــي

فلما سمع أبوه الغوثُ ﷺ منه ذلك؛ صاح عليه قائلاً: تعالَ واتَّصلْ بنا فرحةً بمضمون البيت، فاتَّصل بهم، ودخل معهم كعبةَ آمالِهم النَّهْرِيَّ،

فشكاه الغوثُ عند السيِّد الفدويِّ ﷺ لصلابته وشدَّة طبيعته، فقال السيِّدُ الفدويُّ له: أبناؤك كلُّهم لك، إلا جلال الدين، فإنَّه لي، وهو ابني.

فبعد أن تهيَّؤوا للوداع؛ أخذ الشيخُ جلالُ الدين ﷺ بأسطُوانةٍ من أساطين الإيوان المبارك، ولم ينفصلْ عنها، وقال: أنا لا أجيءُ معكم، وأنا ابنُ السيِّد الفدويِّ ﷺ، فأخبروا السيِّدَ بذلك، فجاء وقال له: اذهب مع أبيك، وأنت أيضـًا ابني، ولكلِّ قومٍ آغاءٌ - أي: رئيسٌ - وأنت آغاؤنا، [١٧] فجعل الله نتيجةً لذلك القول الآغائيَّةَ لازمةً لذرّيّته الطَّيِّبة حتى الآن.

وإذا وقعتْ للغوث الأعظم ﷺ مهمّةٌ تحتاج إلى المراجعة إلى السيِّد الفدويِّ ﷺ، ولم يمكنه الذَّهابُ إليه في ذلك الوقت؛ يُرسلُ إليه واحداً من خواصِّه للسُّؤال عن تلك المهمَّة، فإذا جاء وقتُ الرُّجوع، ويقرب من قرية الغوث الأعظم ﷺ، وأُخبر بقربه يطلعُ(١) على سَقف البيت، ويتمثَّل بهذا البيت للجزَريِّ ﷺ:

قاصــد بمقصــودا موهــات   بــامزده وامــر وبــرات

نيشــان هنــارن هــم خــلات   او بادشــهي كلكــون قبــا

ويمشي ذاهبـًا وآيبـًا على ذلك السَّقف إلى أن يصل القاصدُ.

واتَّفقُ العلماءُ في تلك الآونة على غوثيَّته، كلٌّ بدليلٍ.

---

(١) في هامش (أ): (خ: يعلو).

[مبحث](1)

اتّفاق العلماء على غوثيته

أمّا الأستاذُ الأعظمُ الشيخُ عبد الرحمن التّاغي قدس سره قال: أنا أحلف على غوثيّته بالطّلاق؛ لأنّي كنتُ من أبداله قدس سره، والأبدالُ إنّما يكونون تحت يد غوث الوقت ومن خادميه، وكان الغوثُ قدس سره يُرْسِلُنا إلى الممالك البعيدة بالأبْداليّة وطيّ الأرض، وإذا أصاب أرجلنا لحجرٍ أو شجرٍ لا نَحُسُّ بشيءٍ من الآلام، ولما رجعنا إلى دولة الحضور؛ رأينا أرجلَ الغوث قدس سره يقطر منها الدّمُ، وهذا من أقوى الأدلّة على تلك الدّعوى. مع أنّي أعلم يقيناً أنّه تقطّبَ بعد ذلك بدليلٍ قويٍّ، ولكن لا أحلفُ عليه(2)؛ لأنّه رتبةٌ بين الله تعالى وبين العبد، وذلك الدّليلُ: هو أنّ الغوثَ مأمورٌ بأمر القطب، وكان يجيءُ له الأمرُ من السيِّد الفدويِّ قدس سره، وهو إذ ذاك كان قطباً عامّاً.

وبعد أن توفي القطبُ السيِّدُ الفدويُّ قدس سره كان يُرسِلُ في مهمّاته إلى الشّيخ عثمان الطّويلة(3) خليفة مولانا خالد قدّس الله أسرارهم العليّة، ويمتثل بأمره، فعلم أنّ القطبيّةَ العامّةَ انتقلتْ إلى الشّيخ عثمان قدس سره.

(1) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

(2) في (ب): (على ذلك).

(3) في (ب): (الطويلى).

وبعد أن انتقل هو أيضاً إلى رحمة ربه تعالى كان يرسل إلى السيِّد نور الدين البريفكيِّ قدس سره، وكان قادريّاً، ولا نعلم يقيناً أيُّهما كان قبل الآخر، ويقول للقاصد: قل له: فلينْبِئْنا بما لا يضرُّ الطَّريقةَ النَّقشبنديَّةَ، [١٨] وليأمرنا نَمتثِلْ به. وبعد انتقال ذلك السيِّد قدس سره إلى رحمة الله تعالى لم يُراجع الغوثُ قدس سره إلى أحدٍ، فعلم من ذلك أنَّ القطبيَّةَ انتقلتْ إليه أيضاً. انتهى دليلُ الأستاذ الأعظم قدس سره.

وأما دليلُ علّامة الزّمان، وأعجوبة العصر والأوان، حضرة الشيخ خالد الشِيْرويِّ الأولَكيّ قدس سره؛ فهو أنَّه قال: قد كنتُ أعلم أنَّه غوثٌ، فكنتُ يوماً قاعداً في حُجرتي الخاصَّة بي، إذ ألقى الشَّيطانُ اللَّعينُ في رُوعي شُبهة أنَّه غوثٌ أوْ لا - أي: جعلني في الشُّبهة -، والحالُ أنَّه كان يقيناً، فسمعتُ صوتَ الأذان، فأسرعتُ إلى الصَّلاة، فألقى اللَّعينُ في الخاطر أنَّه إن كان غوثاً؛ يقدرُ على جلبِ العلم من العالِم، فيجعلُه جاهلاً صِرْفاً، فدخلتُ المسجدَ، فإذا النَّاسُ مشتغلون بالنَّوافل، وصلّيتُ أنا أيضاً نافلةَ الوقت.

ثم قال الغوثُ قدس سره: تقدَّمْ يا أستاذ، وَصَلِّ بالنَّاس إماماً، فتقدَّمتُ، ونويتُ الصَّلاةَ، فوجَدْتُني جاهلاً بحيث لا تجيءُ على خاطري الفاتحةُ ولا غيرُها، فنويتُ الخروجَ من الصَّلاة، وعيّنْتُ واحداً من الجماعة نائباً عنّي، فصلى بالنَّاس، وخرجتُ من المسجد، وترنَّمتُ بهذا البيت:

رَهْنُمَـاءُ وشَـيخ وبيـرى(1) صَـبغة الله المَـدَد

شـاه وسـلطان سـريرى غـوث أعظـم المـدد

فلما خرج الغوثُ قدس سره بعد إتمام الصَّلاة من المسجد؛ ألقى الأستاذُ الشيخُ خالد قدس سره نفسه على قدميه، وقال: لا تؤاخذني بالخَطَرات القهريَّة، وتُبْتُ منها إلى الله تعالى، فأمره الغوثُ قدس سره بأن اذهب وصلِّ فريضَتَك.

وكان الأستاذُ الشَّيخُ خالد قدس سره عالمـاً ماهراً، حتى إنَّ الغوثَ قدس سره سأله: ما مقدارُ علومك؟ فأجابه قدس سره: كمقدار علوم السَّعْد التَّفتازانيّ والسيِّد الشَّريف الجُرجانيِّ رحمهما الله معـاً. فسأل عنه بعض الرِّفقة: كيف أجبتَ كذلك؟ قال: لَمّا كان السَّائلُ شيخي الغوثَ قدس سره؛ وجب عليَّ أن أجيبَه حسب يقيني، ولو كان هذا السُّؤالُ من بعضٍ منكم؛ لأجبتُ بأنّ عِلمي مقدارُ علم الطَّلَبة الذين يقرؤون «شرح المغني» في بداية النحو.

ونقل عن الشَّيخ الأكبر شيخ الشَّريعة والطَّريقة الشيخ فتح الله قدس سره [١٩] قال: كنا نقرأ «تفسير البيضاوي» على الأستاذ الشَّيخ خالد الثَّاني الأولكيّ قدس سره، وكان بأيدينا سبعةُ حواشٍ من حواشيه، وإذا تخالَفَتْ يقول الأستاذُ: هذا يقول هكذا(2)، وهذا يقول كذا، إلى أن يأتيَ على الجميع، ثم يقول: ويقع في خاطري أنَّ معناه هكذا، فنتأمَّلُ فيه، فنراه أنَّه أحسنُ من الجميع،

(١) في (ب): (وشيخ بيرى).

(٢) في هامش (أ): (خ: كذا).

وفي بعض الأحيان يتعمَّقُ فيه، ويبدي عجائبَ لم نَرَها(1) إلا منه قدس سره.

وعن الأستاذ الشَّيخ عبد القهّار الذُّوقَيْديّ خليفة الأستاذ الأعظم قدس سره أنَّه قال: سمع جماعةُ علماءِ بيت الأستاذ المَلَّا خليل الإسْعرديِّ رحمه الله أنَّ الغوثَ حين ركوبه دابَّتَه يضع قدمه على ظهر الأستاذ الشَّيخ الملّا خالد الثانيّ، ثم يركب، فعيَّر عليه ذلك كلُّنا، أي: كيف يَهون عالمٌ كبيرٌ ويضيّع حرمةَ العلم.

ثم لما جاء إلى إسْعَرد، وزار أولادَ الأستاذ المَلَّا خليل رحمه الله، ورضي عن الجميع، فأقبل عليَّ لما كنتُ فردَ أبي، وتكلَّم معي، وسأل عن قِراءتي، فقلت: أقرأ «المطوَّلَ على التلخيص»، فدعا لي كثيراً، وقال: جعلك الله مثلَ آبائك في الدَّرجات والعُلوم، فقلت له بناءً على ذلك التَّعيير: أخذ اللهُ منا الموجودين الآنَ العلمَ؛ إذ لم يبق له حُرْمَةٌ، فغاب سُوَيعةً في التَّفكير، ثم رفع رأسَهُ، وقال: إنَّ النَّاسَ يُسَمُّونني عالمـاً، ولكن ليس لي أُميدٌ في علمي، سوى أنَّ الغوثَ الأعظمَ قدس سره كان يضع قدمه المباركةَ مراراً على ظهري حين يركبُ دابَّتَه، فانتبه من غفلته الأستاذ الشيخ عبد القهار رحمه الله، وقال: ليس لنا حقٌّ أن نتكلَّم في هؤلاء السَّادات؛ لأنَّهم جواسيسُ القلوب، فجعل الأستاذُ الشَّيخُ خالد ما في خاطري جواباً لما أَسْرَرْتُه.

ومما وقع من الغوث الأعظم قدس سره: أنَّ خادمةً له مرض ابنٌ لها،

(١) في (ب): (لم نراها).

وأشرف على الموت، فجاءتْ إليه (قدس سره)، وتضرَّعتْ لديه، وطلبتْ منه إرسالَ الهمَّة العالية لشفائه، فقال (قدس سره): لا يسعني، وكرَّرت التَّردُّدَ إليه والاقتراح، فقال (قدس سره): جاء المَلَكُ[1]، فلا يفيد الدُّعاءُ؛ لأنَّه لا يذهبُ إلا بالرُّوح، فما قطعت التَّردُّدَ والاستمدادَ حتى ذهب (قدس سره) إلى ابنها، فبدَّل روحَه (قدس سره) عن روحِه، فتغيَّرَ لونُه (قدس سره) واضطرب، حتى أَحَسْنا بالاستبدال، فوقع البكاءُ والصِّياحُ [٢٠] بين النَّاس، وأقبلوا على الخادمة بالعتب وبالزَّجْر والملام، فإذا جاء مريدٌ فقيرٌ ظاهرٌ حالُه، وعلى عاتقه حُزْمَةٌ من حطبٍ، فأحسَّ بذلك، وطرح حُزْمَتَه، وفدى روحَه عن روحِه المقدَّس، فمات الفقيرُ في الحال، واستراحَ الغوثُ (قدس سره) وابنُها معاً.

ووقع ما يَقْرُبُ من هذه الواقعة لخليفته وخليفة خليفته ولمن بعدهم من الخلفاء المنسوبين إليهم قدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّةَ، وإن يسَّر اللهُ تعالى لنا نذكُر كُلًّا في موضعه.

ومما وقع للغوث الأعظم (قدس سره) فقط، ولم يُسمعْ وقوعُه لأحدٍ من المشائخ الكرام سوى النبيّ المختار عليه وعلى سائر الأنبياء الصَّلاةُ والسَّلامُ: أنَّ شيطانَهُ آمن بالله تعالى، كما حكاه الأستاذُ الأعظمُ (قدس سره) عنه، وقال: إنِّي اطَّلعتُ أيضاً على ذلك.

وبعد أن أذِنَ له شيخُه السَّيِّدُ الفدويُّ (قدس سرهما) أمره أن يَسكُنَ في قريةٍ في

(١) في (ب): (جاء الملك الموت).

الغِياض لا يتطرَّقُ إليها المراكبُ، وفي قُلَل الجبال والصُّخور، وأظنُّ أنَّ الحكمةَ في ذلك: أنَّ السيِّدَ الفدويَّ (قدس سره) استشرف ـ كما هو من دأبه[1] ـ أنَّ فتحَ تلك القُرى والأماكن لا يُمكنُ إلا على يد مثله، وقد حصل المرادُ، فامتثل بذلك الأمر العالي، وقصد مكاناً كما أمره شيخُه الفدويُّ (قدس سره)، فَسَبَرَ القُرى وطُرُقَها، فلم يَرَ قريةً بتلك الأوصاف، فرأى أنَّ كلَّ قريةٍ لها طريقٌ، وهو (قدس سره) يقول: هذه لا تصلحُ لي، ولا تصلحُ، ولا تصلحُ، إلى أن وصل إلى قريبٍ من قرية كُولات ـ قريةٍ في هيزان ـ؛ رأى أهلَ القرية قد جمعوا فواكههم في السُّلل، ووضعوها على قارعة الطَّريق، وهم قعودٌ عندها، فلما أن وصل الغوثُ (قدس سره) إليهم سلَّم عليهم، وسألهم: ما شأنكم هكذا؟ فأجابوا: بأنَّ الحيواناتَ الحَمولةَ كالبغال ونحوِها لا تصل إلى قريتنا، فنأتي بأحمالنا على أكتافنا إلى هنا، ثم نكتري الحَمُولَة للنَّقْل إلى بِتْليس[2] للبيع. فقال الغوثُ (قدس سره): إنَّما مكاني ـ أي: الصّالح لسكناي ـ هذه القريةُ، فاختارها بعد أن سألهم: هل لكم إمامٌ؟ فقالوا: قد كان، ولكن ترك قريتنا وذهب، فقال الغوثُ (قدس سره): أترضون بي إماماً لكم؟ فقالوا: فَادْخُل القريةَ، وتكلَّم معهم، ففعل، ورَضُوا به (قدس سره) إماماً.

[٢١] وبقي هنالك زماناً إلى أن أيقنوا أنَّه من ذوي القلوب، وأنَّه مرشدٌ كاملٌ، فتمسَّكوا به، وأخذوا منه الطَّريقَ، وتركوا حَلْقَ لحاهم، وأطالوها،

(١) في (ب) وهامش (أ): (عادته).

(٢) في (ب): (بدليس).

وانتشر أمرُه ﵁ في تلك الحوالي كنفح المسك العَبيق لا تُستَر رائحتُه، فأمر بعضَ مريديه ذوي اللُّحَى أن يذهبوا لمجيء بيته من قرية آرواس[1]، فلما انفصل المأمورون بالذَّهاب من القرية؛ وقعتْ مقاتلةٌ وخصامٌ شديدٌ في القرية، بحيث تعب الغوثُ ﵁ كثيراً في التَّفريق بينهم، وغضب ﵁ من تلك الوَقعة السَّيِّئة، وقال لبعض أهل القرية: أَرْجِعُوا من ذهبوا لمجيء بيتي، ولا أرضى بالمقام هنا، وإن لم يرجعوا أَحْلِقْ لحاهم التي أمرتهم بإرسالها، فامتثل أولئك البعضُ، وذهبوا حتى وصلوا إليهم، وبلَّغوهم أمرَ الغوث ﵁، فقالوا: والله لا نرجعُ إلا[2] أن نأتي ببيته، فإن شاء؛ فليحلق اللّحى، فإنَّه الآمرُ بإرسالها، وإن شاء فليُبْقِها. فلما أن جاؤوا بالبيت بلُّوا لحاهم، وذهبوا إليه، وقالوا: جئنا ببيتك والحمد لله، فها نحن أمامَك مبتلّةَ اللّحى، فإن شئت فَاحْلِق، وهاك المُوسى، ففرح بما جرى، وتركهم على حالهم.

** ** **

(١) في (ب): (آرفاس).

(٢) في (ب) وهامش (أ): إلى.

[مبحث][1]

مبحث تسليم الشيخ خالد الأولكي

وبعد ذلك استسلم له أكابرُ العلماء، وآحادُ الفضلاء، واجتمع لديه النَّاسُ، فسمع أخبارَهُ منهم العالمُ النِّحريرُ، والمدقِّقُ الشَّهيرُ، شافعيُّ زمانه، ومفتي عصره وأوانه، ما من عِلمٍ إلا وهو فيه أَلْمَعِيٌّ، وما من فَنٍّ إلا وهو فيه لَوْذَعِيٌّ، العالمُ الرَّبَّانيُّ، الشَّيخ خالد العُمَرِيّ الشِّيروانيّ ﵁، وكان معظَّمًا عند النَّاس، ومُهابًا لديهم؛ لوفور علمه، وتَقَوّيه بأولى الأمر في زمانه، فوقع في نفسه أن يذهب إليه مُمْتحِنًا إيّاه، فإن رآه قابلاً للهداية؛ فبارك الله فيما يفعلُه، وإلا؛ فأخرجه من المملكة، فلا يُفسِدُهم، فاستحضر في نفسه سبعةَ عشرَ مسائل من غوامِض مسائل الفقه والطَّريقة ليسألَه عنها، فإن أجاب؛ فذاك، وإلا؛ فيفعل ما سبق.

فقصد الغوثَ ﵁، وقد كان إذْ ذاك في المُنتجعات الصَّيفيَّة تحت مَظلّة عريشٍ أو قشٍّ أو طنفسةٍ أو نحوها، فلما تراءَى [٢٢] ذلك الأستاذُ لهم؛ عرفه النَّاسُ، وأخبروا بذلك الغوثَ ﵁، فأمرهم بالذَّهاب لاستقباله تشييعًا له، فلما قَرُبَ من العريش استقبله الغوثُ ﵁ بنفسه تعظيمًا لعلمه، ففرح كلٌّ بالآخر، وجلسوا.

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

وبعد أن أشبعوا المجلسَ من الكلام، قال الغوثُ لبعض الصوفيَّة: إنَّ بعضَ الأكابر من العلماء في مملكةٍ ذهب إلى مرشدٍ في تلك المملكة، وجعل في نفسه أن يسأله عن أسئلةٍ، فإن أجاب يقول: بارك الله فيما يرومُ، وإلا؛ فَأخرَجَه من المملكة، فوقع في المجلس أحاديثُ أُخرى، وأطالوا فيها، ثم لما انقطع الكلامُ والأخبارُ سئل ذلك الصُّوفيُّ: ما أتممتَ لنا خَبَرَ العالم والشَّيخ: هل ذهب العالمُ أم لا؟ فقال: نعم، ذهب، وأحضر في نفسه المسألةَ الفلانيَّة والفلانيَّة إلى ثمانِ مسائلَ من المسائل التي أحضرها الأستاذُ الشيخُ الملّا خالد ﷺ، فعند ذلك خَرَّ الأستاذُ كالصَّريع غائبـًا عن وجوده، فتدحرج عمامتُهُ من على رأسه، فوضع الغوثُ ﷺ رأسَه على رُكبتِه، وقال: أَلْبِسوه عمامتَه، فلما أفاق، ورأى رأسَهُ على ركبة الغوث ﷺ؛ قعد جالسـًا، وقال: والله إنَّ ذلك العالِمَ أنا، والمرشدَ أنت، والمسائلُ هي التي أحضَرتُها لأمتحِنَك بها، فالآن تُبْتُ إلى الله تعالى من تلك الخَطَرَات في حقِّك، فاجعلني في حِلٍّ، فاستسلم له، ووقع على يديه، ودخل في طريقته مع كمال الإخلاص، ووفور المحبَّة القَسْريَّة.

وبعد أيَّامٍ استأذن من الغوث ﷺ أن يذهب إلى بيته في مملكته بشيروان، ويجيزَ الملّا عبد الرحمن، فإنَّه تمَّمَ عنده قراءته العلومَ الظَّاهريَّةَ، وقد ذهب إلى المملكة ـ أي: بهتان ـ لإحضار من يريد إحضارَهُ من الأقارب والأحبَّة لمَحْفَل الإجازة، فأذن له الغوثُ الأعظمُ ﷺ، فذهب، وقضى أمرَ الإجازَة،

فرجع هو والملّا عبد الرحمن معـًا، فحينما وصلا إلى دولة الوصال، وقصدا تقبيلَ يد الغوث ﷺ؛ أصابت الملّا عبد الرحمن جذبةٌ شديدةٌ، وكان كلّما يقصد تقبيلَ اليد المباركة تعتريه تلك الجذبةُ، ولا يمكنه التَّقبيلُ.

وهذا الذي ذكرناه هو السَّببُ الظَّاهرُ [٢٣] لتسليم ذَيْنك العالِمَين الجليلين لسيِّدنا الغوث ﷺ.

وأما السَّببُ الحقيقيُّ؛ فهو إرادةُ الله تعالى، وعنايتُه بهما لتزكية قلوبهما، وإعلاءِ درجاتهما، قدَّس الله أسرارَ الجميع، وذلك فضلُ الله وكبيرُ نعمته عليهما، حيث أرسلهما إلى كوثر تطييب أسرارهما وقلوبهما.

** ** **

[مبحث](١)

تسليم الأستاذ الأعظم الشيخ عبد الرحمن التاغي

وأما تسليمُ حضرة الأستاذ الأعظم مولانا الشَّيخ عبدِ الرحمن التَّاغي للغوث الأعظم ﵁ بعد أن كان مأذونـًا في الطَّريقة القادريَّة من طرف الشَّيخ عبد الباري الجرجانيّ خليفة السيِّد نور الدين البريفكيّ القادريِّ ﵁، وكان السيِّدُ نورُ الدين ذلك ﵁ قطباً للأولياء في زمانه كما نُقِلَ عن الغوث الأعظم ﵁، فقد كان في جوارِه مريدٌ كاملٌ للغوث ﵁، وكلّما يزورُ الغوثَ ويرجعُ كان يستهزئ، ويقول: ما يقول شيخُك؟ وأيُّ شيءٍ بَيْن أولئك المريدين؟

ففي مرَّةٍ قال ذلك المقالَ على عادته، فتأثَّرَ ذلك المريدُ من ذلك، وأجابه من فَرْط غَيْرته: ليتك عَبَرْتَ من نهر كِنديك ـ قرية بهيزان ـ، ثم قُلتَ ذلك المقالَ، وقال: إنَّ نِسبَتَه لم تَعْبُرْ بعدُ إلى هذا الطَّرَف، وإلا؛ فلم تَقُل مثلَ تلك المقالات، فأثَّر ذلك الكلامُ في الأستاذ ﵁ تأثيراً بليغـًا لا مزيدَ عليه، فبناءً عليه قال للمريد: أَلَا تجيءُ أن نَزُور شيخك؟ فقال: بلى، على الرَّأس والعين، فقال له الأستاذُ ﵁: متى نذهب؟ فقال ـ مع امتلائه من الفرح، وظهور البَشاشَة في وجهه، ورُؤي منه الفرحُ والسُّرور ـ: فالآن.

فسافرا إلى أن جاوزا نَهْرَ كِنْدِيك، وقال الأستاذُ: حقّـًا تبدَّلَ الحالُ لي

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

من هنالك، فلما وصلنا إلى كعبة الآمال، وحصلتْ دولةُ الوصال؛ كان الوقتُ بعد صلاة المغرب، وكان الغوثُ والجماعةُ كلُّهم في الرَّابطة، فلما تأمَّلْتُ في صفوفهم؛ شبَّهتُهم بصفوف الملائكة الكرام حول عرش المَلِك العلَّام. وبعد أن رجع من تلك المراقبة والرَّابطة؛ زُرْناه وتشرَّفنا بلُقياه، ولله الحمد. وبقينا عنده يومين أو ثلاثةَ أيامٍ.

ثم استأذنتُ في الرُّجوع، فرجعتُ إلى بيتي ممتلئـًا من الشَّوْق والمحبَّة ما لا مزيدَ عليهما(١)، حتى لم يَبْقَ لي طاقةٌ على الفِراق لحظةً، فأجبرني [٢٤] الشَّوْقُ إلى أن ذهبتُ إلى شيخي الشَّيخ عبد الباري ﵁، وقلتُ له: لقد رأيتُ ذلك الشَّيخَ الكُولاتيّ، فجلب منّي ربقةَ الاختيار من جهة المحبَّة القَسْريَّة، فماذا تأمرني به؟ فأجابني بقوله: هل تشكُّ في إيماني؟ وما تظنُّ بي؟ فإن تعلَمْ أنَّ الوصولَ إلى الله تعالى يتيسَّرُ لك عنده؛ فاذهبْ إليه، ولا تُمهِل، وأرضى بذلك.

فهذا نتيجةُ رؤية الأستاذ له، فتسليمُه له قدَّس اللهُ أَسرَارَهُمْ وَأَرْوَانَا مِنْ بِحَارِ أَنْوَارِهِمْ.

وبعد ذلك انقطع بالكُلّيَّة عن الأهل والأولاد والأموال، ولازَمَ ركابَ الغوث في كلِّ الأحوال، وسلَّمَ إليه كلَّ الاختيار، وبقي على الاصطبار في متاعب السُّلوك، ومدَّةُ ذلك الانقطاع كانت تسعَ سنين تقريبـًا: خمسةً عند

(١) في (ب) وهامش (أ): (عليه).

الغوث الأعظم ﵄، صيفُها في برميس، وشِتَاؤها في كُولات، وربيعُها في جمي خاني أو خاني بروزا وقصران، وسنةً شتاؤها في غيداء، وصيفها في كورة دان.

وفي تلك المُدَّة لم يذهبْ إلى أهله إلا بعد أمر أستاذه الغوث ﵄ أمراً شديداً، حتى سمع أنَّ ابنَه المَلّا عبد الرحيم أبا الشيخ معصوم رحمةُ الله عليهما رحمةً واسعةً انكسر رجلُه، فلم يذهبْ إلى بيته، فلما سمع الغوثُ ﵁ ذلك أجبره على الذَّهاب، وقال له: اسكُنْ ليلةً واحدةً، فذهب ولم يصل إلى بيته، وذهب في طريقه إلى بيت عَبْدي بك زوج ميرانة رحمهما الله تعالى، وسرى في الصُّحبة، ودامتْ واشتدَّ غَلَيانُها في القلوب إلى أن قَرُبَ المساءُ، فلم يمكنه ﵁ الذَّهابُ إلى بيت نفسه، وبَقِيَ في بيت عبدي بك ﵀ تلك الليلة.

وبعد الغَدِ ذهب وقعد في بيته ساعةً، فقام وقصد الإيابَ إلى بيت الشَّيخ الغوث ﵄، فقالت له زوجتاه الكريمتان: إيْش هذا الذي تفعل؟ فأجابهما بأنِّي أذهب إلى الغوث الأعظم ﵁، ولم يَزِدْ على ذلك، فأقسَمَتا بالله: إنَّك لا تذهبُ إلا بعد تطليقنا، فقال: لا أُطلِّقُكما الآن، ولكن أفوِّضُ أمرَ التَّطليق إلى خالي الملّا عبد الله، فإن دُمْتُما على تلك الفِكرة إلى سبعةِ أيّامٍ؛ فليُطلِّقْكما عليَّ. ثم قال لهما: أعطِياني خُبْزاً، فما أَعْطَتاه، وقام بنفسه فوجد خبزين[1] في طَسْتٍ، فأخذ أَحَدَهما، وترك الآخَرَ، وراح في سبيله. فلما

(١) في هامش (أ): (خ: قُرْصَين).

عَلِمَتا أنَّ الأستاذَ لا يتركُ [٢٥] الغوثَ ﵄، ولا يبعدُ عنه؛ رَضِيَتا وسكنتا.

وحكى هو نفسُه ﵁ أنَّ أباه الملّا محموداً ﵀ مَرِضَ مرَّةً إلى أن أشرفَ على الموت، فأمرني الغوثُ أن أذهبَ إليه، فامتثلتُ، فوجدتُه مريضاً، فبقيتُ عنده إلى وقت العصر، فذهبتُ إلى القُلّتَين المسمّى بكَولا مريدان، وكانت قبلتُه إلى جهةِ قَصْران القَرية التي يَسكُن إذ ذاك الغوثُ فيها، فلمَّا توجَّهتُ القبلة، ورأيت جِهَتَها؛ أخذني اضطرابٌ واشتياقٌ شديدان، فذهبتُ إلى أبي، وقلت له: كيف أنتَ؟ فقال: والحمدُ لله أنا طيّبٌ، وقد أكلتُ شيئاً من المرقة، فقلتُ: إنَّ الغوثَ ﵁ أرسل قاصِدَين لأسرع إلى الحضرة، فقال الأبُ: فليجئ القاصدان لأزورهما، فقلتُ: إنِّي أرسَلْتُهما إلى الموضع الفُلانيّ حتى أَستودِعَكَ، فألحَقَ بهما، فقال: لا يمكن ذهابُك؛ لأنَّ السَّماءَ مغيمةٌ، والوقتَ قريبٌ من المغرب، والمسافةُ بيّن أوسپ ـ أي: القرية التي كان أبوه إماماً فيها إلى أن توفِّي فيها، ومرقدُهُ هنالك يُزار ـ وبين قصران ـ القرية التي كان الغوثُ ﵁ إذ ذاك فيها ـ ساعتان ونصفٌ للمُجِدِّ، والطَّريقُ وعرٌ، وفيه نهرٌ عظيمٌ بلا قنطرةٍ، فقلتُ له ﵀: إن لم أذهبْ كنتُ عاصياً لأمر الشَّيخ ﵁، فقال: إذاً أنت مخيَّرٌ، فذهبتُ، ففاجأني المطرُ وقت الخروج من القرية وظلامُ اللَّيل، فما أَحَسستُ بذهابي إلا[1] أنِّي رأيتُني على طرف دارٍ من قصران، فسكنتُ هنالك، وتغنَّيتُ إلى أن انفتح بابُ دارٍ فيها

(١) في (ب): (إلى).

الغوثُ الأعظمُ ﷺ، فسمعتُ صوتَهُ يقول لخادمه: أليس هذا صوتُ عبد الرَّحْمانِ المجنون.

ودام على ذلك الانقطاع الكليِّ، وعقدِ منطقةِ خدمة الغوث على وسطه ﷺ، وحصل لأهله مشاقٌّ وفاقةٌ شديدةٌ، بحيث يدور أولادُهُ على الأبواب بعد أن كانوا على سرور العزَّة، وسَعةِ الحال؛ لأنَّ أولادَهُ كانوا صغاراً، وليس له ﷺ قريب يتكفَّلُهم ويحفظهم من شَتْم أهل القرية، وكَسْر حرمتهم، وضَرْب صغارهم، وكانت له زوجتان صالحتان تحملان الأشياءَ على أكتافهما، مع أنَّهما من أهل العزِّ والفخامة.

وسمعتُ من بعض الثِّقات: أنَّ واحدةً من حَرَمه المحترمةِ أرسل إليه هذا البيتَ باللُّغة الكرديَّة: [٢٦]

أَفينيُا فان[1] سالا مينان كايني لِكَنْدالَا

بهاران ثرينه با بيزان دِمينِنَه فالَا

فأرسل الأستاذُ ﷺ جوابًا لها:

أَزلاوِكم لاوكي شيروى مَه نَه ثر خَلْقِ وَلات ثر يرى مَه

لِسَر عَهد وبيمانا[2] خوى بري مَه

(١) في (ب): (أفينافان).

(٢) في (ب): (وبتيمانا).

والحاصلُ: أنَّه تركهم لله، وليس لهم كافلٌ سوى الله، فكفَّلَهم أحسنَ كفالةٍ، ونِعم الكفيلُ، والحمدُ لله الجليل. هذا ما قاساه أهلُه إلى أن فتح اللهُ عليهم البابَ.

وأما ما قاساه هو نفسُه ﷺ؛ فمنه أنَّه كان يَقْعُد على حَجرٍ مقابل كُوَّة حُجرةِ شيخه الغوث ﷺ إلى الفجر، والوقتُ له في ذلك سواءٌ صيفُهُ وشتاؤُه.

ونقل واحدٌ أنَّ الغوثَ ﷺ خرج من البيت، والخادِمون يَكْسَحون الثَّلْجَ، فذهب واحدٌ منهم ليَكْسَح ما تراكَمَ عليه، ولا يعلم أنَّ تحته أحداً، فنهاه الغوث ﷺ عن القُرْب إليه، وقال: إنَّ تحتَه عبدُ الرحمن، ثم ناداه، فقام من بين الثَّلْج على قدمَيه.

وحكى ابنُه حضرةُ الشَّيخ محمد ضياء الدِّين ﷺ: أنَّه حين بناء الجسر على نهر الفُرَات قد غَمَزَ مرَّةً رجلَه المباركةَ، فرأى خِنصِرَ رجله ساقطاً، فقال: فداكَ نفسي، ما بالُ خِنصر رجلك؟ فقال له: هذا شاهدُ صدقٍ على محبَّةِ أبيك للغَوث الأعظم ﷺ، فحكى وقال: قد احترق قلبي في ليلةٍ شاتيةٍ بنار محبَّته، واشتقْتُ إلى لقائه، فلم يتيسَّرُ؛ لِمَا أنَّ الغوثَ ﷺ لم يجئ إلى المسجد من شدَّة البرد، فقعدتُ[1] على حَجرٍ[2] تجاه[3] منزله الشَّريف،

(١) في هامش (أ): (خ: فقمت).

(٢) في (ب): (حجرة).

(٣) في (ب) وهامش (أ): (في مقابلة).

فغبتُ عنّي، فجاء الثَّلجُ المبتلُّ عليَّ، فابتلْتُ[١] منه، ثم اشتدَّ البردُ، وصار السَّماءُ صَحْواً[٢]، فما أَحَسْتُ بشيءٍ إلى أن حرَّكني واحدٌ، وقال: الصَّلاةَ، وكاد أن تفوتَ الصَّلاةُ، وقد انجمدتْ رجلي على الحجر، فلما رَفَعْتُها بقي خنصري عليه[٣].

ومن شاهد صدقٍ أيضـاً على تلك المحبَّة الصَّادقة: أنَّ المريدين كانوا ينقلون الأحجارَ من مزرعةٍ للغوث (قدس سره) على ظهورهم وأكتافهم، وكان هناك حَجرٌ عظيمٌ، فحمله الأستاذُ (قدس سره) على ظهره، فرآه الغوثُ (قدس سره)، فقال: أمّا أنتَ؛ فلا تُلْقِ الأحجارَ، فحملَه على ظاهره[٤]، وأبقى الحجرَ على ظهره، حتى تزلْزَلَ رجلاه تحتَه من ثِقَل الحجر، فلما أعلموا الغوثَ بذلك؛ أمره بالإلقاء (قدس سرهما)، فألقى، ونشأ من ذلك ضعفٌ في ظهر الأستاذ (قدس سره)، وبقي إلى [٢٧] أن انتقل إلى رحمة الله جلَّ جلالُه.

ومنه أيضـاً: مرورُ حَيَّةٍ على فَخِذ الأستاذ في صُحبته العالية (قدس سرهما) مع عدم الالتفات والفِرار منها.

وذهب الغوثُ الأعظمُ (قدس سره) مرَّةً إلى قرية شِيبو من قرى ملاذكرد، ولم يكن الأستاذُ الأعظمُ (قدس سره) أوّلاً معه، ثم تعقَّبه، وذهب إلى قرية تِرْتُوب،

(١) في هامش (أ): (خ: فابتللت).

(٢) في هامش (أ): (خ: مُصْحياً).

(٣) في (ب): (على الحجر).

(٤) في هامش (أ): (خ: الظاهر).

ورجلاه تنفَّطتا وجُرحَتا، ينقطُ منهما الدَّمُ، فقال لزعيم القرية: أعطِني مَرْكبـاً إلى القرية الفلانيَّة، وبيَّن له الحالَ، فأجابه (قدس سره): ما لكم ولشَيخِكم، تطوفون في القُرَى، وما لكم مركوبٌ، وتسألونَ المركوبَ؟ وليس عندي شيءٌ منه الآن، فمن أين آتي لك به؟ فذهب من عنده خائبـاً تاعِبـاً، إلى أن وصل إلى دولة حضور الغوث (قدس سرهما)، فزاره، ثم ذهب إلى العين، وكانت مُسَقَّفَةً، فأدلى رجليه إلى العين، ثم أخرجهما، فاضطجع على حجرٍ مُصَلّى عليه، وغلبَتْه عيناه، فنام (قدس سره) والدَّمُ يقطر من رجليه، فجاء الغوثُ (قدس سره)، ورآهما كذلك، فقال: عفا اللهُ عني بخاطر هاتين الرِّجلين المخضوبتين في سبيل الله تعالى.

ونحن وإن لم نكن بصدد ذكر الكرامات والاستشرافات على المغيَّبات لكثرتها، وذكَرَها غيرُنا لتتميم مرامهم، ومساعدة مقامهم، لكن نذكرُ بعض الغرائب التي صدرتْ، ولا نظنُّ أنَّها شاعتْ شيوعـاً عامّـاً، حتى إنَّها رُؤِيَتْ من الحيوانات.

منها: أنَّه وقعت المقاتلةُ بين أهالي قريةٍ تسمَّى بالوَرَبين، وقتل فيها واحدٌ، ولم يقدر أيُّ أحدٍ أن يحُلَّها ويُصَفِّيها، فذهب كلبان من كلاب الغوث الأعظم (قدس سره) إلى تلك القرية، وبينها وبين قرية الغوث مسافةٌ غيرُ قليلةٍ، فدارا في القرية إلى أن جلسا في الطَّاقة العليا من دار صاحب المقتول، فضيَّفَهما[١]، وذبح لهما شاةً[٢]، فلم يأكُلا شيئـاً من الخُبز واللَّحم، ولم

(١) في هامش (أ): (أي: بعد أن أعرف أنهما من كلاب بيت الغوث).

(٢) في هامش (أ): (خ: غنمـاً).

يفارقا تلك الدَّارَ إلى أن عُفي القاتلُ، فرَضِيَا، وأكلا مندوبتهما، ثم ذهبا.

ومنها: أنَّه كان يوماً السَّطلُ الكبيرُ ممتلئاً لحماً يغلي على النَّار، فجاءت هرَّةُ الغوث (قدس سره)، وصوَّتتْ، ودارتْ حول السَّطل، وكانت تشيرُ ولا يفهمُ أحدٌ منها شيئًا، حتى رأت [٢٨] الخادمةُ ذلك، وقالت: إنَّ الهرَّةَ جائعةٌ، فأخذتْ قطعةً من اللَّحم، وألقَتْها أمامها، فشمَّتها، ولم تَقْرَبْها، وفعلت كما كانت تفعل أوَّلاً من الصِّياح والدَّوران حول السَّطل، فقالت الخادمةُ منضجرةً عنها: لا تأكلين ولا تسكتين، فدفَعَتْها بعنفٍ وأبعدتها، فتشَجَّعت الهرَّةُ، وألقتْ نفسها في السَّطل حتى استَهْتَرتْ، فذُكِرَت الحادثةُ للغوث (قدس سره) فقال: أهريقوا السَّطلَ، فإنَّها تنجَّست، فلما أراقوها وجدوا فيها حيَّةً مطبوخةً مستَهْتَرَةً.

يروى أنَّه جرى البحثُ يوماً في مجلسٍ من مجالسهم العليَّة عن القبر والسُّؤال فيه، وكانت إذ ذلك في المجلس امرأةٌ عجوزةٌ، وقالوا: إنَّ المَلَكَيْن يسألان عن كذا وكذا، وبيَّنوا لها ما يَسألان عنه في القبر من الميِّت بعد الدَّفن، فقالوا لها: ماذا تجيبين عن سؤالهما من تلك الأشياء؟ فقالت: واللهِ لا أعلمُ شيئًا مما تقولون، ولكن أقولُ لهما: أنا فلانةُ بنتُ الفلان[1]، وأنا مريدةُ الغوث الأعظم (قدس سره)، فقالوا: لا يُفيدُكِ ذلك شيئًا، فقالت: واللهِ لَيُفيدَنَّ ذلك، وأنجو به، فسمع ذلك الأستاذُ الشَّيخُ خالد الأولكيُّ (قدس سره)، فقال: ليتَ هذا الاعتقادُ كان لي، ولم يكن لي شيءٌ سواه من العلوم والأعمال.

(١) في (ب): (الفلانة).

يُروى أنَّ رجلاً كاملاً من أهالي هيزان كان يزور أستاذَ الكلِّ في الكلِّ الملَّا خليلاً الإسعرديَّ (رحمه الله) كلَّ سنةٍ، فبعد أن تلبَّس بمحبَّة الغوث (قدس سره)؛ فترتْ تلك الزِّيارةُ سنةً أو سنتين، ثم زاره بعد ذلك، فلامه الأستاذُ (رحمه الله) على تلك الفترة، فقال له: واللهِ ابتُليتُ بمحبَّة شيخٍ جاء إلى مملكتنا، فصار جميعُ أهل المملكة مبتلين بمحبَّته والشَّوْق إليه كلَّ الزَّمان، حتى سلب الاختيارَ من الجميع، لا يقدر أحدٌ على فراقه، فقال الأستاذُ: بيِّنْ لنا بعضاً من أحواله وشِيَمه، فبدأ يذكر له قَدْرَ علمه وقوَّةَ إيضاحه بعضاً من أحواله، فتأمَّل الأستاذُ فيه، وقال: ليته لم يجئ إليكم، فظنَّ الحاكي أنَّه لا يرضى به ويُفْسِدهم، وكرَّر أنَّه عظيمٌ وكريمٌ جدّاً، بحيث كان سبباً لإصلاح أوغاد النَّاس في المملكة، فضلاً عن الأكارم، فقال الأستاذُ: إنِّي لا أشكُّ أنَّه كريمٌ [٢٩] وهادٍ عظيمٌ كما أفهم من كلامك في أوصافه، ولكن أخاف أن لا تمتثلوا بأوامره، ولا تتجنَّبوا[1] عن نواهيه، فتَخربَ المملكةُ نتيجةَ تلك المخالفة. وهذا شهادةٌ عظيمةٌ من مثل ذلك الأستاذ له (قدس سرهما).

ويروى أنَّه سأل عنه بعضُ مريديه عن الخلفاء الثَّلاثة ـ أي: دون ابنه[2] الشَّيخ بهاء الدِّين (قدس سره) ـ، فأجابه: بأنَّ الملَّا عبد الرحمن المجذوبَ فصاحبُ الشُّهود الصَّافي، وأنّ الملّا خالداً فخالدٌ الثَّاني، وأنّ الملا عبد الرحمن التَّاغي فهو بيرُ الصُّحبة.

(١) في (ب): (ولا تجتنبوا).

(٢) في (ب): (ابنيه).

وقد سأل الغوثُ الأعظمُ (قدس سره) مرَّةً عن الأستاذ الأعظم (قدس سره): أنت أيًّا من المقامات تطلبُ؟ فأجاب: بأنِّي لا أبتغي أيَّ مقامٍ، فقال الغوثُ (قدس سره): فأيَّ شيءٍ تبتغي؟ فأجاب: بأنِّي أبتغي محبَّةً مثل محبَّة مولانا الجامي، ووَحدةً مثل وَحدة الشَّيخ محمد شرين المغربيّ، واستغراقًا مثلَ استغراق شمس التبريزيِّ قَدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمْ [العَلِيَّة]، فقال الغوثُ (قدس سره) متغيِّظًا: إنَّك قلت: لا أبتغي مقامًا، وكان الشيخُ محمد شرين المغربيّ قطبَ زمانه، فأجاب الأستاذُ (قدس سره): بأنِّي لا أطلب قطبيَّتَه باركَها الله له، بل أطلبُ وحدةً مثل وحدته فحسب.

ويروى أنَّ الغوثَ (قدس سره) كان جالسًا في مجلسٍ خاصٍّ وحولَه الخلفاءُ الثَّلاثةُ فقط، فقال (قدس سره): هذا الوقتُ وقتٌ يُستجابُ فيه الدُّعاءُ، فليَدعُ كلٌّ منكم، وليسألْ ربَّه ما هو المحبوبُ له، فدعا كلٌّ بما بدا له. ثم قال (قدس سره): أيَّ شيءٍ طلبتُم من الله تعالى؟ فقال مولانا الشيخُ المجذوبُ (قدس سره): إنِّي طلبتُ من الله تعالى أن أدومَ في الجذبة حتى أموتَ فيها؛ لِمَا أنَّ راحةَ قلبي وفرحَ روحي يكونان في حال الجذبة. وقال الأستاذُ الشَّيخُ الملّا خالد (قدس سره): إنِّي طلبتُ من الله تعالى أن أموتَ شهيداً؛ لِمَا تحقَّقَ عندي أنَّ حالَ الشُّهداء أعلى وأحسنُ. وقال الأستاذُ الأعظمُ الشَّيخ عبد الرحمن التاغي (قدس سره): إنِّي طلبتُ من الله تعالى أن يُديمَ العلمَ والعملَ في أهل بيتي وأتباعي. فقال الغوثُ (قدس سره): تقبَّل اللهُ تعالى من كلٍّ منكم مأمولَه، ولكن يحسن أن يُدعَى مثل

ما دَعاه ابن قورو ـ أي: المنحني ظهرُ أبيه ـ، وهو الأستاذُ الأعظمُ (قدس سره)؛ لأنَّ كلًّا منكم دعا لنفسه فقط، وهو دعا لأهل بيته وسائر المسلمين؛ لأنَّ منفعةَ العلم لا تُخطئُ عن أيِّ أحدٍ.

وكان للغوث (قدس سره) خلفاءُ ثلاثةٌ غيرَ ابنه الشَّيخ بهاء الدين (قدس سره)، [٣٠] فسلَّم لكلِّ واحدٍ منهم ابنًا من أبنائه الكبار، فسلَّم الشيخَ بهاء الدِّين القائمَ مقامَه ووليَّ عهده للأستاذ الأعظم (قدس سرهما)، والشيخَ جلالَ الدين للشَّيخ خالد (قدس سرهما)، والسيِّدَ نور محمّد للشيخ عبد الرحمن المجذوب (قدس سرهما).

وصورةُ تسليم الشَّيخ بهاء الدين للأستاذ الأعظم (قدس سرهما) أنَّه قال الغوثُ للأستاذ الأعظم (قدس سرهما): إنِّي أريد أن أجعلك قائمًا مقامي، فاعتذر الأستاذُ (قدس سره) بأنَّ ذلك فوق طاقتي، ولا يليق أن يقومَ مقامَك إلا ابنُك الكريمُ الشّيخُ بهاء الدين (قدس سره) صاحب المحبَّة المجيدة، والنِّسبة الأكيدة، فبعد الإلحاح والاعتذار الكثيرين قال الغوثُ (قدس سره): أجعلُه قائمًا مقامي، بشرط أن لا يخرجَ من أمرك، ولك عليه دائمًا النَّظرُ إلى أحواله.

** ** **

[مبحث][1] أبناء الغوث قدس سره

وأما أبناءُ الغوث الأعظم قدس سره؛ فكبيرُهم الشَّيخُ جلالُ الدين، وكان غَيوراً على إجراء الشَّريعة الغرَّاء، وشجاعاً في أمور التَّكيَّة، وكثيراً ما يذهب راجلاً خلف البغال مع جلالته وشهامته في عيون النَّاس لتحصيل معيشتها، ويخدم لها بنفسه، فيقع عليه النَّظرُ من قطب دائرة الإرشاد السيِّد طه رضي الله عنه، وكان قد قَبِله بالولديَّة والآغائيَّة كما قدَّمنا، وكان يناديه أبوه الغوثُ قدس سره بيا آغا اقتداءً بقول السيِّد له: أنت آغاؤنا. وظهرتْ منه شجاعةٌ في غزوة سنة (١٢٩٣) أي: المائتين وثلاث وتسعين بعد الألف الهجريَّة. وله سخاوةٌ باهرةٌ، وتوفِّي بعد أبيه بسبع سنين، ويتواترُ أنَّ رفقاءه من الضُّبَّاط حسدوه، وسقوه السُّمَّ المُذَفَّفَ الذي لا رائحةَ له في محاربة بايزيد.

وكان بعد وفاة الشَّيخ بهاء الدِّين قائماً مقامَ أبيه الغوث قدس سره، وله عقبٌ كرامٌ أنبتهم الله نباتاً حسناً، وأبّد فيهم الرِّياسةَ والآغائيَّةَ في الدَّارين.

وقد سئل عن الشَّيخ الأكبر الشَّيخُ فتح الله قدس سره: في أيِّ رتبةِ الولايةِ كان الشيخُ جلالُ الدين قدس سره؟ فأجاب: بأنَّه كما كان في الدُّنيا رئيساً وأعلى كعباً من الجميع؛ كان في العقبى أيضاً كذلك.

وأما الشَّيخُ بهاءُ الدين قدس سره؛ فقد بلغ في الجذبة الإلهيَّة إلى النِّهاية،

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

وفاق الأقرانَ في المحبَّة إلى أقصى الغاية، وكان له تصرُّفاتٌ عجيبةٌ، وما وقع نظرُهُ [٣١] على أحدٍ إلا سقط على الأرض مغشيّاً عليه، حتى إنَّه مضى مرَّةً في قريةٍ من قُرى الذِّمِّيين، فوقع بينهم أجمع - كباراً وصغاراً، وإناثاً وذُكراناً - لَوْعةٌ ووَجْدٌ وصياحٌ[1].

قال الأستاذُ الأعظمُ قدس سره: إنَّه بلغ في سِرِّ الرَّابطة إلى الدَّرجة العليا، فمن شدَّة اشتعال نار المحبَّة في فؤاده كان لا يقدر على التَّكلُّم قاعداً، بل قائماً مع التَّجوُّل ذهاباً وإياباً، وما حفظ من آداب الطَّريقة إلا وتأدَّب به، وكانت صحبتُهُ بمناقب السَّادات، سِيَّما الغوث الأعظم رضي الله تعالى عنهم.

وكان من دأبه: اشتغالُه بالصُّحبة مع كلِّ أحدٍ في كلِّ حالٍ من الأحوال، حتى إنَّ الشَّيخَ جلالَ الدِّين قدس سره يأتي بالعمَّال لحصاد ما يُحصَد، فيسلِّمهم إليه، ويذهب إلى باقي مشاغله، فلما يرجع إليه يرى أنَّه جمع العُمَّالَ حوله، ووقع في الصُّحبة المحرقة معهم، فيقول له: أنت لا تصلحُ لإصلاح المشاغل الدُّنيويَّة، بل أنت المُعَطِّلُ للنَّاس، ويأخذ بيده، ويخرجه من بينهم، ويأمرهم بما اجتمعوا له.

ثم قام مقامَ أبيه الغوث قدس سرهما على أحسن وجهٍ وأبلغ إرشادٍ مدَّةَ شهرين تقريباً، فتوفِّي إلى رحمة الله، ودفن في كرى حَبْرشُو[2]، قريباً من تربة أبيه قدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمَا وَأَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ بِحَارِ أَنْوَارِهِمَا. وليس له عقبٌ.

(١) في (ب): (وصياحٌ ووجدٌ).

(٢) في (ب): (كرى جرشو).

وأما الشَّيخُ حمزة؛ فكان له إخلاصٌ تامٌّ بأتباع الغوث الأعظم، خصوصاً في حقِّ الأستاذ الأعظم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، حتى إنَّه أراد السُّلوكَ على يده، فمنعته الأقدارُ.

وكان له ولدان صالحان:

أحدهما: الشَّيخُ محمد رشيد، وقام مقام أجداده في الإرشاد في غَيْداء المحروسة، وعمل فيه بُرْهةً من الزَّمان حتى أُذِن للشَّيخ شهاب الدين قُدِّسَ سِرُّهُ بالخلافة، فسلَّمها إليه وتركها، وجاء إلى تَكِيَّةٍ لأولاد الغوث قُدِّسَ سِرُّهُ في جمي خاني.

وكان له ولدٌ اسمه السيِّدُ هاشم، ولم يعَقِّبْ، وتوفي الشَّيخُ محمد رشيد وابنُه السيِّد هاشم رحمهما الله، ودُفِنا في قرية كَرْب القريبة من جمي خاني.

وثانيهما: السيِّدُ دِحْية رحمه الله، وكان في جمي خاني أيضاً، وله عقبق أمجادٌ، وفيهم علماءُ صلحاءُ نجباءُ، مثلُ: السيِّد عاشق جمال وأبنائه أطال الله بقاءهم، ومتَّعنا بحياتهم وصحبتهم.

وأما السيِّدُ نور محمد قُدِّسَ سِرُّهُ؛ فكان ذا [٣٢] وقارٍ وهيبةٍ، ولا يخصُّ أحداً لإِلْفِه، بل كان كلُّ النَّاس عنده سواءً، وله توكُّلٌ تامٌّ على ربِّه جلَّ وعلا، وقام على عرش غَيْداء مقامَ سلفه بإجازة الشَّيخ المجذوب قُدِّسَ سِرُّهُمَا على أحسنِ وأكملِ وأتمِّ وجهٍ، واجتمع عليه جمٌّ غفيرٌ من النَّاس، واشتغل بإجراء النِّسبة حتى قضى نَحْبَه، رحمة الله عليه رحمةً واسعةً.

وقد كان له ولدانِ كريمان: الشَّيخُ شهاب الدين، والشيخُ محمد شرين.

وكان قد قام الشَّيخُ شهاب الدين مقامَ أسلافه [الكرام] قَدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمْ، حتى إنَّه أحيى عهودَهم العهيدةَ، وآثارَهم المجيدةَ على المحبَّة التَّامَّة، وإرشاد الخاصَّة والعامَّة.

ثم تُوفُّوا، ولم يبقَ لهم من خَلَفٍ.

وأما الشيخُ حسن رحمه الله؛ فكان من المَلاميِّين، وهم قومٌ يُخفون أحوالَهم عن النَّاس لتَسَتُّرهم بجلباب الاشتغال بالملاهي صورةً خوفاً من سُموم الطَّريقة، وكان صدرُه مكشوفاً، وتقع تُكتُه على الأرض، وكان مازِحاً مع الصِّبيان والرِّجال والنِّساء البُلَهاء، ومن رآه؛ عَلِم قطعاً أنَّه من مجانين العقلاء، كما قال الشَّاعرُ في مثله:

مَجَــانِينُ إِلَّا أَنَّ سِــرَّ جُنُــونِهِمْ ... عَزِيــزٌ عَلَــى أَعْتَابِــهِ يَسْجُدُ العَقْــلُ

ومن أَمْرِه: أنَّ والياً عُيِّن وأُرسل إلى بتليس[1]، وسمع أنَّ لبيت الغوث الأعظم قُدِّسَ سِرُّهُ أغناماً وأراضي وعقاراتٍ وأموالاً، والحكومةُ لا يأخذ منهم شيئاً من العَشار ولا مِن المكُوس، فقال ذلك الوالي: يلزم أن نُفتِّشَهم، فإن كانوا مستَحِقِّين للمعافاة؛ فنعفو نحن أيضاً، وإلا؛ فنأخذ حسب القانون. فلما أراد الوالي أن يذهب إلى غَيداء للتَّفتيش أُرسِلَ إليهم الخبرُ بذلك،

(١) في (ب): (بدليس).

فقالوا للشَّيخ حسن ﵀: إنَّ زيّك لا يليق بحضور الوالي ومن معه من الأمراء، فنبدِّلُ ملابسك بما لا بأسَ به في محاضِرهم، فأقنعوه، وألبسوه ما لا يخجلهم، فمكثوا مقداراً ولم يجئ الوالي، فذهب الشَّيخُ إلى البيت، وبعد هُنَيهةٍ أخبروه بأنَّ الوالي قد حضر وهو قد لبس الأَلْبسَةَ الرَّثَّةَ، فخرج إليه بتلك الألبسة الرَّثَّة، وقد اجتمع النَّاسُ من الأكابر والآغاوات والعلماء موكبٌ عظيم على ما هو عادَتُهم من الاجتماع على باب تكيَّة الغوث قدس سره، وقامَ له النَّاسُ إعظاماً واحتراماً، فلما رأى الوالي ذلك [٣٣] الازدحامَ، واحترامَهم للشَّيخ بتلك الهيئة؛ تحقَّق له أنَّ الأمرَ على خلاف ما كان يَظُنُّه، وأنّه حقّاً من عباد الله الصَّالحين، ولا أَثَرَ لحبّ الدُّنيا لديه، وقال: ما دام لم يأخذْ أحدٌ من الولاة قبلنا منهم شيئاً؛ فلا نأخذُ نحن أيضاً شيئاً.

وقد كان هذا نظيرَ ما وقع لأمير المؤمنين عمر الفاروق بن الخطاب ﵁ حين أرسل الجيشَ لفتح القدس المباركة، وكان أميرَ ذلك الجيش أبو عبيدة بن الجرّاح ﵁، فحاصروا القدسَ مدّةً، ولم يقدروا على فتحها، فعلا قُسٌّ منهم على سور البلدة، ونادى بأنّكم لا تقدرون على فتح بلدتنا؛ لأنَّ الذي يفتحُها أوصافُه مذكورةٌ في كتبنا، فأتوا بأميركم ننظر إليه، فإن كان هو نخضعْ له ونستسلمْ بلا حربٍ، فأتوا بأبي عبيدة ﵁، فلما نظروا إليه؛ فَرِحوا وضحكوا، وقالوا: ليس هذا من يفتح، فتفطَّن الجيشُ من هذا القول، وقالوا: هذا أميرُنا هنا، وأما الأميرُ على الجميع؛ فهو في المدينة المنورة، فقالوا: فليحضرْ هو نفسه ننظرْ إليه، فكتب أبو عبيدة إلى أمير المؤمنين ﵁ الحادثة،

بركة الكلمات في مناقب بعض السادات

فاستشار بالصَّحابة، فآل الأمرُ إلى الذِّهاب إليهم، وكانت آبالُهم ناقصةً يركبونها بالتَّناوب، وكان بين أمير المؤمنين وعبده[1] ناقةٌ، فلما قربوا من الجيش، وسمع الجيشُ بمجيئه ﵁؛ فرحوا، وكَثُرَ بينهم اللَّغطُ والصِّياحُ، وسرعوا إلى استقباله، فلما لقوه وفرح البعضُ بالبعض؛ رأوا جُبّةَ أمير المؤمنين رثّةً، وعليها اثنتا عشرة رقعةً، وواحدةٌ منها من الأديم، فقالوا له: لا يليق لعظمة أمير المؤمنين أن يواجِهَهم بهذه الهيئة الرَّثَّة، فيهون في عيونهم، وعندنا من اللِّباس الحسان كثيرٌ، فبدِّلْ لباسك بما يليق[2] بالملوك، واركبْ جواداً عربياً من أفراسهم، وألحُّوا عليه حتى استسلم لذلك، ولبس لباسهم، وركب الجوادَ، ومشى قليلاً، فأكبَّ الجوادُ تحته، فنزل عنه، وقال: إنَّ الله تعالى لا يرضى إلا أن أجيءَ على ناقتي وعلى لباسي، فدخل في زيِّه الأوَّل، فلما أحسّ أهلُ البلدة بتلك الجلبة؛ علَوْا على الأسوار، وسألوا عسكرَ الإسلام سبب الصِّياح والغَوغاء، فأجابوا بأنَّ أميرَ المؤمنين جاء، فنشِطْنا لذلك، وفرحنا به [٣٤]، فليجئْ قُسُّكم، ولينظرْ إليه، فعلا على السُّور، ونظر إليه، وقال: واللهِ هذا هو الذي نَعْتُه في كتبنا، وهو الذي يفتح بلدتنا، ففتحوا باب السُّور ودخلها جيشُ المسلمين صلحاً بلا حربٍ ولا مِحنَةٍ.

وقد قام الشَّيخُ السيِّدُ حسن مقامَ أسلافِه الكرام، وأحيى تكيَّة الغوث قدس سرهما إحياءً تامّاً بالصَّلاح والرَّشاد والإرشاد والمحبَّة التَّامَّة بإجازةٍ من الشَّيخ

(١) في (ب): (عبيده).

(٢) في (ب): (بالأليق).

الأكبر شيخ الشَّريعة والطَّريقة الشيخ فتح الله الورقانسيّ (قدس سرهما)، وأفيض علينا أنوارُهما وبرُّهما.

وقد قال الشَّيخُ محمد رشيد بن الشيخ حمزة بن الغَوْثِ الأعظم (قدس سره): إنَّ الشَّيخَ فتح الله (قدس سره) قال له حين أذن له بالإرشاد والتَّوجُّه: يا شيخ حسن، لا فرق بين إنسيٍّ وجنيٍّ في الإرشاد، واشتهر أنَّه (قدس سره) كان قد يتوجَّهُ للجانِّ كثيراً.

وكان قد أرسل في زمانه بعضاً من أحفاد الغوث الأعظم (قدس سره) ـ أي: الشَّيخ محمد رشيد بن السيد حمزة، والسَّيِّد علي بن الشيخ جلال الدِّين، والشَّيْخ محمد شرين بن السيد نور محمد (رحمه الله) ـ إلى مدرسة الشَّيخ الأكبر الشَّيخ فتح الله (قدس سره) في قرية أوخين العليا لتحصيل العلوم الظَّاهريَّة، وأن يتحلَّوا بأخلاقه الحميدة وآدابه المجيدة هنالك، وأنَّ ابنه السيِّد عبد الله (رحمه الله) قد قرأ عند الشَّيخ الأجلِّ الشَّيخ محمد علاء الدين (قدس سره) في قرية برناشين متّعنا اللهُ بنور محبتهم.

ولما أجاب الشيخ السيد حسن (قدس سره) منادي المنون، واستسلم لأمر خالقه، وكان من أهل القبور؛ دفن في مقابر أسلافه (كري حبرشو) في غيداء (رحمهم الله)، ورضي عنهم وعنّا بهم آمين.

وله عقبٌ من ابنه السيِّد عبد الله، وكان عالماً برّاً تقياً، وكان للسيِّد عبد الله ذلك ابنان: السيِّدُ أحمد، والسيِّدُ أنور، أعلى الله درجتهما. ولكليهما عقب، أنبتهم الله نباتاً حسناً.

[مبحث ما وقع بعد وفاةِ الغوث الأعظم (قدس سره)][1]

ولنتكلَّمْ على ما وقع بعد وفاةِ الغوث الأعظم (قدس سره) دون كلماته المشيرة إلى وفاته وغيرها ومناقبه التي ظهرت في مرضه الأخير؛ لأنَّهما خُصَّتا بالتَّدوين.

فلما طارتْ روحُه الطَّاهرةُ إلى غُرف الجنان، وتمتَّعتْ برؤية جمال الحقِّ جلَّ وعلا في رَوْحٍ وريحانٍ، رضي الله تعالى عنه وأرضاه في سنة (١٢٨٧) مائتين وسبع وثمانين بعد الألف الهجريَّة من هجرة من له العزُّ والشَّرفُ؛ أَبقى بعضَ نسبته وإرشاده في بيته العالي بواسطة أبنائه وأحفاده، [٣٥] ونشر بعضاً منها خُلَفاؤه في أنحاء الممالك بهمَّته العالية، نفع الله المسلمين بهم وبإرشادهم.

** ** **

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

[مبحث نقل بيتِ الأستاذ إلى المملكة الروزكية][1]

وأما خليفتُه الأستاذُ الأعظمُ قدس سره؛ فإنَّه بقي زمانـًا قليلاً بعد وفاته في بيته[2] وعلى تكيَّته، وكان ميلُ علماء روزكي من أتباع الغوث الأعظم قدس سره وغيرِهم إليه قدس سره، وألْقَوا محبَّتهم بالكليَّة إليه، كلّ واحدٍ بدليلٍ، حتى قال الأستاذُ الملا عبد الرحمن الملاكَنْدي ﵀: أنا أسمعُ من صحبة الشَّيخ الملا خالد قدس سره ما أسمعه من العلماء الظَّاهر، ولكن أسمع من صحبة الأستاذ الأعظم قدس سره ما أستفيد من المحبَّة الشَّوقيَّة المحرقة للقلب، وكان إذ ذاك في قرية غَيْداء، وأرسل المكتوبَ إلى ابنه الملا إبراهيم ليجيء مع بعض أكابر المملكة، ويستأذنوا من حضرة الشَّيْخ جلال الدين قدس سره لنقل بيت الأستاذ الأعظم قدس سره من غيداء إلى مملكةِ روزكي، وبعد كثيرِ قِيلٍ وقالٍ أراد الأستاذُ قدس سره أن يذهب من غَيْداء إلى ما أرادوه ـ أي: الرُّوزكِيُّون ـ فنقل بيتَهُ إلى مَزراشيخان في شيروانِ، وكان فيها أخوالُه قدس سره، وهي وطنُ أبيه الأصليّ، وذهب هو بنفسه مع بعض الرِّفقة إلى قرية وَرْقَانس قرية خليفته الأجلّ الشيخ الأكبر الشَّيْخ فتح الله قدس سره، وزار هنالك مرقدَ الجدِّ الأعلى للخليفة الشَّيْخ محمد المشهور قبته بخاني رَش ـ أي: الدَّار السَّوداء ـ، وراقب هنالِكَ

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

(٢) أي: الغوث.

في القبَّة مِقداراً كثيراً، فلما خرج من المرقد؛ استفسر عن الشَّيخ فتح الله قدس سره: ما معنى قول الشيخ محمد ﵁ يقول لي كلّما يكلِّمُني: يا سَيْدا؟ فأجابه الشيخُ الأكبرُ قدس سره: كأنَّه ﵀ يبشِّرُك بأنَّك كما كنت أستاذاً في العلوم الباطنيَّة ستكون إن شاء الله تعالى أستاذاً، أي: مَلجأً للعلوم الظَّاهريَّة أيضـًا؛ لأنَّ لفظَ (سَيْدا) في اصطلاح الأكراد بمعنى: من يلقي الدَّرسَ على الطَّلبة.

فمن ذلك الوقت ـ أي: بعد الواقعة ـ سُمِّيَ الأستاذُ الأعظمُ قدس سره بسَيْدا، وصار لقبـًا له.

ثم ذهب من ورقانس إلى زيارة أويس[1] القرنيّ ﵁، واجتمع به هنالك خليفتُه صاحبُ الوفاء والجذبة الشَّديدة الملا رشيد الصُّوباشيّ قدس سره، فلما رجع من زيارة الأويس[2] القرنيّ ﵁ إلى قرية عربُو من قرى زِركان، قال الملا رشيد قدس سره: إنِّي أشهدُ أنَّه حصل له مقامُ القطبيَّة في تلك القرية، وقوله هذا إمَّا سمعه منه قدس سره، أو لأنَّه أُلهِم إليه من الله تعالى إلهامٌ تامٌّ بذلك، حتى شهد [٣٦] وتكلّم بلفظ الشَّهادة المستلزمة للتَّحقُّق[3].

ثم رجع الشَّيخُ فتح الله قدس سره إلى قرية آبري، وكان مدرسـًا هنالك، وذهب الملّا رشيد مع الأستاذ الأعظم قدس سره إلى ناحية خُيوط قَرْية طاب،

(١) في (ب): (الأويسي).

(٢) في (ب): (الأويسي).

(٣) في (ب): (للحق)، وفي حاشيتها: (للتحقق).

فاجتمع معه في تلك القرية أجلُّ أتباعه، وكان الملا عبد الرحمن الملاكندي قد وصل مع أتباعه وأبنائه إلى تلك القرية قبل وصول الأستاذ الأعظم ﵋ إليها، وكانوا في ضيافة الأستاذ الملّا عبد الله الطَّابي ﵀ خليفة الشَّيخ محمد الحزين الفرسافيّ ﵁، وكان شيخًا وإمامًا في تلك القرية، ولَمَّا جاء الأستاذُ الأعظمُ ﵋ ذهب إلى بيت رستم آغا الطابيّ، والسَّببُ في ذهابه ﵋ إلى قرية طاب هو أنَّه اشتهر بين النَّاس من لم يكن استشارتُه على غدير طاب، فليس هو بروزكيٍّ، وكان الأستاذُ ﵋ مع جماعته يجتمعون كلَّ يومٍ حول ذلك الغدير، ويتشاورون في أنَّ الأستاذَ ﵋ يسكن في أيِّ قريةٍ وأيِّ مكانٍ؟ فقال الأستاذُ الملّا عبد الله المذكور ﵀: إنِّي أرجو أن يكون الأستاذُ في مكانٍ يعبر عليه طرق مملكتنا، فيفوح علينا وعلى أهل المملكة ريحُ نسبته، فننتفع به.

وكان أهلُ القرى القريبة من طاب يجيؤون إليها لصلاة الجمعة، ويومًا كان المسجد غاصًّا بالخواصِّ والعوامِّ؛ ترقّى الأستاذُ الملا عبد الله على المنبر، وقال: أيُّها النَّاسُ، إذا بدا أمرٌ من أمور الخير يلزم أن يقولَه مَن أحسَّ به لإخوانه المسلمين أن كانَ من الأمر كذا وكذا، فأُوقِظكم بأنَّ شيخًا كبيراً قابلاً لإرشاد الخاصَّة والعامَّة قد جاء إلى قريتنا، ولم أرَ لا أنا ولا أنتم مثله، فإنِّي قَبِلْتُه شيخًا لي، فاقبلوه أنتم أيضًا.

وقال الملا إبراهيم الجوقرشيُّ(١) خليفةُ الأستاذ الأعظم ﵋: إذاً نحن

(١) في (ب): (الجقرشي).

بركة الكلمات في مناقب بعض السادات

خجلنا كثيراً لما قال كذلك ذلك الرجلُ الصَّالحُ على المنبر، حتى قربنا أن ننزل تحت الأرض من تلك الخجالة لما خطر ببالنا أنَّ النّاسَ يظنون أنّا أوصيناه بتلك المقالة.

وفي أثناء تلك الآونة عند اجتماعِهم حولَ الغدير قال الأستاذُ الأعظمُ ﵋ للملا محمد أمين المشهور بملاء مزن حين فرغ لهما المجلس ـ وكان الملّا ﵋ إذ ذاك في عقال التَّعليم، أي: تحصيل العلوم الظَّاهريَّة ـ: تعال نتشاورْ أنا وأنت في أمرٍ بدا لي، فذهب الملا ﵋ إليه، فقال الأستاذُ ﵋: إنِّي أريد أن أُنكحك إحدى بناتي، فأمَّا الكبرى؛ [٣٧] فإنها لا تليق لك؛ لأنَّك ما أتممْتَ كتبَك، وأنت الآن في التَّحصيل، ولكن أُنكحُك الصُّغرى منها ـ أي: زينب ـ، فقبِّلْ أنت يدي كما هو عادةُ الخاطب، فقبَّل يده الشَّريفةَ، وبقي كذلك إلى [أن] أتمَّ كُتبه وسلَّمها إليه، وبعد أن أتمّوا مشاورَتهم في أمر سكناه ﵋؛ آل أمرُ الاستشارة إلى أن يذهبوا إلى بلانِق، واختير له قريةُ تِرْجُوْنك، فلما اجتمع الرَّأيُ على الرَّواحِ نزلوا من قرية طاب بإشارة الأستاذ الملا عبد الله الطابي ﵀ إلى قرية نُوك من قرى صحراء مُوشْ، وكان الملّا عبد الله ﵀ أرسل إلى أهالي نوك ـ وكانوا من أتباعه ـ أن يستسلموا له، ويدخلوا في طريقته، فامتثلوا بذلك.

وفي الصَّباح فعل التَّوجُّهَ النَّقشبنديَّ في القرية، وكان هذا أوَّلَ توجُّهه في المملكة الروزكية، ثم طاف قريةً فقريةً، إلى أن وصل إلى قرية يزْجونك(١)،

(١) في (ب): (يرجونك).

وحينما وصل إلى قرية قره ميش ـ ولكن لا نعلم يقينـًا أنّ هذه الواقعةَ كانت في هذه السَّفْرة أم في أخرى ـ باتَ هنالك، فاجتمع لديه النَّاسُ، فقال رجلٌ منهم: إنّي أُجَرِّبه، فأذهب إلى مجلسه جُنُبـًا: هل ترى يعلم بذلك أم لا؟ فدخل كذلك في المجلس والأستاذ قدس سره في الصُّحبة، فصاح عليه خليفتُه الملا إبراهيم بن الملا عبد الرحمن الجُوقْرشي قدس سرهما[1]: أيُّها المنافقُ، كيف تجلس في صحبة الأستاذ جُنُبـًا؟ فخرج الرجل ولم يعلم أحدٌ أنَّه عنى مَن مِنْ ذلك المجلس.

وعند إرادة النَّوم خرج الأستاذُ قدس سره لقضاء حاجةٍ، ودعا الملا إبراهيم إلى حضرته بإبريقه، فلما ذهب إليه قدس سره قال له مُغْضِبـًا: هل نحن من الأنبياء فنظهر المعجزاتِ؟ بل نحن نُبلّغ أمر الله إلى النَّاس شفقةً ورحمةً عليهم ليهتدوا، فإن فعلتَ هكذا مرةً أخرى أخرجتُ عينيك.

وكان الملا إبراهيم هذا من طبعه: أنَّه لا يتحمَّل ما يخالف الشَّريعةَ أو الطَّريقةَ، ولا يقدر أن يُخفيه، بل يُعْلِنه ويمنع فاعلَه. ومن بعض ما صدر منه أنّه سُرِق في زمن الأستاذ قدس سره[2]، ورفعوا المسألةَ إليه قدس سره ليُصفّيها، فدعا قدس سره المتّهمَ به، وسأله أن يردّه إن سرق هو، فأراد المتّهم أن يحلف وقال: برأس، ويريد أن يقول: برأس الأستاذ، فردعه الملا إبراهيم، وقال: إنَّ الأستاذَ بحرٌ كبيرٌ كثيرٌ يحمل ما لا يحمله غيرُه، فقل: [٣٨] أحلف برأس[3] إبراهيم، فعَيِي

(١) في (ب): (قدّس سرُّهم).

(٢) فرسٌ خ.

(٣) الملا خ.

الرجل ولم يقدر أن يحلف، فأقرَّ بذلك.

ثم راح قدس سره من هنالك إلى أن وصل إلى بُلانِق، فاجتمع عليه النَّاسُ عمومـًا من الأكابر والعلماء والآغاوات والعشائر وسواهم، وازدَحموا عليه، وبعد استشارةٍ عظيمةٍ فيما بينهم استقرَّ[1] الرَّأي العامُّ على أن يَسكُنَ في ترجونك، واختاروها له، فدخلها، وبَنَوْا له في قرية بلبليك المحسوبة من ترجُونك بيوت سكناه، وسكن فيها مقداراً، فأراد النَّاسُ أن يجيؤوا بيته وأهله من قرية مزرعة شيخان إلى بلبليك، وأرسلوا بعضـًا من أكابر المملكة من عشيرة جِبْران، فلما وصل الخبرُ إلى أهل الأستاذ قدس سره بذهابهم إلى بُلانِق، ومجيء الرِّجال لذلك؛ قالت حرمُه أمُّ حضرة الشَّيخ محمد ضياء الدِّين قدس سره: فليجيؤوا قُبالة الشَّبابيك، فنراهم، فلما جاؤوا ورأتهم بزيّهم، قالت: والله لا نذهب مع هؤلاء، فرجعوا بخُفَّي حنينٍ، وأخبروا الأستاذَ بذلك، ثم بعد ذلك تشبَّث الأستاذ قدس سره أن يُدَبّر للسُّكنى في نورشين، فأرسل الملا رشيد والملا عبد الله النورشينيَّيْن مع بعض الرفقة للمعاونة، فذهبوا ووصلوا، وأخبروا بما أُرسِلُوا له، فأمرت تلك الكريمةُ أيضـًا بما ذكرنا، فلما مرُّوا تحت الشُّبَّاك ورأتهم قالت: والله أذهب مع هؤلاء، فنقلوا بالبيت والأهل، وحينما مرُّوا بقريةٍ من قرى النَّصارى، وكان حضرةُ شيخنا الشيخ محمد ضياء الدين قدس سره معهم، وكان مُراهِقـًا يَسُدّ أنفه من نتن كفرهم، ويَعْدُوا إلى أن يتجاوز عن قريتهم لعنهم الله، وأما في قرى المسلمين؛ فلا يفعل كذلك،

(١) صارخ.

فجدُّوا في طريقهم إلى أن وصلوا إلى قرية نورشين المحروسة الميمونة، وكان الأستاذُ في بعض الأوقات يذهب مع الأهل إلى قرية بلبليك، وفي بعض الأوقات يرجع إلى نورشين، وأكثر سكنه كان هنالك.

ومما وقع للشَّيخ جلال الدين بن الغوث الأعظم وللأستاذ الأعظم قدَّس اللهُ أسرارَهم العليّة أنّه قصد الشيخَ جلال الدين إلى المملكة الروزكية، وكان من عادته قدس سره أنَّه إلى أيِّ موضعٍ يذهب يكون معه جمعٌ كثيرٌ نحو خمسين رجلاً تقريباً كلُّهم من ذوي اللُّحى والأوراد وآداب النَّقشبنديَّة قدَّس اللهُ أسرارَهم، ولا يكون ضيفاً لأحد، بل كان معه خيمته وخدمه وتدابيره، [٣٩] يسكن قريبَ قريةٍ، وينصب له خيمته، ويتولّى خدمه أمرَه، والنَّاس يزورونه من كلِّ الأطراف، وفي ذلك السَّفَر جاء بتلك الهيئة إلى أن وصل إلى قرية كوغاك من قرى بلانق، فنصب خيمته في صحراء القرية، وكان الأستاذُ قدس سره إذ ذاك في قريته[1] بِلْبِليك، وسمع بمجيئه، فجاء لزيارته قدس سرهما، فقصد الخيمةَ، وكانت ممتلئةً من العلماء والرُّؤساء وغيرهم، فزار الشَّيخَ ولم يهتمّ هو به، وتأخَّر إلى جهةِ الباب، فأذِن له، وجلس هنالك، ودام الشَّيخُ في كلامه مع الجماعة، وبعد انفضاض المجلس وذهاب كلٍّ إلى محلِّه وبقاء الخيمة خاليةً من الناس؛ قام الشيخُ وأخذ بعَضُد الأستاذ قدس سرهما، وأقام من خلف الباب، ووضعه على البساط الذي كان هو جالساً عليه، ورجا الأستاذَ العفوَ منه ذلك قدس سرهما، ولم يفد شيئاً، وذهب هو إلى خلف

(١) في (ب): (قرية).

الباب، ووضع يداً على يدٍ، وسكن في مقام الاحترام، وبقي كذلك، ثم قال للأستاذ قدس سرهما: لم لا تأذن أن أقعد[1]؟ فقال الأستاذ: ذلك زائدٌ عن حدِّي، وعزُّنا وشرفُنا وقدرُنا وقيمتُنا كلّها بكم ومنكم، فقال الشَّيخُ: كائناً ما كان، لا أجلس إلا أن تأذن لي[2]، فأذن له الأستاذُ قدس سره.

ثم تكلّما، فلام الشيخ على الأستاذ، هل حقّ أنِ انتشرتم من موضع الغوث قدس سره وأبقيتموني هنالك وحدي؟ فجئت إلى المملكة الروزكية، وذهب العلامةُ الشيخ خالد إلى شيروان، والشيخ عبد الرحمن المجذوب إلى بُهتان، قَدَّس اللهُ أسرارَهم، فأجابه الأستاذُ بأنَّ مقامَ الغوث لا يصلح إلا لأولاده.

وكان له خلفاءُ تسعة عشر، وسيأتي أسماؤهم، ومن أين هم.

** ** **

(١) في حاشية (أ): (أجلس نسخة)، وهي المثبتة في متن (ب).

(٢) بإذنك نسخة.

[مبحث تسليم الشيخ فتح الله الورقانسي للأستاذ الأعظم قُدِّسَ سِرُّهُ قُدِّسَ سِرُّهُمَا][1]

ولنذكر أوّلاً تسليمَ الشَّيخ فتح الله الفاروقي له[2] قُدِّسَ سِرُّهُمَا؛ لطول بحثه وبعض الغرابة فيه، كما ذكر هو نفسه في مكتوبٍ أرسله إلى بيت الغوثِ الأعظم قُدِّسَ سِرُّهُمَا باسم الملّا زاده إذ ذاك في غيداء، والمكتوبُ هذا نملي عليكم بعين عبارته:

والله ما صار أمرٌ من الأمور سبباً لنا للأخذ بالتوبة والأخذ بذيل السَّادات الكرام قُدِّسَ سِرُّهُمْ إلا اختلاط المنتسبين إلى نحو الغوث الأعظم قُدِّسَ سِرُّهُ بهمَّته الجليَّة، حتى إنّي كنتُ فيما مضى من الزّمان متفقّهاً غافلاً عن السَّادات الكرام وهممهم العالية، فسمعتُ أنَّ الغوثَ الأعظمَ قُدِّسَ سِرُّهُ قد جاء إلى بتليس[3]، وذهب وكان [٤٠] إذ ذاك بيتنا في بتليس، فذهبنا إليها ورأينا أمّنا رَحِمَهَا اللهُ خرجت من حقيقتها الأولى إلى حقيقةٍ أخرى، فسألتُها: هل رأيتِ حضرةَ الغوث؟ فقالت: رأيتُه مرَّتين، فقلت لها: هل لك إخلاصٌ ومحبّةٌ فيه؟ فقالت: لا إلّا قليلاً، فقلت: لمَ؟ فقالت: لأنّه ما وعظنا ولا كلّمنا مثل سائر الشُّيوخ، فقلت: هل انتفعتِ بشيءٍ منه؟ فقالت: لا والله، إلا أنّي منذ رأيته يحترق قلبي في محبّة الله تعالى، ولا يُهِمُّني الدُّنيا وما فيها، ولا أشرع في

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

(٢) في حاشية (أ): أي: (للأستاذ الأعظم)، وهي مثبتة في متن (ب).

(٣) في (ب): (بدليس).

طاعةٍ إلا مع حضورٍ وعدم غفلةٍ إلى تمامها، فقلت لها: منذ كم سنةٍ دخلتِ الطَّريقةَ؟ قالت: منذ ثماني عشرة سنةً، فقلت: ما استَفدتِ من شيخك في تلك المدَّة؟ فقالت: ما استفدتُ إلَّا حبَّ الأولاد، والرَّغبةَ في الصَّوم والصَّلاة مع الحرص والغفلة السَّابقين، فقلت: ما استَفدتِه بمجرَّد النَّظر إلى وجهه الكريم[1] أزيدُ بكثيرٍ مما استفدته في تلك المدَّة.

ثم أخذني اضطرابٌ شديدٌ واشتياقٌ مزيدٌ إلى مريديَّته قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُ الْعَلِيَّةَ، حتى كنت أذهب إلى حاجي بك رَحِمَهُ اللهُ في اليوم مرَّةً وفي الليل مرَّةً ليقصَّ عليَّ قصص خَدَمةِ تلك الآستانة العليَّة، ثم ازداد ذانك الاضطرابُ والاشتياقُ حتى كنتُ أذهب إلى السُّوق وأنظر إلى أحوال أهالي هيزان ودوابّهم، وأتيقَّن أنَّ كُلَّهم من أهل الجَذْبة والمحبَّة لله تعالى في الله على وفق الشَّريعة الغرَّاء، حتى والله يتخيَّل لي كثيراً أنَّ دوابَّهم أيضاً ذواتُ الجذبة.

ثم عزمتُ على الذَّهاب إلى التَّشرُّف برؤيته قُدِّسَ سِرُّهُ، فقال سليمان أفندي المرحوم البتليسيّ[2]: اسكُن أنت على المدرسة بالنيابة عنّي إلى عيدِ رمضان، وأنا أذهب إليه قُدِّسَ سِرُّهُ بالاشتراك بيني وبينك، ثم بعد العيدِ أنا أسكنُ على المدرسة وأنت تذهب إليه قُدِّسَ سِرُّهُ، فلأجل أنّه كان من المحبِّين والمخلصِّين للآستانة ما قدرتُ أن أخالفه، ورأيت الحقَّ في كلامه.

(١) أي: الغوث.

(٢) في (ب): (البدليسي).

ثم لمَّا توفّي الغوثُ الأعظمُ ﵁ في ذلك الرَّمضان المبارك اشتدَّ عليَّ النَّدامةُ والحسرةُ على فوتِ دولة الرُّؤية، ولكن بهمَّته كنت أراه في كلِّ ليلةٍ من ذلك الشِّتاء في المنام كأنَّه يأخذ البيعةَ منِّي ويقبلها ويلاطفني بأنواع الملاطفات، حتى إنِّي رأيتُ في بعض الليالي أنَّ الغوثَ الأعظمَ ﵁ تبدّل بالنبيّ المختار صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه أجمعين تسليمًا كثيراً [٤١]، وفي بعضها أنّ النبيّ المختار يتبدَّل بالغوث، فنظرتُ في التَّعبير، فإذا ذلك يدلُّ على تمام فنائه في رسول الله[1] ﷺ بالإقدام في شريعته، والإقبال عليها بالكليَّة، فلذلك[2] أنسب نفسي في نفسي إلى الغوث الأعظم بلا واسطةٍ كما أنسبُها إليه بالواسطة، وأهتمُّ بالشَّريعة على قَدَمه بقدر وسعي وطاقتي، ولكنَّ الغوثَ الأعظمَ ﵁ كان عالمًا بظاهر الشَّرع وباطنه ويراعيهما، ونحن لا نعلم إلا ظاهره، و﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[3]. انتهى ما في المكتوب من هذا البحث.

وكان الشيخُ الأكبرُ ﵁ يقول: بعد أن أتممت كُتُبي علمتُ من الكتُب أنَّ الوصولَ إلى الحقيقة لا يمكن بالعلوم الظَّاهريَّة فقط، بل لا بدَّ من العبور على قنطرة التَّصوُّف، والتَّمسُّك بذيلِ كاملٍ من كُمَّل أهله.

فبناءً على ذلك زرتُ مشائخ المملكة كلَّهم المشهورين بنية التَّمسُّك،

(١) في (ب): (في الرسول).

(٢) في حاشية (أ): (فلأجل ذلك)، نسخة. وهي المثبتة في متن (ب).

(٣) سورة الإسراء: ١٧/ ٨٤.

فما حصل لي إخلاصٌ تامٌّ حتى ألتجئ إليه، ولم أزُر الغوثَ الأعظمَ ﵁، وقلت في نفسي: إنَّه مثل هؤلاء الذين زُرْتُهم، فقلت في نفسي: يحتمل أنَّ الله تعالى[1] لم يرزقني ذلك المَنْصبَ العالي والتَّمسُّكَ بأذيال الكبراء، وخُيِّلَ لي أن أشتغل بالتَّدريس، ويظنّ النَّاسُ أنّي قابلٌ لذلك، ويَقْصدني الطَّلبةُ كثيراً، والاشتغالُ بالعلم من أفضل الطَّاعات، فقصدتُ قريةَ أبرى لأكون مدرِّسًا رسميًا من طرف الحكومة، ويسَّر اللهُ لي ذلك، فداومتُ على التَّدريس بُرهةً من الزَّمان إلى أن جعل اللهُ لي الاعتقادَ والمحبَّةَ في حقِّ الغوث، كما ذكر في المكتوب.

ومن العجب العُجاب: أنَّ أمَّه ﵁ ورحمها الله رحمةً واسعةً كما كانت سببًا في ولادته الصُّوريَّة؛ كانت سببًا في ولادته المعنويَّة أيضًا كما مرَّ في المكتوب الذي نقلناه، وكما ذكر في المكتوب: أنَّ الغوثَ الأعظم ﵁ توفِّي في شهر رمضان في آخر الخريف، وما أمكن للشَّيْخ الأكبر الشّيخ فتح الله الفاروقيّ الورقانسيّ ﵁ الذَّهابُ إلى غَيْداء في ذلك لأسبابٍ لا نعلَمها، فرجع إلى قرية أبرى للدّوام على التَّدريس، وفي أوَّل الرَّبيع زار البُقعةَ المباركةَ غيداء، وحينئذٍ كان قد توفّي الشيخُ بهاءُ الدين بن الغوث ﵄، فلمحبّةِ الغوث ﵁ تاب ودخل الطَّريقةَ على يد الشَّيخ جلال الدين ﵁، وأخذ التَّعليمَ من الأستاذ الأعظم ﵄، ولم يشرعْ في أيِّ آدابٍ من آداب

(١) لعل الله تعالى، نسخة.

الطَّريقة [٤٢] العلياء[1]، ورجع إلى تدريسه في أَبِرى، ثم زار مرقدَ الغوث الأعظم (قدس سره) مرَّةً أخرى.

وإذاً كان خليفةُ الغوث [الأعظم][2] الشَّيخ العلَّامة الملَّا خالد الأولكي (قدس سره) حاضراً هنالِك، فتكلَّم مع الشَّيْخ الأكبر، وسأل عن حاله وأحواله، فأجابه الشَّيخُ: بأنِّي جئتك للمشاورة، فقال: أيُّ مشاورةٍ؟ فأجاب: بأنِّي أريد أن أشتغلَ بآداب النَّقشبنديَّة قدَّس اللهُ أرواحَهُم، وقد قصدتُ الغوثَ الأعظمَ (قدس سره) لذلك، فلم يرزقني اللهُ تعالى تلك النِّعمةَ العظمى، وأعلم يقيناً أنَّه لو يسَّر اللهُ لي الهدايةَ والإهداءَ لكان على يدِ أحدٍ من خلفاء الغوث (قدس سره) بناءً على سبق محبَّتي الفاضلة له، والآن إنِّي متردِّدٌ بينك وبين الأستاذ الشَّيخ عبد الرحمن التَّاغي (قدس سره)، ولا يحصل من التردُّد شيءٌ [له][3]، فأَشِرْ عليَّ بما هو خيرٌ لي. فقال الأستاذُ العلامةُ الأولكي (قدس سره): إذاً يلزم لي ولك الاستخارةُ في شأن هذه المهمَّة، فلنَتَوضَّأ، ودخلا المسجدَ، فبدءا بسنَّة الاستخارة، ثم استقبل الأستاذُ العلامةُ القبلةَ، وقال الشيخُ الأكبرُ: ففعلتُ مثله خلفه قريباً منه، فرأيتُ كأنِّي بطٌّ مشويٌّ على يدي الأستاذ العلَّامة، فأخذني الأستاذُ الأعظمُ مثل شاهينٍ، واختلسني من يده (قدس سره)، ففزعتُ من ذلك، فوقع رأسي على ظهر العلَّامة، فتحوَّل إليَّ بوجهه، وقال: خطفك الشَّيخُ عبد الرحمن

(١) العُلياخ.

(٢) ما بين معقوفتين من (ب).

(٣) ما بين معقوفتين من (ب).

التَّاغي منّي، فاذهبْ إليه، وكنتَ من صيده، فذهب إليه، واستسلم له استسلاماً تامّاً، وسلك على يديه، ولا يقدر العقلُ أن يعلم ما جرى، وما كان من شأنهما قدَّس اللهُ أسرارَهُمَا.

وكان الشَّيخُ الأكبرُ (قدس سره) يذكر قصَّةَ رابعة العدويَّة (رضي الله عنها) حيث قصدت الحجَّ، وبسطتْ سجَّادَتها، وصلَّتْ ركعتين، ثم نقلت السَّجادةَ، ووضعتْ آخرها موضعَ أوَّل السَّجادة، وصلَّت ركعتين أيضاً، وهكذا إلى أن وصلتْ إلى مكَّة المكرَّمة، وخرجتْ يومَ العرفة إلى أسفل جبل الرَّحمة، وناجتْ إلى مولاها جلَّ جلالُه، وقالتْ في مناجاتها: ربّي أنت تعلم أنِّي امرأةٌ ضعيفةٌ بلا طاقةٍ، وقصدتُ بابك بهذه المشقَّة، ولي إليك مُنيَةٌ، فإن مننتَ عليّ بمُنْيَتي؛ فنعم المأمولُ، وإلا؛ فاحْسِب لي مشقَّتي.

وقال الشيخُ الأكبرُ (قدس سره): ونحن طلبنا، ووجدنا كاملاً مكمِّلاً ـ أي: الأستاذ [٤٣] الأعظم (قدس سره) ـ وفديناه بأنفسنا وأهالينا[1] وأولادِنا وأموالنا، وقد كان لي أيضاً مقصودٌ، فإن مننتَ أيضاً يا ربِّ بإعطائه؛ فنعم المقصودُ والمطلوبُ، وإلا؛ فأَجِرنا على ما أصابنا من التَّعب والفداء.

وبعد قرارِ الأستاذ الأعظم (قدس سره) في محروسة نورشين المباركة؛ أرسل الدَّوابَّ والبغالَ لمجيء بيتِ الشَّيخ الأكبر (قدس سره) إلى نورشين، فجيء به، فلما رُؤوا من قرية نورشين وأُخبِر الأستاذُ بأنَّهم جاؤوا؛ تَرقَّى على سطحِ البيت،

(١) في (ب): (وأهلنا).

وجال عليه متغيِّراً وجهُه متعجِّزاً، فقال له ابنُه الشيخُ محمد ضياء الدين قدس سرهما: كان مجيءُ بيت الشيخ قدس سره مقصوداً مهمّاً للأستاذ، وكنتَ تقول: ليتَه جاء ساعةً قبلُ، فالآنَ أراك عاجزاً متبدِّلَ الحال، وضَيِّق البال، فما السَّببُ في ذلك؟ فقال ضياءُ الدين: كان الشيخ علَّامَة الزَّمان[1]، وكان يجتهد في تدريس العلوم، وإفشاء الرُّسوم، بحيث لا يُبْقي فيهما نقصاً، والآنَ فصَلتُه عن تلك المشغلة العالية، وقصدتُ أنْ أُشغِلَه بأعلى مما كان من حِيازَتِه بالأفضَلَين معاً، فإن تمَّ المقصودُ؛ فنعم المأمولُ والمنى، وإلا؛ فكيف أجيب اللهَ تعالى يوم القيامة؟ لأن[2] كنتُ سبباً لفواتِ المهامّ.

وقال ذلك الحضرة قدس سره: وبعدَ كَمْ يومٍ[3] رأيتُ الأستاذَ قدس سره على السَّطْح أيضاً، وهو يجول ذهاباً وإياباً، ووجهُه المباركُ نشيطٌ متلألئٌ بَسطاً وفرحاً، فلما رآني قال ضياء الدين: ادنُ مني، فقال: إنَّ الذي أمَّلتُه من الشَّيخ فتح الله قد حصل بحمد الله تعالى، فإذاً وجدتُ وأحضرتُ جواباً لسُؤال[4] الله تعالى عن ذلك يوم القيامة.

فبعد أن استقرّ الشَّيخُ قدس سره في نورشين؛ اشتغل بالأوراد والمشاغل النَّقشبنديَّة قدَّس الله أسرارَهم، وبالتَّدريس العامِّ التَّامِّ لأبناء الأستاذ وغيرهم

(١) في متن (ب): (زمانه)، وفي حاشيتها: الزمان، خ أصلية.
(٢) في متن (ب): (لأني)، وفي حاشيتها: لأن، نسخة أصلية.
(٣) في (أ) و(ب): (أيام)، والصواب ما أثبتناه.
(٤) في (أ) و(ب): (لسؤل)، والصواب ما أثبتناه.

من الخواصِّ والعوامِّ.

وقال قدس سره: اشتغلتُ وقتاً بتدريس كتابٍ من كتب الحكمة في الدَّفعةِ الأولى لم أوَفَّق لعِلم كلِّه، و[في][1] الدَّفعة الثَّانية مَنَّ اللهُ عليَّ بمعرفة كلِّ ما فيها حقَّ معرفته، فيوماً كنت على الدَّرس والتَّعليم إذ دخل الأستاذُ الأعظمُ قدس سره، فسأل: أيُّ كتابٍ في يدك؟ قلت: الكتابُ الفلانيُّ في علم الحكمة، فاستَشعرتُ أنَّه قدس سره لا يرضى بذلك بقلبه، فمرضتُ بعد ذلك مرضاً شديداً، [٤٤] ثم شفاني اللهُ منه، فراجعتُ إلى كتابي، فرأيتُني نسيتُه رأساً، فتركتُ تحصيلَ وتدريسَ ذلك رأساً.

واشتغلَتْ حرمُه الكبيرةُ الشيخ زُليخا أمُّ الشيخ محمد علاء الدين قدس سره بصُنع الأطعمة وطبخ الخبز للتَّكيَّة الكبيرة، وما زالت رحمها الله طابخةً وصانعةً للأطعمة ما كان بيتُ الشيخ الأكبر قدس سره في نورشين.

وصورةُ فداء أمواله لبيت الأستاذ قدس سرهما: أنَّ فواكهه وجميع محصولاته من أملاكه حينما تجيء من قرية وَرْقانس - وكانت كثيرةً مِقدارَ سبعة عشر حمل البغال تقريباً - يسلِّمُها إلى قَهرمان بَيْتِ الأستاذ، ويجعلُها في خزانة الذَّخيرة، ويصرفها على أهل البيت المكرَّم، وبيتُ الشيخ الأكبر قدس سره كبيتٍ واحدٍ بلا فرقٍ، وكان الشيخُ الأكبرُ قدس سره من الأغنياء، وله أخٌ يسمى بالشيخ موسى، وكان له سبعون ألف دينارٍ، وبإلحاح النَّاسِ عليه وقولهم: إنَّه أخوك

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

يلزم أن تكونا متساويين في المال؛ أعطى مقداراً دون النِّصف، وأجاب النَّاسُ بأنَّ الشَّيخَ اكتسب العلمَ، وأنِّي اكتسبتُ المالَ، فإن أعطاني نصفَ علمه؛ أعطيتُه نصفَ المال، وصرف جميع ذلك في محاويج بيت الأستاذ الأعظم قدس سره، وقال الشيخُ: أيّما اشتهاه الأستاذُ من شراءِ عقارٍ أو نحو ذلك وتزوّج، أو ما ضاهاه ولم يفعله من ضَيْقةِ اليد؛ تكلَّفتُ نفسي إلى أن حصَّلتُ ذلك له، ودام هذا الحال بُرْهةً من الزمان.

** ** **

[مبحث بيان بعض أحوال الأستاذ الأعظم وخلفائه في الإرشاد قدس سره][1]

وكان خلفاؤه قدس سره وسالكوه والعلماءُ وبعضٌ من المريدين الخالصين يجتمعون إليه في قرية نورشين مع أهاليهم وأولادهم، وكانوا يسكنون في البيوت الضيِّقة الغير الكافية، حتى إنَّ الأستاذَ قدس سره يأمر في بعض الليالي بدخول بعض الخلفاء على أهله، فيوسِّعُ له المقامُ حسب الإمكان، وهكذا، وفي بعض الليالي يستودع بعض غرف الجيران لتلك الحاجة، وكلما يخرج الأستاذُ الأعظمُ قدس سره يخرج معه جميعَ أتباعه بموكبٍ عظيمٍ، وجمعٍ كريمٍ، إلى البلادِ والقرى والممالك لإرشاد النَّاس، وتبليغ أمر الشَّريعة الغرَّاء، وإجراء الطَّريقة البيضاء، والمملكةِ الرُّوزكية كانت غريبةً عن الأمرين الجليلين، فأتعب نفسه قدس سره إلى أن أجرى فيها ما يهديهم إلى دينهم.

وقال الشيخُ إبراهيم الملاكَنْدي جدّ السيد عبد الله رحمه الله[2]: [٤٥] وقد كان الأستاذُ الأعظمُ قدس سره شيخاً عظيماً، لا يتمسَّكُ في الطَّريقة النَّقشبنديَّة إلا بالعزائم، وكان الشيخُ الأكبرُ قدس سره مُهْتماً بالشَّريعة، بحيث لا يقبل في البيت ولا في الأتباع إلا الأصحَّ في المذهب الشَّافعيِّ، فوفَّقهما الله تعالى لنشر الطَّريقة والشَّريعة في المملكة على الوجه الأتمِّ.

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

(٢) في (ب): (رحمهم الله).

وقال الأستاذُ الأعظمُ قدس سره: إنِّي لم أجلبْ أحداً إلى التَّمسُّك بي، بل كان ذلك من فضل الله ومن طرفه فحسب، إلا الحاج يوسف أفندي البتليسيّ[1] رحمه الله، فإنَّه وقع مني نوعُ جَلْبٍ له، فكان في أثناء سلوكه نوعُ فتورٍ له، ثم يسَّر اللهُ له الوصولَ التامَّ. وقال الحاج يوسف أفندي: قد رأيتُ الأستاذَ الأعظمَ قدس سره يشدّ وسطه يومًا بملائته الحما[2]، فبدا إليّ كأنَّه قدس سره يلفُّ معها روحي في وسطه، فعلمتُ أنَّه جلبني إليه قدس سره تماماً.

وبعد أن دانتْ لهم المِلَّةُ الرُّوزكيةُ، واستسلموا لأمر الأستاذ قدس سره؛ اجتمع شيوخُ المملكة، وأرادوا منع الأستاذ الأعظم قدس سره وأتباعِه عن المملكة، وقالوا: إنَّها لنا ولآبائنا، فإن أبَوْا إلَّا ما أرادوا؛ فبيننا وبينهم الشَّرعُ الأغرُّ، وكان اجتماعهم ببلدة بتليس[3]، وأرسلوا إلى نورشين مكتوباً مضمونه: ليجئ الأستاذُ الأعظمُ إلى بتليس[4] لنفعل ما نريد على مقتضى الشَّريعة، فقال الأستاذُ الأعظمُ للشيخ الأكبر قدس سره: اذهب إليهم، وانظر ماذا يدَّعون، وكان للشيخ قدس سره بعضُ كتبٍ عتيقةٍ سلَّمه إلى عربةٍ لتذهب بها إلى بتليس[5] لتعميرها وتجليدها هنالك، ....

(١) في (ب): (البدليسي).

(٢) الحموية خ.

(٣) في (ب): (بدليس).

(٤) في (ب): (بدليس).

(٥) في (ب): (بدليس).

وركب[1] هو وبعض الرِّفقة يريدون الذَّهابَ إلى بتليس[2]، ولما وصلوا إليها ذهب الشيخُ إلى الوالي وقُمنْدان العسكريّة، وأوضح لهما بأنَّ بعض الشُّيوخ يمنعون مَنْ سواهم مِنَ الإرشاد، ويقولون: إنَّ المملكةَ لنا ولآبائنا، هل لهم أن يُخرِجونا من المملكة حسب تلك الدَّعوى أم لا؟ فأجاب الوالي بأنَّ الأرضَ لله يورثها من يشاء، والتّصرُّف فيها بأيدي الحكومة، وعليكم أهلَ العلم والإهداءِ التَّبليغُ والإرشادُ، وليس لأحدٍ منعكم من الإرشاد وهداية النَّاس إلى الطَّريق المستقيم، فداوِمُوا على ما كنتم تفعلون. فلما سمع مريدوا الأستاذ الأعظم ببتليس[3] أنَّ الشيخَ الأكبرَ قدس سره جاء بعربةٍ محمولةٍ من الكتب ظنُّوا أنَّ الكتبَ لجدالهم، فخرجوا من البلدة لاستقبال العربة بهيئةٍ عظيمةٍ وصياحٍ، ورفع [٤٦] الأصوات بالتكبيرات والصلوات على سيد السَّادات، إلى أن أدخلُوها في البلدة، وسمع الشيوخُ بأنَّ الشيخَ الأكبرَ قدس سره ذهب إلى الوالي، وتكلَّم معه ما تكلَّم، وظنُّوا أنَّ عربةَ الكتب جاء بها الشَّيخُ العلامةُ قدس سره لجدالهم، فصباحاً فرَّ كلٌّ منهم إلى مكانه، فتبعهم أطفال البتليسيِّين[4] وشبَّانُهم مستهزئين بهم، قائلين: شيخلر قاجتيلر، أي: فرَّ الشيوخُ، فصاروا مضغةً في أفواه النَّاس.

(١) في (ب): (وتركب).

(٢) في (ب): (بدليس).

(٣) في (ب): (ببدليس).

(٤) في (ب): (البدليسيين).

وكان كلٌّ من العلماء السَّالكين في وقت الأستاذ الأعظم قدس سره ينظر في كتابٍ من كتب[1] العُشَّاق، فسأل الأستاذُ الأعظمُ الشيخَ الأكبرَ قدس سرهما: أنت تنظر في أيِّ كتابٍ منها؟ فأجاب: بأن ليس لي النَّظرُ إلى كتابٍ خاصٍّ، بل أنظر فيما رأيته فارغاً من تلك الكتب، وقال: مَثَلي كمَثَل من لا يُعرَف بقرته، فإذا ذهب النَّاسُ بأبقارهم، وبقيت واحدةٌ منها بلا صاحبٍ؛ أخذها، ففرح الأستاذُ بذلك المقال، وتبسَّم في وجهي، وقال: ذلك يدلُّ على حيازتك على مشارب كلِّ العُشَّاق.

وقد جرى يوماً بين الأستاذ الأعظم والشَّيخ الأفخم قدس سرهما البحثُ عن أنَّ كمالَ الإنسان يجيء من أصله ونشأته أم لا؟ فقال الشيخُ الأكبرُ قدس سره: إذا لم يكن له أصلٌ طاهرٌ لا يصل إلى نهاية الكمال؛ لأنَّ كُلًّا منهم ينجرّ إلى جوهره الذي كان أصله[2] عليه. وقال الأستاذُ الأعظمُ قدس سره: بل إنَّ كثيراً من النَّاس يتبع الأكابرَ، ويحصل له الكمالُ، كما أنَّ الملا سليمان بنَ مورو كان من عشيرة جبران من أهل البوادي، فتبع العلماءَ بعد أن صار راعياً سبع سنين، وكَمُلَ معهم، فقال الشيخُ قدس سره: نعم، قد صار[3] عالماً وصالحاً، ولكن لم ينخرط عنه طبعُ أهل البوادي؛ لأنَّه كان ممازحاً مع كلِّ أحدٍ، سواءٌ كان أعلى منه أو أسفل منه أو مثله، وتمكَّنتْ تلك الشِّيمةُ فيه، وذلك طبيعةُ أهل البدو. فقال الأستاذُ قدس سره: إنَّ العلامةَ المَلَّا رسول السِّيبكيّ

(١) دواوين خ.

(٢) أقاربه خ.

(٣) كان خ.

رحمه الله تعالى كان من أهل البدو، وكان مَن كان. فقال الشيخ قدس سره: هو أستاذنا، وليس لنا حدٌّ أن نتكلَّم فيه، ولكن أقول ما هو فوق حدّي: وهو أنَّ طبيعةَ أهل البدو قد رسختْ فيه، حتى إنَّه يتكلَّمُ مع كلِّ أحدٍ عن حِجْرته الموسومة بهولى، وذلك يدلُّ على رسوخ تلك الطَّبيعة فيه رحمه الله تعالى. فقال الأستاذ قدس سره: وإن الشيخ صالحاً السيبكي كان عالماً كبيراً، ومرشداً جليلاً، وهو خليفةُ الشيخ خالد الجزري[1]، خليفةِ مولانا خالدٍ قدس سره، وهو أيضاً [47] من البَدويّين. وقال الشيخُ الأكبرُ قدس سره: والقولُ فيه أيضاً زائدٌ على حدِّي؛ لأنَّه في مقام أستاذي المرشد، ولكن بناءً على تمثيل الأستاذ به قيل: إنَّه إذا جاء أبوه في مجلسه وكان جاهلاً لا يقوم له ولا يحترمه، وكثيراً ما يقعد خلف الباب، وهو في صدر المجلس، وذلك من طبيعة أهل البدو، بل أشدُّ خلافاً للمروئية. فقال الأستاذ قدس سره: ما تقول في السيِّد أحمد الرفاعيِّ قدس سره؟ فأجاب الشيخُ قدس سره: بأنَّه زائدٌ عن حدِّي أكثر ممن سبقوا أن نتكلَّم فيه، فإنَّه من الأقطاب الأربعة والأشراف، وليس هو من أهل البادية، ولكن لتَوَطُّنه فيما بينهم تطبَّع بطبائعهم الجِلْفة، فلأجل ذلك كان مريدوه قدس سره يَنْخَسُون[2] في صدورهم الحِرابَ، وتطلع من ظهورهم، ويلقون أنفسهم في النَّار، ومثل ذلك بعيدٌ عن شيمة الأشراف وسجاياهم، بل من شِيَم جيرته الأجلاف. فقبل الأستاذ قدس سره تلك الأجوبةَ، ولم يتكلَّم من بعدُ.

(١) في (ب): (الجزيري).

(٢) في (أ) و(ب): (يَتْخَسُون)، والصواب ما أثبتناه؛ لأن تخس بمعنى الخساسة، ونخس بمعنى الطعن وهو المراد.

وسبب تزوُّج الشَّيخ الأكبر ثانياً أنَّه لم يكن للشَّيْخ الأكبر ﵁ إذ ذاك ولدٌ ذكرٌ يرثه في علمه، فاستشار بالأحبَّة، وطلب منهم التَّفحُّصَ للائقة به ﵁، فسمع الأستاذُ ذلك، فقال: إنَّ عندي مَنْ تليق بك، وهي بنتي، فزوَّجَها منه قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمَا، فلما أركبوها فرسَ الأعراس، وجالوا بها إلى أن أتَوا بها إلى باب بيت الشيخ ﵁، فقال الأستاذُ ﵁: لا تنزل هي إلا أن تأخذ الخَلاةَ ـ أي: البخشيشة ـ اللائقة بها، فتوجَّه الأستاذُ ﵁ إلى الجمع من الأكابر والعلماء، وسأل عنهم: أيُّ شيءٍ ترونه لائقاً بها؟ فأجاب كلٌّ منهم بما يراه لائقاً بها، ثم قال الأستاذُ ﵁: أنتم لا تعلمون اللَّائقَ بها، أرى أن يتعهَّد الشيخُ أن يدرِّسها ما داما في قيد الحياة، فقبل الشيخُ ﵁ ذلك المقترحَ، فأنزلوها، ثم كان من سرِّ حسن القدر أنَّ حَرَمَهُ الكبيرةَ أولدتْ وأنجبتْ له ولداً كان رئيساً للمشايخ والعلماء والأكابر، وها هو الشيخُ محمد علاء الدين قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ، ثم أنجبتْ له بنتُ الأستاذ ﵁ أبناءً، وكبيرُهم الشيخُ معروف، وهو كان عالماً عابداً صالحاً، وكذلك سائرُ أبنائه الأمجاد.

وفي سنةٍ من السِّنين أراد الأستاذُ زيارةَ مرقد شيخه الغوث ﵄، وكان في رفاقته[1] كثيرٌ من العلماء والخلفاء، فزار في طريقه مرقد الشيخ محمد الشنبكي ﵀[2] في قرية هيفريس، فبعد أن أتمُّوا وظيفةَ الزِّيارة من القراءات والأدعية؛ ذهب الرِّفقة كلُّهم، وبقي الأستاذ ﵁ وحده على القبر

(١) في (ب): (رفقته).

(٢) في (ب): (الثنبكي).

مقداراً طويلاً مراقباً، [٤٨] ثم بعد أن تحوَّل ركبُ فرسه وراحوا إلى مقصدهم، فتوجَّه إلى الشيخ الأكبر ﵄، وقال له: إن الشيخَ محمداً الشنبكي ﵀[1] كان يقول لي: اجعل نفسك في هذه الشِّتاء في الرِّياضات ليعطيك الله جلَّ جلالُه المُجدِّديَّة، فأجبته بأنّي أحملُ تلك الرياضات، ولكنَّ المجدِّديةَ أختارُها للسُّلطان، فليُعطه الله إياها، فقال الشيخُ الأكبرُ ﵄: إنَّ الإيثارَ في الأمور الدُّنيويَّة مرغوبٌ ومطلوبٌ، كما جرى ذلك من الصَّحابة رضوان الله تعالى عليهم وكذا من غيرهم، وأما في القربات فهل يجوز ذلك؟ فأجاب الأستاذُ ﵁: بأنَّ لي في ذلك غرضاً صحيحاً، وهو أنَّه لو كنت مجدِّداً؛ لانتفع بي أهلُ ولاياتٍ معدودةٍ، وأما لو كان السُّلطانُ مجدِّداً؛ لانتفع به جميعُ المسلمين.

وكان الشيخُ الأكبرُ ﵁ يقول: إنَّ الأستاذَ الأعظمَ تحمَّل تلك الرِّياضات والمشاقّ، حتى كان لا يأخذ من الطَّعام والمنام إلا قليلاً، ويجتهد في الطَّاعات أكثرَ مما اعتادَه، ويقول الشيخُ ﵁: رأينا أثرَ ذلك بعد الرَّبيع في جميع الأنحاء التي وصل إلينا أخبارُها، حيث سمعنا أنَّ السُّلطانَ عيَّن في كلِّ بلدةٍ والياً صالحاً موافقاً لأمور المسلمين، ووقع الإصلاحُ بين المسلمين، فعلمنا أنَّ ذلك نتيجةُ ما آثره الأستاذُ ﵁ للسُّلطان.

** ** **

(١) في (ب): الثينكي.

[مبحث إرادة الحجّ والذّهاب له وللزّيارة من جماعتهم قدس سرهم](1)

وفي سنة (١٢٩٠) أي: مائتين وتسعين بعد الألف الهجرية أراد الحجّ جمعٌ كثيرٌ، وفي رأسهم الشيخ جلالُ الدين بن الغوث الأعظم مع أتباعه وخدمه، والأستاذُ الأعظمُ مع بعض خلفائه، ومنهم الشيخ الأكبر قَدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمْ، وأفاض علينا بِرَّهم وأنوارهم، وسائر العلماء التابعين لهم من السَّالكين رحمهم الله تعالى رحمةً واسعةً، فراحوا إلى أن وصلوا إلى ليمان قَرَه دَكز(٢) ـ [أي:](٣) البحر الأسود ـ فركبوا الباخرةَ هنالك، ووصلوا إلى إستانبول دار السَّلطنة، وسكنوا هنالك مقدار شهرين، واكتَرَوا داراً كبيرةً تسعهم بستين ديناراً، فقال الشيخُ الأكبرُ قدس سره: سمعت أنَّ الشيخَ جلال الدين قدس سره قال: إنِّي أُؤَدِّي ذلك المبلغَ من عندي، فذهبتُ إليه، وقلت له: إنِّي سمعتُ أنَّك ضمنتَ لتلك الأجرة، وإنَّها لمبلغٌ عظيمٌ، ولا يثقل على الجميع حيث لا يحمل كلُّ واحدٍ أكثر من نصف دينارٍ، ولكن يثقل على واحدٍ، فقال لي: يا شيخ فتح الله، أنبئني [لو](٤) أنَّ جمعاً من التُّجّار

---

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

(٢) في متن (ب): قره دنز، وفي حاشيتها: قره دكز خ.

(٣) ما بين معقوفتين من (ب).

(٤) في (أ) و(ب): لو خ.

اجتمعوا(١) في موضعٍ واحدٍ، وكان فيهم [واحدٌ](٢) أغنى من [٤٩] الجميع، وفي البين يباع شيءٌ في غاية اللطافة، وأغلى قيمةً من سائر الأمتعة: فهل يساعد الأَغْنى أن يشتري غيرُه ذلك الأغلى قيمةً؟ فأجابه الشيخ قدس سرهما: لا، فقال الشيخُ جلال الدين قدس سره: أنتم العلماء تقولون: إنَّ سفرَ الحجّ من أفضل التجارات، أي: تجارةٌ عظيمةٌ للآخرة، وأنا أغنى منكم، فما أمكنني لا أُبقي لكم مثل هذا، فقال الشيخُ الأكبرُ قدس سره: فإذا أنت تلاحظ هذا؛ فالخيارُ لك، تقبَّل الله منك.

وقال: بعد أن أنشأنا السَّفرَ من إستانبول، ووصلنا إلى ينبوع، ودخلنا الخان، ثم ذهبنا إلى المسجد لأداء فريضة الوقت، رأينا رجلاً واقفاً على قارعة الطَّريق، فلما وقع عينُه على الأستاذ قدس سره أشار إليّ أنْ جئ إليّ، فقرُبْتُ منه، فقال: مَن هذا الذي أمامكم؟ فقلت: عالمٌ من علماء مملكتنا الكردستان، فقال: أليس هذا وليّاً من أولياء الله تعالى؟ فأجبته بأنَّا نَعْلَمُه وليّاً ونحن من مريديه، فدقَّق النَّظرَ فيه ويكلمني، ثم قال: والله إنَّه لوليٌّ، ومَشْيُه يدلّ على ذلك، فسألني: في أيِّ خانٍ تسكنون؟ فقلت: في الخان الفلانيّ، ثم جاء إلينا وتكلَّم طويلاً مع الأستاذ قدس سره، واسمه الشيخُ حسن اليَنْبوعي الشاذليّ، وقال: إنّي بُخَاريُّ الأصل، فجئت ببيتي إلى المدينة

---

(١) لو اجتمعوا خ.

(٢) في (أ) و(ب): واحد نسخة.

المنوَّرة بقصد المجاورة، فبعد مقدارٍ من الزَّمن بدا لي أنّي لا أوفّي بحقّ المجاورة خوفاً من ظهور إساءة الأدب منّي، فنقلت بيتي إلى ينبوع، وفي كلّ سنةٍ أحجّ وأزور الرَّوضةَ المعظَّمةَ، وكلّما يبحث الأستاذ الأعظم ﷺ عنه يقول: إنَّ الشيخ حسناً الينبوعي كان من العارفين.

ثم ارتحل قافلةُ الأستاذ الأعظم ﷺ المعظمةُ[1] قاصدين المدينة المنوَّرة على الدَّوابِّ، فلما وصلوا أبيار علي ـ وكان يُرى منها المنَارات والقُبَّة الخضراء ـ نزلوا عن الدّوابّ، وتوجَّهوا للقُبَّة، ودَعَوْا هنالك ما شاء الله تعالى. وأما الأستاذُ الأعظمُ [ﷺ][2]؛ فلم يتوجَّهْ إلى القبَّة الخضراء، بل حوّل إليها جنبه داعياً، ثم نزلوا إلى المدينة المنورة راجِلين، فقال الشيخ جلال الدين للأستاذ الأعظم ﷺ: لأيّ شيءٍ فعلتَ ما فعلتَ من تحويل الوجه من القبّة والتَّجنيب إليها ونحن قاصدون إليها من البلدان البعيدة مع تلك المشقَّة والحَطِّ والتَّرْحال؟ فأجابه الأستاذُ ﷺ: يفعل كلٌّ حسب ما يبدو له، فقال الشيخ جلال الدين ﷺ: أنت لا تنجو منّي إلا بِحَلِّ هذه العجيبة، فبيَّن الأستاذُ ﷺ بأنَّ السببَ هو [٥٠] أنّي تيقَّنتُ أن لو توجَّهتُ إلى القُبَّة تماماً؛ لوقعَ ظهري إلى جهة قبر الغوث الأعظم ﷺ، والحالُ أنَّه هو الواسطةُ بيني وبين الله جلّ جلالُه وبين رسول الله ﷺ، فلم يَطِبْ قلبي بجعله خلفي. فلم يتكلَّم الشَّيخُ جلال الدين ﷺ علامةً لقبول العُذْر.

(١) في حاشية (أ): العظيمة خ، وهي المثبتة في متن (ب).

(٢) ما بين معقوفتين من (ب).

فلما وصلوا إلى المدينة المنوّرة، واكترَوا المنازلَ حسب حاجاتهم، وحطُّوا الرِّحال إليها، فقال الأستاذُ الأعظمُ ﷺ: من يرد أن يزورَ الرَّوضةَ المطهَّرة فليزرها، وأما أنا؛ فلا أزورها إلا بعد التَّطهير من أوساخ الطَّريق، وتبديل الثِّياب، فذهب من ذهب، ومنهم خليفته الحاج سليمان أفندي البتليسي ﷺ، فلما رجع سأله الأستاذُ ﷺ: من أين تجيء؟ قال ﷺ: من الزِّيارة، فقال الأستاذ: هلَّا قلتَ هذا البيتَ لمولانا الجامي ﷺ السامي:

زمهجوري برامدجان عالم   ترحم يا نبي الله ترحم

نه آخر رحمةً للعالميني   زِ محرومان جرا فارغ نشيني

فبعد أن اغتسل الأستاذ ﷺ ولبس الألبسة الحسنةَ النَّظيفةَ؛ ذهب إلى زيارة الرَّوضة المطهَّرة على ساكنِها وآله وصحبه أفضلُ الصلاة وأكملُ السلام، وصلى ركعتي التَّحيَّة في مسجده، ثم ذهب إلى قُبالة القبر الشَّريف، وسكن مقدار دقيقتين، ثم رجع، وكذا فعل مرَّةً ثانيةً، وفي الثَّالثة لما دخل المسجدَ من باب السَّلام وضع خَطوةً قريبةً، فسكن مقداراً كثيراً، وهكذا، إلى أن وصل تجاه الوجه الكريم المنوَّر، ثم وقف مقداراً كثيراً، فجلس وراقب طويلاً. وقال الشيخُ الأكبرُ ﷺ: إنَّ النبيَّ ﷺ تكلَّم معه في أثناء تلك المراقبة الميمونة كثيراً، والمُهِمُّ من ذلك كان ثلاثةَ أشياءٍ، فأُبيِّنُ اثنين[1] منها، ولا أتكلَّمُ عن الآخر:

(١) في (ب): (اثنتين).

أحدها: أنّه عليه الصلاة والسلام بشّره بأنَّ مريديه يموتون بيقظةٍ تامّةٍ عند السَّكرات.

وثانيها: أنَّ العبادةَ إذ ذاك في حضور النّسوان لصحبة المشائخ واستماعها أن يُرْخَى سترٌ، فيقفن خلفه، ويُكلِّمُهنَّ الشّيخُ، ويستمعن صُحبتَه.

وكم مراراً كنتُ أقول له: إنَّ الأستاذَ (قدس سره) لو منع هذه العادةَ؛ لكان أحسن؛ لأنَّ الزّمانَ يفسد آنـًا فآنـًا، وإن لم يُتَّهمْ شيءٌ في أيام الأستاذ والسَّادات قبله (قدس سره)، فيجيبُني الأستاذُ (قدس سره) بأنَّ تلك من عادات السَّادات، [٥١] فلا يمكنني رَفْعُها، ففي تلك المراقبة أمره النبيُّ ﷺ برفع تلك العادة.

وثالثها قال الشيخُ: لا أفشيها.

ثم بعد انتهاء تلك الصُّحبة الميمونةِ العاقبة[1]، وعند رجوع الأستاذ عن تلك المراقبة؛ حوّل (قدس سره) وجهَه إليّ، وقال: كم مقدارٍ من الأذرع بيننا وبين القبر الشّريف؟ قلت: ستّةُ أذرعٍ تقريباً: ثلاثةٌ بينك وبين الشُّبّاك، وثلاثةٌ بينه وبين القبر الشّريف، فقال: فكم من أشهرٍ خرجنا من بيوتنا قاصدين هذه الدّولة العظمى، وأنت والرِّفقةُ تقولون: وصلنا إلى دولة الحضور؟ والحال نحن كلُّنا على خطأٍ في ذلك، فأين نحن من وصول تلك الدّولة العالية التي لا تليق بأمثالنا؟.

(١) في (ب): (العافية).

ودامُوا في المدينة المنوَّرة على هذه الحالة، فزاروا العلماءَ فيها وزاروهم، وصاروا هم لهم وهم لهم أحبّاءَ، بل نُقِلَ أنّه (قدس سره) أرشد كثيراً من النّاس في المدينة المنوّرة على منوِّرِها وآله وصحبه وتابعيه الصّلاةُ والسّلامُ، كما يُفْهم من كلامه (قدس سره) في شرب الدُّخان في المسجد؛ لأنّه قال (قدس سره): اجتمع عليّ جمعٌ من أهالي المدينة المنوّرة في المسجد النبويّ ﷺ، وطلبوا مني الصُّحبةَ، فتعلَّلتُ بأنّي لا أطيق الكلامَ بدون شرب الدُّخان، فبسط واحدٌ منهم منديله، وأعطاني الشّبط[1]، حيث لم ينكروا عليه لكمال الاستسلام.

وسكنوا في المدينة المنوّرة ما شاء الله أن يسكنوا، وزاروا ما شاؤوا مَن شاؤوا.

ولما قَرُبَ موسم الحجّ، قال الشيخُ جلال الدين (قدس سره): غداً نرتحل قاصدين مكّة المكرَّمةَ زادَها الله شرفـًا، فقال الأستاذُ (قدس سره): أما أنا؛ فلا أحجُّ في هذه السَّنَة، ولا أترك المدينةَ المنوّرةَ، وأبقى فيها إلى السَّنَة القابلة، فأحجُّ، ثم آتي المملكة إن ساعد الأجلُ، ويسّر الله الأعزُّ الأجلُّ.

وكان جميع نقودهم وذخائرهم[2] عند خَدَمة الشّيخ جلال الدين (قدس سره) لأجل الحفظ من السُّراق وقُطّاع الطّريق، وكانوا بتدبيرٍ تامٍّ من الأسلحة وما يدفع به، فقال الشيخُ جلال الدين (قدس سره): والله إن بقيتَ هنا؛ فلا أعطينَّك شيئـًا

(١) في حاشية (أ): أي: القيلون، وهي مثبتة في متن (ب).
(٢) في حاشية (ب): ذخاؤهم خ.

من الدَّراهم ولا من الذَّخائر، فقال الأستاذُ (قدس سره): لا قدرةَ لي على أن أُجبرَك إن أعطيتَ أو لا.

فبعد الغَدِ ارتحل الشيخُ جلال الدين والقافلةُ العظيمةُ، وبقي مع الأستاذ قليلٌ من الأتباع والرِّفقة، فطلب منه بعضٌ من أهل المدينة المنوَّرة من الأكابر وغيرهم سَكَنَه في بيته، وفي ذلك الوقت [٥٢] صاحَ عليهم واحدٌ من أهالي المدينة المنوَّرة، وقال: إنَّكم تَمُنُّونَ عليه بإسكانكم إيَّاه في بيتكم، فوالله لو لم يوجد أحدٌ يخدِمه لأرسل الله جلَّ وعلا أحداً لخدمته.

وسكن هنالك بضعةَ أيام، ورأى أنَّه لا يمكن الدَّوامُ بدون النُّقود، فارتحل قاصداً زيارةَ بيت الله وأداء الفريضة واللُّحوق بالرِّفقة، فلما وصل إليها؛ اشتغل بأداء حقوق البيت، وشرب ماء زمزم، بل قيل: إنَّه كان (قدس سره) يشرب قُربةً واحدةً دفعةً، وبالقُعود في صحبة أهاليها.

قال الشَّيخُ الأكبرُ شيخُ الشَّريعة مولانا الشيخ فتح الله (قدس سره): فلما ذهب الأستاذُ الأعظمُ في مكَّة المكرَّمة إلى صحبة الشَّيخ الكبير الأفخر مولانا الشيخ محمد مظهر من أحفاد القطب الربانيِّ مولانا حضرة الشَّيخ أحمد الفاروقيِّ المعروف بالإمام الربانيِّ (قدس سرهما)، قال الأستاذُ الأعظمُ (قدس سره) لرفقائه: إنِّي أُلقِي إليكم قولاً ينبغي أن تطيعوني، فقلنا: إن أمكَنَنا نمتثل أمرك، فقال: أن تعقِدوا[1] عَمَامَتي في عنقي، وتَجُرُّوني خلفكم إلى حضرته (قدس سره)، فقلنا: هذا

(١) تربطوا خ.

فوق حدِّنا وطاقتنا، فلا نفعله أبداً، فقال: إذاً ألقي إليكم شَيئًا آخر، فتفعلونه ألبتَّة، فقلنا: ماذا هو؟ فقال: أن تتقدَّموا عليَّ، وإنِّي[1] خلفكم نمشي إليه، فقلنا: إنَّ هذا أيضًا زائدٌ على قدرنا، فقال (قدس سره): هذا لا مَفَرَّ منه، فتفعلونه ألبتَّة، فقدم (قدس سره) ذا التَّحقيقات الفائقة مولانا الحاج سليمان أفندي البِتْلِيسي أوَّلاً، ثم العالم الفَخَّار مولانا الشيخ عبد القهار (قدس سرهما)، ثم إياي، فجاء الأستاذُ (قدس سره) خلفنا كما أمر إخفاءً لشأنه، فلما حضرنا مجلسه العالي (قدس سره) دعا الأستاذَ الأعظمَ (قدس سره) إلى جنبه، وأقعده فوقنا، وتكلَّم معه، وأطال الصُّحبةَ، فبعد أن استأذنا للخروج وخرجنا، قال الشيخُ عبد القهار: أرجو من كرم الأستاذ أن لا يَهتِكَنا مرةً أخرى، فإنَّ المسكَ لا يُخفَى ببَسْط السِّتْر عليه، وما بالُنا أن ننتقض في البين.

فبعد أن قَضَوْا[2] نُسُكَهم بأكمل وجهٍ وأتمِّ أداءٍ رجعوا إلى المملكة مأجورين غانمين، والحمد لله، زار الأستاذ الأعظم شيخه الأول الشيخ عبد الباري الجرجانيّ (قدس سرهما)، فاستبشر به، وبشَّره بأنَّ الله تعالى مَنَّ عليك، وحصَّل لك في هذه السَّفْرة الميمونة المباركة التَّصرُّفَ المطلقَ، ومن بعد [٥٣] ذلك يوصف[3] في السِّلسلة النَّقشبنديَّة بالمتصرِّف على الإطلاق، ويقرأ ذلك في الختمة الخواجكانيَّة (قدس سره).

(١) في حاشية (أ): أنا نسخة، وهي مثبتة في متن (ب).

(٢) أدَّوا خ.

(٣) وصف خ.

[مبحث وممَّا وقع للشَّيخ الأكبر في وقت الأستاذ الأعظم قدس سرهما](١)

ومما وقع من الشَّيخ الأكبر في وقت الأستاذ الأعظم قدس سرهما أنَّه قال: طالعتُ ليلةً(٢) مناقبَ الإمام النوويِّ رضي الله عنه، ورأيتُ فيها أنَّ تآليفه من زمن القابليَّة(٣) للتَّأليف إلى الوفاة(٤) بلغت حدّاً أنَّه ألَّف كلَّ يومٍ كرَّاسةً من يوم ولادته إلى يوم وفاته، وكان قد وقع في الانزواء بعد الأربعين سنةً من عُمْرِه، فلم يؤلِّفْ، ومعلومٌ أنَّ الطُّفوليَّة إلى المراهقة غيرُ قابلةٍ للتَّأليف أيضـاً، ومع ذلك كان قطبَ زمانه، فنام(٥) على ذلك التَّفكُّر والتَّعجُّب والحَيرة، ورأى الإمامَ رضي الله عنه في المنام قائلاً له قدس سره: هل تتعجَّبُ من ذلك المذكور؟! فقال قدس سره: إي واللهِ، إنَّ ذلك خارجٌ عن طَوْق البشر، فقال الإمامُ رضي الله عنه: كان كلُّ ما نفعلُه لا نلاحظُ فيه ثواباً ولا عقاباً، ولكن كنَّا ممتثلين للأمر، فبسبب ذلك يُيَسِّر الله تعالى لنا، ويُسَهِّلُه علينا.

وفي صُبْح تلك اللَّيلة طلب أهالي قرية بِزاتُون أن يذهب الأستاذُ قدس سره إليهم، وجاؤوا بالتاخُوك إذِ الوقتُ كان شتاءً، فأرسل الأستاذُ إلى الشيخ قدس سرهما

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

(٢) في (ب): (ليلاً).

(٣) في حاشية (أ): قابليته خ، وهي مثبتة في متن (ب).

(٤) في حاشية (أ): وفاته خ، وهي مثبتة في متن (ب).

(٥) في (ب): (قام).

ليرافقه، فقال الشيخُ قدس سره للقاصد: إنَّ بي عجزاً، إن رضي الأستاذُ أنّي أستريحُ الليلةَ في البيت لإزالة تلك المرض، فأرسل الأستاذُ قدس سره آخرَ، وقال: فليجيءْ، فإنَّ بزاتون قريبةٌ، فخرج الشيخُ وقد ركب الأستاذُ على التاخوك، وقال: تعالَ إلى جنبي على التاخوك، فقال الشيخُ قدس سره: أنا أقدر على المشي، فأجيءُ ماشيًا، فقال الأستاذ قدس سره: جئ واقعد على التاخوكِ، فإنَّ ذلك من بعض الآداب، فقعد، وجَرُّوا التاخوكَ، وقصَّ الشيخُ قدس سره رؤياه كما فصَّلناه للأستاذ قدس سره، فقال: واللهِ لا أرى معنىً للسُّلوك سوى ما ألقاه الإمامُ رضي الله عنه إليك في المنام، أي: أن لا يراد من العبادات والطَّاعات سوى الامتثال بدون ملاحظة ثوابٍ ولا عِقابٍ.

وفي آخر تلك المحاورات قال الأستاذُ له قدس سرهما: يهلك فيك آلافٌ كثيرةٌ. ولأجل أنَّ الإنسانَ مشتقٌّ من النِّسيان ما بقي يقينـاً في الخاطر عددُها، فترَكنا التَّصريحَ بالتَّعيين. والله أعلم بالصَّواب.

فقَرُبوا من القرية، وجاء أهلُ القرية لاستقبالهم، فانقطع الكلامُ، [٥٤] وتفرَّقَ كلٌّ من الآخر في القرية(١) لكون كلٍّ ضيفَ أحدٍ، واغتمَّ الشيخُ قدس سره من تلك المقالة، وانحدرتْ دموعُه، وتغيَّرَ لونُه، ولم يقدر على التَّكلُّم نتيجة تلك الكآبة والحزن، فسأله بعض رفقته: أيُّ شيءٍ هذا الانزعاج والعجز؟ فقال: لأنّي سمعتُ من الأستاذ قدس سره كذا وكذا، فقال: بل أنت غلطٌ في ذلك،

(١) قوله: (في القرية) سقط في (ب).

أي: لم يقل الأستاذ قدس سره كذلك، وقال: فأنا أذهب إلى الأستاذ قدس سره، وأسأل عنه، فسأل عنه قدس سره: هل قلت للشَّيخ قدس سره هكذا؟ فقال: نعم، فقال الرجلُ: ما معنى الهلاك؟

فأجاب قدس سره: **معنى الهلاك**: هو أنَّه لوفور غَيرته على أمر الشَّريعة الغرَّاء والطَّريقة البيضاء، إذا خرج أحدٌ من أمره في تَيْنِك المعظَّمتين يهلك، أي: يكون بعضهم عالماً ولا يستفيد ولا ينتفع من علمه، وبعضهم غنيّاً ولا ينتفع من ماله، وبعضهم ذا أولادٍ ورجالٍ ولا ينتفع منهم بالعقوق أو الموت، بل يُخاف على بعضهم من زوال الإيمانِ، نستعيذ بالله من سوء الخاتمة.

فلما حكى القاصدُ ذلك للشيخ قدس سره؛ ذهب تلك الضَّيْقة عن صدر الشيخ قدس سره، وقد ظهر أثرُ قول الأستاذ قدس سره ذلك، أي: قول: إنه يهلك فيك... إلخ، بحيث خاف النَّاسُ أن يخرجوا من أمره قدس سره، وكلُّ من خرج ابتلي ببليَّةٍ عظيمةٍ في زمانه قدس سره وحتى الآن.

وحكى الأستاذُ الملا محمد باقي قدس سره أنَّ رجلاً قال عند النَّاس في غيبته: إنَّه منافقٌ، وأسند إليَّ ما لم يكن لي علمٌ به، فلما سمعتُه ما قلتُ في حقِّه شيئاً، وسلَّمتُه إلى عدل الله وحكمه بيننا، فبعد قليلٍ رأيت في الحُلمِ كأنّي وذلك الرَّجل بين يدي الشَّيخ الأكبر قدس سره، فاستفسر عنه الشيخُ قدس سره: قلتَ في حق الملا محمد باقي هكذا؟ وأغلظ[1] عليه بالقول، ثم لطمه لطمةً

(١) في (ب): (أو أغلظ).

شديدةً، وأسقطه[1] على الأرض، ثم سمعنا أنَّه مات فلانٌ.

وكان الشيخ قدس سره يقول: إذا تهاونوا في أمر الشَّريعة؛ حصلتْ لي ضيقةٌ، فأحسُّ بها، وأرجو من الله تعالى دفعَ وخيمة عاقبتها، ولم ينفع، ولا نستطيعُ تفصيلَ ذلك لطوله جدّاً.

** ** **

(١) في (ب): (وأُسْقِطَ).

[مبحث وقوع المحاربة بين الدّولة الإسلامية والرُّوس وتجلُّد السّادات في ذلك قدس سرهم]

ووقع في سنة (١٢٩٣) أي: مائتين وثلاثٍ وتسعين بعد الألف من الهجرة محاربةٌ بين العدوّ الغاشم الرُّوس وبين الدولة العثمانيّة، وفي تلك المحاربة أبدى وأحدث البطلُ المغوارُ الشيخ جلال الدين مع خلفاء الغوث الأعظم قدّس الله أَسرارَهُمُ العَلِيَّة جلادةً وشجاعةً وبأساً شديداً بمقابلة الكفّار، [٥٥] وأبْلَوهم بلاءً عظيماً، حتى خذلوهم وأخرجوهم من المملكة الإسلاميّة بالخزايا والنّدامى، وقد جمع كلُّ واحدٍ من الخلفاء عساكرَ كلّ من طرفٍ، والأستاذ العلامة الشيخ خالد الأولكيّ قدس سره ذهب إلى طرف مُوطكان، واتّفق مع الشّيخ حبيب القادريّ نسباً وطريقةً قدس سرهما، وطافوا في جميع قرى مُوطكان، وكتبوا أسامي من أجابهم منهم، حتى وصلوا إلى قرية كِنزُو، وكان في تلك القرية معسكرٌ[1] عظيمٌ، فقال الأستاذ للسيد قدس سرهما: لو لم تخرج أنت إلى الحرب، بل تحافظ هذه القِشْلَة العسكريّة لئلا يحرقها الأوباشُ المُوطكيُّون كان لك أَوْلى، وكان من يُجيبونهما إلى كتابة الاسم كثيرون، فقال الأستاذ العلامة قدس سره: إنّهم قَبِلُوا وأطاعوا أوّلاً بكثرةٍ، ولكن لا أتيقّن أن يجيبوا إلى تلك المحاربة بتلك الكثرة، فلما حان وقت أن يجتمعوا؛ تقاعسوا إلا قليلاً منهم.

(١) أي: قشلة.

ثم كان السيدُ الشيخُ حبيب قدس سره يقول في ذلك السَّفر: ظهر لي كرامتان من الشَّيخ الأستاذ العلّامة قدس سره: إحداهما: أنّهم تخلّفوا ولم يجيؤوا إلا قليلاً منهم، وثانيتهُما: أنّهم أحرقوا القِشْلَة العسكريَّة هنالك بالآخرة.

فلما جمع كلٌّ من الخلفاء ما في وسعِه من الرجال والأبطال، واتّصلوا بالشيخ جلال الدين قدس سره وعساكره، والرُّوس قد أخذ تحت يده إلى ممالك ذوغوبايزيد[1]، وراح عساكرُ المسلمين برياسة ذلك البطل المغوار الشيخ جلال الدين قدس سره حتى وصلوا إليها، فحارب الشيخُ محاربةً شديدةً، وأبدى جلادةً عظيمةً لم تُرَ قبلُ، بل ولا ترى بعدُ، وأوقع بأعداء الله ما لا يطيق اللِّسان[2] أن يفصح عنه، حتى خذلهم[3] اللهُ تعالى، وولّوا الأدبارَ، وأخذوا في الفِرار، واشتهرت تلك المحاربةُ المباركةُ في جميع[4] أنحاء العالم الإسلاميّ - وبل في غيرها - بمحاربة الشيخ جلال الدين قدس سره، وكان الشيخ الأكبر الشيخ فتح الله قدس سره معه في دوام تلك المحاربة، وكان كلّما يذهب إلى خيمة الأستاذ العلامة الشيخ خالد قدس سرهما يحترمه [ذلك][5] احتراماً تامّاً، ويعظّمه تعظيماً وافراً، حتى كان يقصد أن يضع له مداسه، فيعتذر منه الشيخُ الأكبرُ قدس سرهما أنَّ هذا الذي تفعله زائدٌ عن قدري، فإنَّك أستاذي وفي موضع

(١) في حاشية (أ) و(ب): بازيد خ. وفي متن (ب): دوغوبيازيد.
(٢) في متن (ب): الإنسان، وفي حاشيتها: اللسان خ.
(٣) في (أ) و(ب): خزلهم، والصواب ما أثبتناه.
(٤) في متن (ب): بين، وفي حاشيتها: جميع خ.
(٥) ما بين معقوفتين من (أ) و(ب) نسخة.

شيخي، ويجيب ذلك الأستاذ: لله لا تتداخل في احترامي لك، فإنّي سمعت من [٥٦] الغوث الأعظم أن قال لي: سَلِّم عنّي على شهداء بدرٍ وأُحدٍ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فلا أشكُّ أنّي أُستَشهَدُ في هذه المعركة، وسمعت منه أيضاً أنّه كان يقول لي: يأتي في طريقتِنا مُرشدٌ كاملٌ يليق أن تُنسبَ إليه هذه الطَّريقةُ العليَّةُ كما تُنسب إلى سائر المُجدِّدين قَدَّس الله أَسْرَارَهُمُ الْعَلِيَّةَ، وأتفرَّس في وجوهِ الكُمَّل، وأفتِّش فيهم، فلا أرى غيرَك أن يكونَ ذلك المُجدِّدَ، فلِذا أودُّ أن أخدِمَك في حياتي.

ثُمَّ استُشهِد ذلك الأستاذُ العلَّامةُ وأخُو الغَوْثِ الأعظم الملَّا عبد الغفَّار الشَّهيدانِ الكريمانِ وأرضاهما، وأدخَلَنا تحت ظِلِّ شفاعتهما.

ثم نقل لنا بعضُ الإخوة عن أحفاد الأستاذ الملَّا عبد الغفَّار الشهيد: أنّه استشهد في سنة (١٢٩٥) في حياة الغَوْثِ، وحَزِنَ عليه حُزناً شديداً[1]. والله أعلم بالحقيقة.

ويُروى أنَّ السَّيِّدَ عُبَيْد الله بن السَّيِّد الفَدوي السَّيِّد طه وقع بينه وبين شاهِ إيران مُحاربةٌ ونِزاعٌ، فأرسل إلى أهلِ بيت الغَوْثِ الأعظَم يَستمِدُّ منهم العونَ على شاه إيران، فما أجابُوه إلى ذلك، وقالوا: لا تُعين مسلماً على مُسلمٍ، فغضب السَّيِّدُ عُبَيدُ الله من ذلك، ونَفاه السُّلطانُ العُثمانيُّ بِناءً على شكوى الشَّاهِ الإيراني، فلما وَصل في سَفر نَفْيه ذلك إلى

(١) في (أ): (شهيداً)، والصواب ما أثبتناه من (ب).

مَلَاذكرد، قال الأستاذُ الأعظمُ لخُلَفائه: زُورُوه هنالك، وأمَّا أنا فلا أذهب إليه؛ لِمَا أنَّه إنْ جابَهَني يقع في شيخي وخلفائه، فإذاً لا أطيق أن أُجيبه،؛ لأنَّه غير مُناسبٍ[1] في حالةِ ذلك النَّفي، ولا أتَحمَّل أن أسكت عنه؛ لأنَّ غيرتي لا تتحمَّل ذلك، فاذهبوا عنِّي وعنكم، فليتكلَّم الشيخ فتح الله عنه[2] وعنكم، وهو الرَّئيسُ عليكم، فلا يُخالِفَنَّ أمرَه أحدٌ[3] منكم.

فلما وصلوا إلى حَضرته، وأدُّوا حقَّ التَّوقِير والتَّعظيم لجنَابه العالي، فقال بعدما[4] طال الكلامُ بينهم: إنَّكم من أتْباع السَّيِّد صَبْغة الله، وأُريد أنْ أَرُدَّه عن الطَّريقة، فلم يَتحمَّل مَوْلانا الشيخ عبدُ القَهَّار، فأجاب بدون انتظارِ جواب الشَّيخ الأكبر وقال: إنَّ ذلك ليس بيدك، فإنَّه خليفةٌ للسَّيِّد الفَدويّ أبيك لا لك، ولن تَحُوزَ لَردِّ خُلفائه ومُريديه، فإنْ كان مِثلُ ذلك الأمرِ في أَيدي الأوْلاد؛ لأخذتُ عِلْم المملكة كلَّها من النَّاس؛ لأنَّها لجدِّي الأستاذ العَلَّامة الملَّا خليل، ولكنَّ مِثلَ ذلك من فضل الله، [٥٧] يُؤتي مَنْ يشاء، ويمنع عَمَّن يشاء.

ثُمَّ نُفِي إلى إستانبول، ومنها إلى الحَرمَيْن الشَّريفَيْن، وتُوفِّي هنالك، وكانت الحكومةُ إذاً حكومةَ عدلٍ من جهةِ أنَّها لا تجعل المنفيِّين في

(١) في (ب): (متناسب).
(٢) عني خ.
(٣) واحد خ.
(٤) في متن (ب): فقال: (إذا طال)، وفي حاشيتها: بعد ما خ.

ضيقة اليد، بل يُصرف إلى كلِّ مثلُ ما يصرفه هو في مملكته، فكان يُعطى السيدُ عُبَيد الله (قدس سره) ثلاثين ديناراً في كلِّ شهرٍ، ويُعطى موسى بك الخُيوطي[1] في كلِّ شهرٍ عشرةَ دنانيرِ[2]، وكان هو أيضـاً مَنْفيّاً إلى المدينة المنوَّرة.

** ** **

(١) في (ب): (الخيوتي).

(٢) في (أ) و(ب): (دينار)، والصواب ما أثبتناه.

[مبحث مبحث بناء الجسر على نهر مُوراد][1]

وكان من كثرة شفقة الأستاذ الأعظم (قدس سره) على المسلمين وكبير غَيْرته أنَّه بنى جِسراً عظيماً على نهر مُوراد[2] في أرض بُلانِق، وكان النَّاسُ قبلَ ذلك يَغرقون في ذلك الماءِ بكثرةٍ، فأنجاهم منه عَظَّم الله قَدرَه، وأكثر أجره، وتعب كثيراً، وأتعب عليه كثيرين، وأتمَّ جِسْرَه، والنَّاس يَعبُرون عليه في ذلك الشِّتاء.

وفي أوَّل الرَّبيع كان الأستاذُ (قدس سره) قد ذهب إلى غَرْزان، فذهب الخبرُ إليه بأن طَغى ماءُ سيلِ الرَّبيع، وهَدَم الجسرَ، فاغتمَّ لذلك كثيراً؛ لِمَا أنَّه صرف عليه أعمالاً كثيرةً، وأَتْعاباً زائدةً، فقال (قدس سره): يعلَم أنَّ الله تعالى لم يَتقبَّل مِنَّا وممَّن أعانُونا، فلمَّا رأى الشيخُ الأكبرُ (قدس سره) ذلك التَّأثّر الكثيرَ قال: فلا يَغتَمَّ الأستاذ من ذلك، فإنَّا نَبْني إنْ شاء الله تعالى جِسراً أحْكَمَ من الأوَّل، فَاسْتَبْشَر الأستاذُ (قدس سره) لذلك المَقالِ، وفرِح به، وفي السَّنة الآتية ابتَدؤوا ببنائِه ثانياً وإِحْكامه كان سَد بعض الأحجار ببعضٍ بالمَسامير العظام، حيث لا يُؤثِّر فيه السَّيلُ ولا غيرُه، وكان الناس مجتَمِعين عليه بدَوابِّهم ومَصارِفهم وما يَلْزَم لذلك ممَّا يَتأتَّى منهم، وكان الكاتبُ لذلك كلِّه خليفةُ الأستاذ الملَّا يوسف أفندي البِتْليسي (رحمه الله)، ففي وَقتٍ جاء إلى الأستاذ (قدس سره)، وقال: نَفد

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

(٢) في (ب): (مراد).

النُّقودُ، ولم يَبقَ شيءٌ، والهوستا[1] وعُمَّالُه يطلبون الأجرةَ، فقال قدس سره: الآن لا يأتي مِنِّي شَيءٌ، فلمَّا أنْ صلَّيْنَا وفعَلْنا الختمةَ فاطلب منِّي بعنفٍ وشِدَّةٍ، فبعد الخَتمةِ تكلَّم الحاج يوسف أفندي مع الأستاذ قدس سرهما بالعنف كما أمَرَه، وقال: يلزم إعطاءُ الأجرة، فقال الأستاذ: الآن ليس عندنا شيءٌ، فقال بِشدَّة: فما دام لا يَتأتَّى منك مثلُ هذا فلمَ تَبْتَدِئ به؟!

فأجابه الأستاذ قدس سره بهُنَيْهَةٍ وتنعُّمٍ حتَّى قال: كنَّا نتَّكِل[2] على رحمة الله، ونعتمد على تيسير قضائه، [٥٨] فأجابه بأنَّ الله لا يُمطِر لأحدٍ من السَّماء، فلا بُدَّ أوَّلاً من التَّدبير للأعمال، ثُمَّ الاشتغال، فعند ذلك قال الأستاذ قدس سره: فإنَّ الله تعالى قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾[3]، وهمَّةُ السَّادات كبيرةٌ، واعتمدنا عليها، فأنت تَصبر ولا تُشَدِّد عليَّ، فبعد غدٍ أثار الله عليهم، وأفاض كنزَ عطاياه الكثير، وأعطاهم ما وَفَوْا به ديونَهم، وبقي مقدارٌ لمستقبلهم.

وكان هكذا أحوالهم قدَّس الله أَسْرَارَهُمْ إلى أن تَمَّم الله على أيديهم الجسرَ الحَصينَ المتين بتلك المشَّقات الخارجة عن ساحات راحة البشر، ولأجل أشجار الجسر أرسل الأستاذُ الأعظمُ الشيخَ الأكبرَ قدس سرهما إلى جبال

(١) في حاشية (ب): أي: الصانع.

(٢) في (ب): (نتكلم).

(٣) سورة الانشراح: ٩٤/ ٥-٦.

خُيوط، فأتى بها بغايةِ المشقَّة، حتَّى قال الشيخ قدس سره: كانت أشجارنا ضخمةً طويلةً، بحيث كانت لا تَجُرُّ كلَّ واحدةٍ منها إلا عشرون ثوراً، وتثقل عليها، وكنت أنظر ساعتي، ويجيء ذنب الشَّجرة إلى موضع رأسها بعد مضي ساعةٍ، وفي بعض الأماكن الصَّعبة كان بعد مُضِيِّ أكثر من ساعةٍ، حتَّى وصلنا إلى صحراء موش، فمنها عاوننا أهلُ كلِّ قريةٍ من قريته إلى أخرى، وهكذا إلى أن وصلنا إلى قريةٍ للجاجَانيِّين، وعاهَدُوا أنْ يذهبوا بها في غدٍ إنْ شاءَ الله تعالى، وكان فيها إمامٌ لهم يقال له: ميرزا حاج، وقال في نفسه: إنَّ النَّاس يمدحون هؤلاء كثيراً، فنحن نُجرِّب زعيمهم، فننظر كيف هو، وكان له كتابُ «تحفة المحتاج» لابن حجر عتيقاً مُتَجزئاً[1] كثيراً، ففتَحها، وقال للشيخ قدس سره: بيِّنْ لي هذا، فبيَّنَ بلا توقُّفٍ، ثُمَّ فتح في ورقةٍ أخرى، فبيَّن أيضاً كذلك، ثُمَّ وثُمَّ حتَّى تبيَّن له أنَّه العالمُ الكاملُ المرشدُ القابلُ للإرشادِ على سبيل العموم، فقال الملا ميرزا حاج: كنَّا حين نزلنا إلى هذه المملكة مُهاجرين من ظُلم الكفرة الرُّوس، جاء إلينا شيوخُ هذه المملكة أَفْواجاً يُكلِّفونَنا الدُّخولَ في طريقتهم، ويجيء رجالُ قومنا إليَّ، فيقولون: ماذا ترى في ذلك؟ وكنت أجيبُهم: إنِّي أُجرِّبهم، فإن كانوا ممَّن يُخرجون فُرشَهم من الماء نتبعهم، فإذا جَرَّبناهم كما جَرَّبناك رأيناهم حَبَارى، فكيف يوضحون الطَّريقَ لغيرهم؟! فأقول للقوم: هؤلاء لا يَقْدرون على إرشادنا، وأمَّا أنت؛

(١) في (ب): (متجربًا).

فرأيناك بحمدِ الله قادراً على أمورٍ أعظَم من [٥٩] ذلك، فندخل في طريقتك، فقال الشَّيخُ قدس سره: أنا لا أقدُر على ذلك، ولا أليقَ به، فما دام تريدونِ ذلك؛ فأتوا شيخي الأستاذ الأعظم قدس سره، وهو الآن على الجسر، فعَظُم ذلك في عينه، وقال في نفسه: إنَّه على أنَّه عالِمٌ كبيرٌ وشيخٌ شهيرٌ فكيف شيخه؟! فذهبوا إلى الأستاذ قدس سره على الجِسر، وأخذوا منه الطَّريقَ.

وكان الأستاذُ الأعظمُ قدس سره يفعل التَّوجُّهَ يوماً في نُورشين المحروسة، فجلس أهلُ التَّوجُّه في المسجد، فبعد جلوس الكلِّ ذهب الشيخُ الأكبرُ قدس سره إلى القُلَّتين لتجديد الوضوء، فرأى شيخاً هرماً ذا لحيةٍ بيضاءَ، ورأسه كثمامةٍ على حجرٍ يُصلِّي عليه مُتَحيِّراً، فظنَّ الشيخُ قدس سره أنَّه من أهل القُرى الذين جاؤوا للتَّوجُّهِ، فقال له: لِمَ سَكنتَ هنا؟ فقال: إنِّي أريد التَّوجُّه ولا مَداسَ لي، فبَقيِّت مُتَحيِّراً، فقال الشيخ قدس سره: تَعال أرفَعك على ظهري إلى المسجدِ، فلَمَّا حَمله أَحسَّ به أنَّه ليس من الإنس، فأَلْقاه عن ظَهرِه وتحوَّل، فلم ير أحداً، وعلِم أنَّه الشيطانُ[١] لعنه الله، فتعوَّذَ من شرِّه، فبعد التَّحوُّل من التَّوجُّه؛ اختَلى بالأستاذ قدس سرهما، وقال له: إنِّي كنتُ قبل هذا بِبُرْهةٍ من الزَّمان يخطر لي الخَطراتُ القَهْرِيَّةُ العجيبةُ، ثُمَّ بعد ذلك تبدَّلت الحالُ، وكنت أسمع من قلبي الجلبَةَ والغوغاءَ والصياحَ، ودام ذلك أيضاً مِقْداراً من الزَّمان، وذهب تلك الحالُ، واليوم رأيتُ اللَّعينَ هكذا ـ أي: كما وصفه

(١) في (ب): (شيطان).

للأستاذ قدس سرهما ـ فأجابه الأستاذُ بأنَّه جاءك أوَّلاً بالخَطرات، ولم يَظْفَرْ بك، ثُمَّ صاح على قلبك، وأراد الغفلةَ له، فلم يظفرْ أيضاً، ثُمَّ جاءك وأراك شخصَه الخبيثَ لإيراثِ وجهٍ آخر، فلم يظفرْ بك، فرجع خاسِئاً خائِباً منك، فإنْ شاء الله إنَّه قطع أملَه منك.

** ** **

[مبحث بعض أحوال الأستاذ والخلفاء والأتباع قُدِّسَ سِرُّهُم][1]

وكان في وقت الأستاذ الأعظم قُدِّسَ سِرُّهُ مريدٌ له مجذوبٌ اسمه: الملَّا ياسين، وكانوا في العَرائِش[2] الصَّيفيَّة، فذاتَ يومٍ ذهب الأستاذُ قُدِّسَ سِرُّهُ إلى الوضوء، وكانت جُبَّتُه معلَّقةً على باب العريش، فقال الملَّا ياسين: هذا فتَن النَّاس كلَّهم، فأقتلُه، وأُرِيحُ منه الخلائقَ، فألَقى إلى الجُبَّة تُفنكة ـ أي: بُندقة رصاصية ـ، فقال الأستاذ قُدِّسَ سِرُّهُ: خذوا هذا الأحْمق، وكان النَّاسُ يَمرُّون عليه، ولا يعلمون أنَّ المرادَ هو، فيقول هو: إنَّ الأستاذَ يأمركم أنْ تأخذوا هذا الأحمق، فلِمَ لا تَمْتثِلون؟

ولمَّا أتمّ الشيخُ ضياءُ الدِّين بن الأستاذ الأعظم قُدِّسَ سِرُّهُمَا تحصيل العلوم الظَّاهريَّة؛ [٦٠] استشار الأستاذُ الأعظمُ بالشَّيخ الأكبر في حقّه قُدِّسَ سِرُّهُ بأن نُشغِله بالتَّصوُّف فقط أو نستعمله في المَشْرَبَين العلم والتصوُّف معًا؟ وتكلَّما على ذلك، فقال الأستاذُ قُدِّسَ سِرُّهُ: إنَّ السَّاداتِ كانوا يسألون عن المَجاذِيبِ الأشياءَ الاستشاريَّة، فلنسأل نحن عن الملَّا ياسين، فأحْضَراه، وسألا عنه: كيف نفعل في أمر حضرة الشيخ محمد ضياء الدِّين قُدِّسَ سِرُّهُ؟ فقال: الأستاذُ يعلم، فسأله ثانيًا، فأجابه أيضًا كذلك، فقال: أي أحمق، إنَّما[3] أسأل ذلك عنك،

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

(٢) في حاشية (ب): (بالكردي: كول).

(٣) في متن (ب): أنا، وفي حاشيتها: إنما خ.

فقال: إنَّ عالمًا صوفيًا أعلى وأولى من مائة صوفيٍّ جهَّال، ووثب وثبةً جنونيَّةً، وخرج من عندهما، فقال الأستاذ قُدِّسَ سِرُّهُ: فقد أجبتنا، فعملُه في المسلكين معًا هو الصَّواب.

وكان الأستاذُ قُدِّسَ سِرُّهُ قبل اشتهاره قد خطب بنتًا للشَّيخ سيف الدين المازُورانيّ رحمه الله لنفسه، فقال للرَّسول: من هو؟ فقال: درويشٌ من أهل الله، فأجابه بقوله: لا أُنكح بنتي للدَّراويش، فبعد اشتهار أمره قُدِّسَ سِرُّهُ صار الشيخُ سيف الدين مريدَه، وقال: كنت خائفًا دائمًا أن يلومني الأستاذُ على ذلك الإباء، حتى اختليتُ أنا وهو وحدنا يومًا، فقال الأستاذُ قُدِّسَ سِرُّهُ: لم رَدَدْتَ علينا خطبتنا لبنتك؟ فقلت: إنَّ القاصدَ قال: هو درويش، ولو علمتُ أنَّك كنت هكذا لفديتُك بروحي، فكيف البنت؟ فقال: ذلك لم يُصِب[1] القَدَر، فلا بأس به، ولكن أريد أن أعلم كيف أنت مع الخلفاء؟ فقال: كلُّهم يبغضونني على ذلك، فقال قُدِّسَ سِرُّهُ: إني أعلِّمُك شيئًا يكون سببًا للتَّودُّد بينك وبينهم، وهو أنَّك إذا ذهبتَ إلى الشَّيخ فتح الله؛ فاسأل عنه مسائل الشَّريعة والطَّريقة، وإذا ذهبتَ إلى الشَّيخ عبد القهار؛ فتكلَّمْ معه من آثار الجلادة والشَّجاعة والفتوَّة، وإذا ذهبتَ إلى الملَّا عبدالله الكوسج النورشيني قُلْ له: إنِّي خرجتُ من أمره قُدِّسَ سِرُّهُ مرَّةً، وأنت تخرج منه دائمًا قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّةَ، فيكون ما أشرْتُه عليك سببًا لمودَّة كلٍ معك، ففعلَ، وكان.

(١) في (ب): يصيب.

وسببُ ذلك القول في حقِّ الملّا عبد الله: أنَّه كان في طبعه أن يعمل الأعمالَ الظَّاهرةَ، ويصلِّي الصَّلوات(١) الكثيرةَ، حتى إنَّه كان يضع جبهته على الأرض ساجداً من المساء إلى الصَّباح، والأستاذ يريد أن يرفعه من تلك الحال إلى أعلى منها، وهو أحوال [٦١] النَّقشبنديَّة قَدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمْ؛ إذ عُلُوُّ أحوالهم بصفاء القلب، لا بالأعمال الظَّاهريَّة، وهو لا يترك حاله الأوّل في بداية سلوكه، ثمَّ تركه بأمر الأستاذ (قدس سره).

ونظيرُ ذلك ما قاله الشَّاهُ النَّقشبنديُّ قدّس أسراره الإلهُ بعد رجوعه من سفر الحجّ: رأيتُ في سفرتي هذه عجيبين(٢):

أحدهما: إنّي رأيتُ في منى صاحبَ دكّانٍ قد ازدحم النَّاسُ عليه، بحيث لا يُظَنُّ أن له شعوراً بشيءٍ آخرَ، فقلت في نفسي: هذا بهذه المثابة لأفتشنّ قلبه أرَ كيف هو؟ ففتَّشتُه، فإذا هو ليس غافلاً عن الله تعالى ولو لمحةً.

والثّاني أعجبُ من هذا الأوّل: وهو أنّي رأيتُ شخصاً دخل بين الكعبة المعظَّمة وسترها، ويدعو ويبكي ويتضرَّع إلى الله تعالى، ويقول: يا ربِّ يا ربِّ، ففتَّشت قلبه أيضاً، فإذا هو خالٍ عن الله تعالى، وغافل عما يقول، وليس له غيرُ ذلك الصِّياح والقول اللِّسانيّ.

(١) في (ب): الصلاة.

(٢) في (ب): عجيبتين.

وأحوالُ النَّقشبنديَّة قَدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمْ إنَّما هي بالقلب، لا حظَّ للسان فيها، وقيل في ذلك شعر:

كُن باطنا نحو المنى وبظاهرٍ كالأجنبي

لا سيرة أمثال ذا في مشرقٍ أو مغربِ

وفي وقت كان الأستاذ (قدس سره) في قرية تِرْجَوْنك، ويجتمع النَّاسُ عنده بعد صلاة الظُّهْر وهو يصحب معهم، وكان الملَّا عبد الله المذكور(١) [الكوسج](٢) في نورْشين، وسمع أنَّ صحبةَ الأستاذ (قدس سره) تكون بعد صلاة الظُّهر، فكان يذهب إلى حوض مُحلَّة تَاغَارَزْ، فيجلس على الحجر المُصَلَّى عليه، ويحوِّلُ وجهَه إلى جهةِ ترجونك، ويراقب مستفيداً من تلك الصُّحبة السَّنيَّة، فاستشعر الأستاذُ (قدس سره) بالإلهام لما يفعله الملَّا عبد الله، فقال: عجباً وهنيئاً للملَّا عبد الله الكوسج، يقعد في نورشين، ويجلب النِّسبةَ من هذا المكان البعيد إليه.

وفي يومٍ من أوَّل موسم الرَّبيع كان الأستاذُ (قدس سره) في قرية خِجِيتَان من قرى كُوصُور، وقد اجتمع النَّاسُ في صحبته، فقال (قدس سره) فيها: إنَّكم لا تحبُّون ربَّكم جَلَّ جلاله مثل ما تحبُّون عَنَاقاً من أعنقكم، وكانت اللَّيلةُ ممطرةً بغزارةٍ، وموحلةً كثيرة، فقالوا: كيف لا نحبُّه تعالى؟ فقال الأستاذُ (قدس سره): لو

(١) قوله (المذكور) سقط في (ب).

(٢) ما بين معقوفتين من متن (ب)، وهي في حاشية (أ).

أخبركم الرَّاعي بأنَّ شاةً لكم في الموضع الفلانيّ قد أنجبت بعناقٍ، فلا تسكنون وتذهبون إليه في تلك الظُّلمة وذلك الوحل والمطر الغزير، وتطلبونها في موضعٍ بعد موضعٍ تظنُّونها فيه لو لم تروها إلى الصَّباح، فأيٌّ منكم يجيء إلى المسجد مع فرشه بالفُرْش ونظافته، [٦٢] ويحيي ليلةً بالعبادات إلى الصَّباح؟ وذلك من علامات عدم محبَّة الله جلَّ وعلا مثل المحبَّة لحطام الدُّنيا وأمواله المعارة العارضيَّة.

وكان قدس سره يوماً في قرية ملاكند من قرى بُلانِق، فقالت امرأةٌ منها: إنَّ النَّاسَ يقولون: إنَّ الأستاذَ كان هكذا وهكذا، فوالله إنِّي أنظرُ إليه، فأرى كيف هو، فلما رأته قدس سره، ولم ترَ فيه ما يوافق عريقَتَها(١)، ولم يعجبها طبيعَتُها قالت: أهكذا الأستاذُ وليس له حُسْنٌ وافرٌ؟ فسمع ذلك الشيخُ الأكبرُ قدس سره، فقال: إنَّها تنظر إليه بعينها المكحَّلة، فلتنظر بعين فتح الله حتى تعلم أنَّ حُسنَه قدس سره يفوق على حُسْن الشمس والقمر.

وكان الأستاذ قدس سره في بتليس ضيف خليفته العلَّامة الحاج سليمان أفندي، ووقت النَّوم بسط فراشه في حديقة بيته، ونام عنده قدس سره أخو الحاج سليمان أفندي الملَّا عبد الحميد أبو الملَّا محفوظ رحمه الله، وأحضر وسائلَ الوضوء من الإبريق والطّشت عندهما(٢)، فناما.

(١) في (ب): (عريفتها).

(٢) في (ب): (عندها).

وقال الملَّا عبد الحميد: ثم انتبهتُ، ولم أرَ الأستاذَ قدس سره في فراشه، ونظرتُ الإبريقَ والطشتَ، فإذا هما بحالهما، فطلبتُ حول الحديقة، ولم أرَه، فتحيَّرتُ عند ذلك كثيراً، وتمدَّدتُ في فراشي منتظراً، فوقعت السِّنَةُ في عيني، وانتبهتُ فإذا الأستاذُ قدس سره في فراشه، فعندما كان وقت التَّهجُّد قام قدس سره، ففرغت الماءَ على يديه، وتوضّأ، وصلّى التَّهجُّدَ.

وبعد الصُّبح قصصتُ ذلك على الحاجّ سليمان أفندي، فقال: أتظنُّون أنَّ الأستاذَ قدس سره كلَّما يتمدَّدُ ينام، بل يزورُ مقابر الأكابر في بتليس، مثل: السَّيد إبراهيم، والشَّيخ أبي طاهر الكرديّ، والملَّا حسن البانوكيّ.

وهذا الحاجُّ سليمان أفندي كان أوَّلاً مريدَ الغَوْث الأعظم قدس سره كما سبق، ثمَّ بعد وفاته تمسَّك بالأستاذ الأعظم قدس سره، وكان كلَّ يومٍ في ترقِّي الشَّأن وعلوِّ الحال إلى النِّهاية، فقال الأستاذُ الأعظمُ للشيخ الأكبر قدس سره: هذا التَّرقِّي في حياة الشَّيخ بديعٌ لم يُعهدْ إلى الآن، فراقِبْ في حقِّه أنَّ ذا ممَّ نشأ؟ فبعد المراقبة قال الأستاذُ: قيل لي: إنَّه موسويُّ المشرب على نبينا وعليه أفضل الصَّلاة وأكمل السَّلام، ولا يطول حياته، فقال الأستاذُ للشيخ قدس سره: ليتني لم أرسلك، فلا أتيتني بهذه المصيبة العظمى(١).

وبسبب علاقة المحبَّة الكثيرة [٦٣] بينه وبين الشَّيخ الأكبر قدس سره في أنَّ تحصيل العلومَ الظَّاهريَّةَ عند الملَّا عبد الرحمن الملاكنديّ(٢) رحمه الله والباطنيَّة

(١) متعلق بقال الآتي.

(٢) في (ب): (الملكتدي).

عند الأستاذ الأعظم قدَّس الله أسرارهم، حتى قيل: إنَّ الشَّيخَ الأكبرَ لا يُلْقِي بصاقه[1] على الأرض في مرض موته، بل يبلعه، وتوفِّي في ذلك المرض، ولم يعقِّب ولداً.

قال أتباعُ الأستاذ: إنَّه[2] أعطى حظَّه الوافرَ من المقامات العليَّة، والفيوضات الجليلة الجليَّة للشَّيخ الأكبر ﵀، حتى إنَّه كان هو الوراث لتلك المعارف والمناقب.

وكان شيخُنا الأجلُّ الشيخ محمد علاء الدين بن الشيخ الأكبر الشيخ فتح الله ﵀ يقول لأبناء أخيه الملَّا عبد الهادي والملَّا محفوظ والسَّائر: نحن كنَّا إخوةً من زمن الشَّيخ الأكبر والحاج سليمان أفندي ﵀، وكنتم إذ ذاك الأخَ الكبيرَ، والآن نحن الكبيرُ، رحمهم الله تعالى رحمةً واسعةً، وأفاض علينا وعلى المسلمين من بركاتهم.

وكان الأستاذُ الأعظمُ ﵁ يجول في قرى كُوصُور للإرشاد، ومرَّ في طريقه على موضعٍ شَهَّرُوهُ بأنَّه مزار لوليٍّ من الأولياء، ويقرؤون له الفاتحةَ، ولم يقرأ الأستاذُ ﵁، فقال بعض رفقته: إنَّ هنا مزاراً، ولم يقرأ الأستاذُ له[3] الفاتحةَ، فقال الأستاذ ﵁: إذا جاء الملَّا محمود الإسبايرتي أبو الأستاذ العلَّامة الحاج الملَّا عبد الكريم ﵀ قولوا له فليقرأ هو، فإذا جاء وأعلموه

(١) أي: الحاج سليمان.

(٢) أي: الشأن.

(٣) قوله: (له) سقط في (ب).

بذلك راقب[1] قليلاً، وقال: الله يرضى عن الأستاذ، يأمر بقراءة الفاتحة للقسِّيس[2] النَّصرانيّ، وأنا لا أقدر أن أقرأ له.

وكان شيمتُهم قدَّس الله أسرارهم أنَّهم لا يُظهرون ما خَفيَ، ويُعَدُّ إظهارُه من الكرامة، إلا بأمرهم لواحدٍ من الأتباع، فلا يضرُّهم إذاً، ولا يضرُّ ذلك الواحدَ أيضاً؛ لأنَّهم مجبورون تحت الأمر.

وزار الأستاذُ الأعظمُ ﵁ حضرة الشَّيخ عبد الرحمن بن معاذ المستشهد في معركة فتح أخلاط من الصَّحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين في غاية ذلٍّ وانكسارٍ، حتى قال لرفقته: اربطوا عمامتي في عُنُقي، وجرُّوني إلى قبره الشَّريف، فأجابوا: بأنَّا لا نُطيق ذلك، فزار وراقب طويلاً، ثم رجع منكسراً غيرَ نشيطٍ.

وفي اليوم التَّالي ركب فرسه، وشَدَّ سرجَ الفرس، وحينما وصل حقلة تحت المزار ركض الفرس إلى قريبٍ [٦٤] من المَزار المكرَّم، ثمَّ ترجَّل هنالك، وذهب إلى القبر بكمال الشَّجاعة والجلادة الباهرة، فراقب طويلاً، ثم رجع فرحان نشيطاً، وقال: إنَّه من أهل الغزو والجلادة يحبُّ الفتوَّةَ والرجوليَّةَ، وحالنا الآن كان أحسن لديه من حالنا أمسِ؛ إذ كان بذلَّةٍ وانكسارٍ، وكان الشَّيخ معروف ﵀ يروي أنَّ أمَّه بنت الأستاذ الأعظم حرمِ الشيخ الأكبر

(١) في حاشية (أ): فراقب نسخة، وهي مثبتة في متن (ب).

(٢) في (ب): (للقبيص).

(قدس سرها) كانت تأتي المبيت بعد نوم الشيخ الأكبر (قدس سره)، فذات ليلةٍ تأخَّرتْ كذلك، فاستيقظ الشَّيخُ (قدس سره) من النَّوم، فلامَ عليها، وقال: تكونين سبباً لعدم تيقُّظي لتهجُّدي وفِعْل مشاغلي، فقالت: ما دام أهلُ البيت أيقاظًا لا أنامُ، وكان بين بيت الشيخ وبيت الأستاذ (قدس سرهما) كوَّةٌ مفتوحةٌ للارتفاق، فسمع الأستاذُ تلك المحاورةَ بينهما، فقرُب من تلك الكوَّة، وترنَّم بهذا الشِّعر الكرديّ:

دلـي مـن خانـه ثرخانـا خيتـي   كـوجران ثرزوزانـان بـاركرن

بـرى خـوه دانـه ولات سيرتـي   محبـة جـه تشـتك خوشـه

حيـف مرنـا مـال ميـرات ليبـي تي

فقال الشَّيخُ لها: اسكتي، فإنَّ الأستاذَ يقظان يسمع محاورتنا قدَّس الله أسرارهما العليَّة.

وكان الأستاذُ أشار بهذا البيت إلى أنَّ الوصلة بينهما لا تدوم.

وكان كذلك حكى الأستاذُ (قدس سره): أنَّه قد غلب عليَّ المرضُ وقت ابتداء دخولي في الطَّريقة النَّقشبنديَّة عند الغَوْث الأعظم (قدس سره) حتى أذهل عقلي، فرأيتُ إمامنا الإمامَ الشَّافعيَّ (رضي الله عنه) عند رجلي، والغَوْثَ الأعظمَ (قدس سره) عند رأسي، فتشفَّع الإمامُ (رضي الله عنه) من الغَوْث الأعظم (قدس سره) بصرف هِمَّته إلى بقاء حياتي، فأجاب الغوثُ (قدس سره): بأنّي لا أخالفُ مرادَ الله تعالى، وما أرادَ فليَكُن، ولكنْ لا أتركه، فتشفَّع الإمامُ ثانياً بأنَّه قد شرع في كتابة كتابٍ، ولم يُتِمَّها،

فألبتَّة تصرف الهمَّةَ في بقائه، فقال الغوثُ (قدس سره): قد جاء مَلَكُ الموت، لا يمكن أن يرجع إلَّا بالرُّوح، فتشاوروا فيمن يليق له الموتُ، فقال الإمام (رضي الله عنه): فليقبِضْ روحَ أبيه بَدَلَه، فقال الغوثُ (قدس سره): لا يمكن ذلك؛ لأنَّه ليس لنا حقٌّ في كسر خاطر زوجته وبنته، فقال الإمامُ (رضي الله عنه): فليقبض روحَ أخته من [٦٥] الأب بدَلَه؛ لأنَّ أباه يرضى بذلك، فقال الغوثُ (قدس سره): أمُّها لا ترضى بفداءِ بنتها لرَبيبها، فاستقرَّ أمرُهُما على فداء بنتٍ لي، وقال: يرضى أبوها بفدائها عنه وترضى أمها أيضًا، فاستيقظتُ، فإذا زوجتي نناباشو (رحمها الله) قالت: والله ماتت بنتي، فبكَتْ وصرخَتْ، فقلت لها: لا تجزعي، وقصَصْتُ لها القصَّةَ، ففرِحَت بذلك غاية (رحمها الله).

وأمَّا مرضُه الأخيرُ (قدس سره)؛ فقد بدأ به في قرية ترجونك، فذهبوا به على التَّاخوك إلى قرية نورشين المحروسة، وكانت حرارتُه المرضيَّة كثيرةً جدّاً، والموسمُ كان أوَّل الشتاءِ، وعلى وجه الأرض الثَّلجُ، ولحرارته كان يأمر النَّاسَ أن يُخرِجوا بساطه إلى خارج البيت، فأخرجوه، وأعلموا بذلك الشَّيخَ الأكبرَ (قدس سرهما)، وكان على العين وقد شمَّر ذراعيه ليتوضأ، فجاء، فرآه أنَّه (قدس سره) في ذلك البرد الشَّديد خرج من البيت، وتمدَّد في البساط، فقال له الشيخ الأكبر (قدس سرهما): أرأيت هل يجوز لك أن تكون هكذا في هذا البرد الشَّديد؟ فتكلَّم معه، وقال: والله لا يجوز هذا، ورجع الشيخُ.

وقال الأستاذُ (قدس سرهما): إنَّ بابيركال لا يرضى بهذا، وكان في بعض المرَّات

يقول له: يا بابيركال في بعض مكالماته معه ﷺ، فَحَوِّلُوني إلى داخل البيت، وبابيركال لقبٌ لوليٍّ مشهورٍ من سلالة أبي بكر الصِّديق ﵁، دُفن في المملكة، اسمُه: الشيخ حسين، ومرقده في قرية بور قريبة من بلدة ططوان على ساحل البحر.

وقال ابنُه لحضرة الشيخ محمد ضياء الدين ﷺ: كنت مرَّة جالساً عنده في ذلك المرض، ولم يكن عنده أحدٌ سواي، وكنت إذ ذاك في غاية الحزن من شدَّة مرضه وإبرامه، فتوجَّه ﵁ إليَّ وقال: يا ضياء الدين، لم تكون هكذا حزيناً[1] وكسيراً[2]؟ فكان هذا التَّكلُّمُ فرصةً لي في الكلام، فقلت: هل ترى أن يكون لأحدٍ أبٌ في غاية الغنى وذا ثروةٍ كثيرةٍ، فيذهب، ولا ينال ابنه شيئاً من تلك الثَّروة العظيمة، هل يغتمُّ لذلك أم لا؟ فاستغرق الأستاذُ ﵁ في التَّفكُّر، ولم يُجِب شيئاً، فخرجت من البيت من الكآبة[3].

وفي اليوم التَّالي كنت عنده وحدي أيضاً، فقال لي: يا ضياء الدين، إنَّك قلتَ أمس كذا وكذا، ولم أُجِبك[4]، فالآن بدا لي أن أُجيبك: بأن لا[5] تغتمَّ ولا تحزن، فإنِّي إن [٦٦] أذهبْ أسلمك إلى مَن هو أولى لك منِّي، فإنِّي

(١) محزوناً خ.

(٢) مكسورًا خ.

(٣) في متن (ب): من بكآبةٍ. وفي حاشية (أ) و(ب): بكآبة خ.

(٤) في (ب): (أجيبك).

(٥) في حاشية (أ): بأنك خ، وهي المثبتة في متن (ب).

كنت لم أفرِّقْ بينك وبين غيرك، وأمَّا هو؛ فيختارك على كلِّ مَنْ سِوَاك.

ثم تكلَّم الأستاذُ الأعظمُ مع الشَّيخ الأكبر ﷺ، وقال: قد أَوْجَبَ السَّاداتُ ﵁ عليَّ أن أفوِّضَ إليك جميعَ أموالي وأولادي وأتباعي حتى خلفائي، ويلزم عليهم كلِّهم أن يعاملوا معك كما كانوا يعاملون معي، فاعتذر الشَّيخُ ﵁ عن ذلك، وقال: لا يصلح ذلك لي، بل يصلح لابنك، فقال الأستاذ ﵁: إنَّ أمرَه لم يتمَّ إلى الآن، فاعتذر ﵁ ثانياً[1]، فأجابه الأستاذ ﵁ بأن لا خلاصَ لك من هذا بناءً على الأمر، وإلا؛ فيكون فيه الهلاكُ. فقال الشيخُ ﵁: فإذن كلم معهم. فبعد ذلك أعلن الأستاذُ ﵁ الأمر للخاصَّة والعامَّة بتفويض الكلِّ إلى الشيخ الأكبر ﵁، وكتب بذلك مكتوباً.

** ** **

(١) في (ب): فاعتذر ثانياً ﵁.

[مبحث مبحث وفاة الأستاذ الأعظم وبيان أولاده وأحوالهم (قدس سره)][1]

وقبل وفاة الأستاذ الأعظم (قدس سره) بأربعين يوماً ذهب الملّا ياسين المجذوب إلى طرف غرزان، وكان يطوف في القرى، ويقول: إنَّ الأستاذَ (قدس سره) قد توفّي إلى رحمة الله، وعيَّن في مكانه الشيخَ فتح الله (قدس سره).

ثم توفي (قدس سره)، ولا نتكلّم على وفاته، فإنَّ ذلك طويلٌ، وقد أُفرد بالتّأليف الكافي لذلك، وكان ارتحالُه (قدس سره) إلى أعلى فراديس الجِنَان بجوار الحور والرِّضوان في اليوم العشرين من ربيع الأوَّل يوم الخميس وقت الضحى في الساعة الثالثة من سنة (١٣٠٤) أي: ثلاثمائة وأربعٍ بعد الألف من الهجرة النبوية ﷺ، واليوم الرابع من الكانون الأول الرومي من سنة (١٣٠٢) أي: ثلاثمائة واثنتين بعد الألف، وكان مدَّةُ عمره (قدس سره) سبعاً وخمسين سنةً، وإرشادُه ثماني عشرة سنةً، لا حرمنا اللهُ من نسبته، وأفاض علينا وابلَ فيضه وبركته[2]، ويدخلنا في زمرة أتباعه في نعيم جنّته[3].

وأخلف (قدس سره) من الأولاد ستَّةً من الذُّكور، وستّاً من الإناث.

وأكبرُ الذُّكور: حضرةُ الشيخ محمد ضياء الدين (قدس سره)، وهو الملقَّبُ

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

(٢) في حاشية (أ): فيوضه وبركاته، نسخة.

(٣) في حاشية (أ): جناته خ.

بالحضرة، وسيأتي بيانُ ما يتعلَّقُ به إن شاء الله تعالى، ثمَّ الملّا عبد الرحيم أبو الشيخ محمد معصوم (رحمه الله)، وكان عالماً كبيراً، وكان هو وأخوه الحضرة يقرءان على الشيخ الأكبر (قدس سره).

أمَّا درسُ الحضرة (قدس سره)؛ فكان ينتهي بسرعةٍ، ودرسُ الملّا عبد الرحيم يدوم، ويقع فيه الأسئلةُ والأجوبةُ وبعض المناقشات العادية، فيقول [٦٧] بعضُ أهل البيت[1]: أنت لا تهتمُّ بالحضرة، وتهتمُّ بالملّا عبد الرحيم، فيقول الشيخ (قدس سره): إنَّ الحضرةَ يقنع بعادة الدَّرْس، ونمرُّ في البيان بسرعةٍ، وأمَّا الملّا عبد الرحيم؛ فيُكثِرُ من الأسئلة، فيجبرنا على الجواب، فنتعوَّقُ على درسه.

وتوفِّي (رحمه الله) بعد الأستاذ الأعظم (قدس سره)، ولا نعلم بكم سنةٍ، وقالوا: حين وفاته لم يكن الحضرةُ حاضراً، فلما جاء رأى الشيخَ الأكبرَ (قدس سرهما) جالساً، وأقعد بجنبه ابنه الشيخ محمد معصوماً (رحمه الله)، وكان طفلاً، فعزّى الشيخُ الأكبرُ الحضرةَ (قدس سرهما)، وقال: ينبغي أن لا نحزن على وفاته كثيراً، فإنَّ هذا - ويشير إلى الشيخ محمد معصوم - مكان الملّا عبد الرحيم، وكان كبيراً، وصار الآن صغيراً. فحقَّق الله تعالى فيه أمنيةَ الشيخ الأكبر (قدس سره)، حيث عمَّر إلى تسعين سنةً تقريباً، وصار رئيساً لبيت الأستاذ الأعظم (قدس سره) ولأتباعه خمسين سنةً تقريباً بعد وفاة الحضرة (قدس سره)، وعامل مع الكلِّ معاملةً حسنةً على مسلك أسلافه الطَّاهرة قدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمْ.

(١) وهي بنت الأستاذ وزوجة الشيخ الأكبر قدِّس سرُّهما.

ثمَّ محمَّد راشد بن الأستاذ الأعظم قدس سره، وكان مشتغلاً بالتَّعلُّم، وأَخْذِ بعض الفنون الأدبيَّة، وكان من عادته رحمه الله أنَّه لا يتكلَّمُ مع المتكلِّمين بما لا يعني، وكان أثرُ الصَّلاح في جبينه ظاهراً رحمه الله، وكان عمره عشرين سنة ونيفاً، وقد ظهر منه في مرض وفاته بعضُ خوارق العادات، حيث نعى نفسه إلى أقاربه وأحبَّته في أوَّل مرض الوفاة بوفاته، واشتعل نارُ محبَّته للسَّادات الكرام قدس سرهم، بحيث لا يُحِسُّ بمرور الزَّمان، حتى كان يتحدَّثُ يوماً مع زوجته بمناقب السَّادات، وتعمَّقَ في ذلك حتى فاتته صلاةُ العصر، ولم يشعرْ به، وكان يخرج أحياناً من بيته، ويذهب إلى بيت أخيه الأكبر الحضرة قدس سره للتَّحدُّث بأخبار الأستاذ الأعظم قدس سره، ومع ذلك المرض يقعد على الحصير، ولا يتألَّمُ بذلك من شدَّة مرضه، وكان في ذلك المرض بغاية الشَّفقة والتَّلطُّف لكلِّ أحدٍ في كلِّ حالٍ، وكلَّما ازداد مرضُه ازدادت محبَّتُه، ويرى نفسه غريباً، حتى إنَّه كان يقبِّلُ يد الحضرة قدس سره ويقول: انْظر[1] إلى الأقرباء مع التَّحسُّر والتَّضرُّع، فتوفي إلى رحمة ربه الواسعة، ولم يعقّب.

ثم الشيخ محمد سعيد رحمه الله الشَّهيد في معركة الرُّوس، وكان عالماً باهراً ماهراً، وبطلاً[2] مغواراً يحبُّ الرئاسةَ، وحقاً [٦٨] كان قابلاً لها، وكان بسبب تلك الشَّجاعة مائلاً إلى أخلاق الشَّيخ جلال الدين بن الغوث قدس سره، وجعله دستوراً له في معاملاته مع الآغاوات وغير ذلك، وكانت جميعُ تدابير

(١) في (ب): (أنظر).

(٢) في (ب): (ماهراً بطلاً).

بيت أهل الأستاذ الأعظم قدس سره بيده في وقته، وفي وقت كونه طالباً متفقِّهاً فيما بين الفقهاء يفوته في بعض الأوقات صلاةُ الصُّبح، فشكَوه إلى الشيخ الأكبر قدس سره في ذلك، فاستحضره الشيخُ قدس سره، ونصحه وبالغ، وقال: إنَّك ابنُ الأستاذ قدس سره، فإذا فاتَتْك صلاةٌ واحدةٌ؛ فما نقول لغيرك؟ فلمَّا رأى أنَّ الشيخَ قدس سره عاجزٌ كثيراً بذلك، قال مازحاً: أما يرى الشيخُ أنَّ الشَّيطانَ يلفُّ عباءَتَهُ على الإنسان ويحرِّكُه ويخيِّل إليه أنَّ الوقت باقٍ، فنَم؟ فتبسَّم الشيخُ في وجهه، وقال: إنَّ الشَّيطانَ شِيطانٌ، أي: ماهرٌ في إغوائه يذهب إلى كلٍّ على شاكلته، يجيئك لِيُفوِّت عليك الصَّلاةَ، ويجيئُني ويوقظني، ويخيِّل إليَّ أن ينظر إليَّ النَّاسُ، ويفعلوا مثلي كي يحبط عملي.

وكان الشيخُ محمد سعيد هذا رحمه الله يدعو دائماً أن يوصِلَه الله إليه بطريقٍ سهلٍ قصيرٍ، ويقول: إنَّ الله تعالى يعلم أنِّي لا أُطيقُ أن أعمل مثل ما يعمله السَّالكون من حمل أحفاد الحضرة على أعناقهم وسائر المتاعب، وتقبَّل الله دعاءه، فاستشهد في قرية بيتلو عند نهر الفرات ببندقةٍ من العدوّ المارد الرُّوس في الحرب العموميِّ الأوَّل، وأظهر شجاعةً عظيمةً وجلادةً قويمةً في تلك المحاربة، بحيث لا يوصف رحمه الله، وجاؤوا بجثمانه المبارك إلى قرية نورشين عند أبيه قدس سره، فنال أجرَ الشُّهداء، ولم يُتعِبْ نفسه كما كان يرجو من الله تعالى.

وأعقب ولَدين كاملَين عالمَين عاملَين: السُّلطان ولد والشيخ طه

(رحمهما الله)[1] وقدَّس أسرارهما. ولا عَقِبَ للسلطان ولد (رحمه الله)، وللشَّيخ طه عقبٌ، أنبتهم الله نباتاً حسناً.

ثمَّ الدَّرويش محمد (رحمه الله)، ولا نعلم من أحواله غير أنَّه لَمَّا ارتحل أهلُ بيت الأستاذ (قدس سره) مهاجرين إلى غرزان مرض هنالك، وتوفي إلى رحمة الله، أفاض الله عليه شآبيب رحمته وغفرانه، ودفن في قرية جَزْتي[2].

ثمَّ محمد أشرف، وهو ابنُه (قدس سره) من بنت السَّيد إسماعيل العربونيّ من السَّادات القادريَّة بنت أخت الشَّيخ الأكبر الشيخ فتح الله (قدس سره)، وكان قد ولد بعد وفاة الأستاذ (قدس سره)، وكانت أمُّه الشَّريفةُ [٦٩] حاملةً به، وكان الأستاذُ (قدس سره) يسمِّيها أم محمد أشرف، فلما وُلد سمّوه به، وهذه الشَّريفةُ هي التي أخذ الأستاذُ (قدس سره) بذيلها في مرض موته، وتمثَّل بهذا البيت لمولانا الجامي قُدِّسَ سِرُّهُ السَّامِي:

در حــريمِ حــرم كعبــة وصــلش نرســي[3]

دســت دَرْدَامَــنِ[4] أولاد علــي تــانَزَني

وهو أيضاً استُشْهِد في هذه المعركة[5]، ونال شرفَ الشَّهادة، ولم يُرَ

---

(١) قوله: (رحمهما الله و) سقط في (ب).

(٢) في (ب): (جَزْني).

(٣) في (ب): (نوسي).

(٤) في (ب): (دردامني).

(٥) في حاشية (أ): تلك المحاربة خ.

جسدُه المباركُ.

فهؤلاء أولادُ الأستاذ قَدَّس الله أسراره، وأعلى درجاتهم، وجعل أعقابَهم تيجانَ الأفاضل والأماثل.

وقد أسلفنا أنَّ له خلفاءَ تسعة عشر قَدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمْ، وفي وسعنا أن نكتبَ أسماءهم، ومن أين هم، وأين مدفنهم، وأمَّا تفصيلُ أحوالهم؛ فلا يمكننا، ولم نُحِطْ[1] بها علماً.

وهم: الشيخُ الأكبرُ فتح الله الفاروقيُّ الورقانسيُّ شيخُ الشَّريعة والطَّريقة، وتوفِّي في سنة (١٣١٧) أي: ثلاثمائة وسبعة عشر بعد الألف، وهو مدفونٌ في بتليس.

الشيخُ عبد القادر الملاكنديّ[2] الهزانيّ، وهو أوَّلُ الخلفاء، توفِّي في سنة (١٣٢٦) أي: ثلاثمائة وست وعشرين بعد الألف الهجري، مدفونٌ بهزان من متعلَّقات ليجة.

الشيخُ إبراهيم الجُوقْرَشيُّ ثاني الخلفاء، توفِّي في سنة (١٢٩٨) أي: مائتين وثمان وتسعين بعد الألف، مدفون بجوقْرَشي[3].

الشيخ خليلُ الجُوقْرَشيُّ، توفِّي في سنة (١٣١٤) أي: ثلاثمائة وأربع

---

(١) في حاشية (أ): ولا نحيط، نسخة، وهي مثبتة في متن (ب).

(٢) في (ب): (الملَكَنْدي).

(٣) في (ب): (بقرية جُقْرَشي).

عشر بعد الألف، مدفونٌ في قرية قِزلجه من قرى باسين.

الملا مصطفى البتليسيُّ، توفِّي في سنة (١٣٣٢) أي: ثلاثمائة واثنتين وثلاثين بعد الألف، مدفونٌ في قرية جَاجكُو من قرى خِنُوس[١].

الحاج سليمان أفندي البتليسيُّ، توفِّي في سنة (١٢٩٤) أي: مائتين وأربع وتسعين بعد الألف، مدفونٌ بقرية زِيريناك[٢] من قرى خِنُوس.

الملا يوسفُ أفندي البتليسيُّ، مدفونٌ بها.

الشيخُ إبراهيم النَّيْنِكي البلانقيُّ، توفِّي في سنة (١٣٢٥) أي: ثلاثمائة وخمس وعشرين بعد الألف في المدينة المنورة، ودفن بها.

الشيخ عبد الهادي الجِرجاخيُّ، مدفونٌ في قرية حسن باشا من قرى ملاذكرد[٣].

الشيخُ طاهر الآبري، توفِّي في سنة (١٣١٧) أي: ثلاثمائة وسبع عشرة بعد الألف، مدفونٌ في قرية آبري.

الملا أحمد الدُّمُلِي الطَّاشْكَساني، توفِّي في سنة (١٣٢٥) أي: ثلاثمائة وخمس وعشرين بعد الألف، [٧٠] مدفونٌ بأرضروم[٤].

---

(١) في متن (ب): خِنُس، وفي حاشيتها: حنوس خ.

(٢) في (ب): (زِيْرنَاك).

(٣) في (ب): (ملازكِرت).

(٤) في (ب): (ببلدة أرضروم، نسخة).

الملا عبد الله الخُورُوسيُّ الهيزانيُّ.

الشيخ عبد الله الصوباشيُّ النورشينيُّ ثالثُ الخلفاء، مدفونٌ في قرية نورشين.

الملَّا رشيد الصوباشيُّ، مدفونٌ في قرية نورشين.

الشيخُ عبد القهار الذُّوْقَيديُّ[١] الإِسْعَرديُّ، توفِّي في سنة (١٣٢٤) أي: ثلاثمائة وأربع وعشرين بعد الألف، مدفونٌ في ذُوقَيد[٢].

الشيخ عبد الحكيم الفِرْسَافي الإسعرديُّ، ولم يُعلم مدفنُه ﷺ، فإنَّه غاب عن رفقته بسبب الوجد والجذْبة الإلهيَّة في طور سيناء في سفر الحجِّ، ولم يرجعْ إليهم.

الحاج يوسف الكُوشكيّ الخِنُوسيّ، مدفونٌ في قرية جُولو[٣] من قرى باسين[٤].

السيد إبراهيمُ الإسعرديُّ.

الشيخ محمد سامي الأَرْزِنْجانيُّ[٥]، توفِّي في سنة (١٣٣٠) أي:

---

(١) في (ب): (الزوقيدي)، وفي حاشيتها: الذوقيدي.

(٢) في (ب): (زوقيد)، وفي حاشيتها: ذوقيد.

(٣) في (ب): (جُولُلِي)، وفي حاشيتها: جُولو.

(٤) في (ب): (من قرى قره يازي)، وفي حاشيتها: باسين خ.

(٥) في متن (أ) ضبط آخر: (الأرزيجاني).

ثلاثمائة وثلاثين بعد الألف، مدفونٌ في [بلدة][1] أَرْزِنجان[2].

قدَّس الله أسرارهم العليَّة، وأفاض علينا أنوارهم الجليَّة، وأسبغ علينا جلابيبَ نسبتهم الفَاشِيَة[3] الكثيرة.

** ** **

(١) ما بين معقوفتين من متن (ب) نسخة.

(٢) في متن (أ) ضبط آخر: (أرزيجان).

(٣) في (ب): (الغاشية).

[مبحث مناقب الشَّيخ الأكبر الشَّيخ فتح الله الورقانسي ﷺ][1]

ونبحث من بينهم شيخ الشَّريعة والطَّريقة، وبرهان المعارف والحقيقة، الشيخ الأكبر الشَّيخ فتح الله الفاروقيّ الشَّافعيّ النَّقشبنديّ الورقانسيّ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُ الْعَلِيَّةَ، وهو ابنُ الشَّيخ عبد الرحيم بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ يوسف بن الشيخ حسين الملقَّب بالشَّيخ المجنون، من مجانين العقلاء، منْ سلالة الشيخ محمد المشهور قبَّته بالدَّار السَّوداء، في قرية ورقانس، قِبلةُ حاجات المحتاجين من أصحاب العاهات، من أولاد السُّلطان الشيخ موسى الزُّولي الماردينيّ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ الْعَلِيَّةَ.

وكان أبوه وجدُّه من أفاضل العلماء، حتى كان الأستاذُ الملَّا خليل الإسعرديُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ مع أنَّه هو هو ـ يأمر النَّاسَ بحلِّ مشكلاتهم[2] عند الشَّيخ عبد الرحمن جدِّ الشَّيخ الأكبر ﷺ، ويسمّيه بالأخ، ويقول لهم: إنَّه ما دام في جواركم؛ فما الحاجةُ إليَّ؟

وقد تكلَّمَ الناسُ يوماً في براعة الشيخ الأكبر ﷺ في العلوم عند الشيخ صالح العَربُوني القادري ﷺ، فقال: إنَّه مع ذلك دون أبيه، ولم يبلغ درجته في أغوار العلم، فسمع الشيخُ الأكبرُ ﷺ ذلك، وأرسل الخبرَ إلى ذلك السَّيد،

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

(٢) في حاشية (أ): مشاكلهم، نسخة.

وقال: حقّاً أنت صادقٌ فيما قلت، تواضعاً وتأدُّباً لفخامة[1] أبيه الماجد.

ولا عِلْمَ [٧١] لنا بمن فوقهم من الأجداد في درجات العلوم، ولكنَّ الشَّيخَ حُسيناً المجنون من مجانين العقلاء ﷺ كان مأذوناً في الطَّريقة الزُّوليَّة، وصورةُ إجازته موجودةٌ عندنا، وفيها مكتوبٌ أسامي آبائه الكرام إلى السُّلطان الشيخ موسى الزُّولي ﷺ.

ولَمَّا تُوفيَّ الشَّيخُ عبد الرَّحيم أبو الشَّيخ الأكبر ﷺ كان الشيخُ صغيراً، فتولَّى أمرَه أخوه الشيخُ موسى، وكان ذلك الأخُ ﷺ يجتهد كثيراً في قراءته كي لا يبقى كتبُ آبائهم بلا صاحبٍ، ويرسله إلى كُمَّل العلماء، وكان إذا يجيء إلى البيت زائراً يقول ذلك الأخُ لزوجته: أكرميه واحترميه واعرفي قدرَهُ، وإذا تمَّ له ثلاثةُ أيامٍ في المبيت يقول لها: فتهاوني في إعزازه وقدره كي لا يتعوَّدَ بعزازة البيت، ويعتاد المجيء سريعاً، فيكون سبباً لقلَّة تحصيله[2].

ولا نعلم تفصيلَ من قرأ عندهم، ولكن قرأ أخيراً عند الملَّا عبد الرحمن الملاكنديّ، وأتمَّ قراءته عند الحاج طيّب أفندي الموشيّ، وهو أخذ عن الحاج حسن أفندي الأهوديّ الأنصاريّ، وهو عن علَّامة زمانه حتَّى صار أستاذاً للكلِّ في كلِّ العلوم صاحب التَّأليفات الفائقة الملَّا خليل الإسعرديّ[3] ﷺ، والحاج طيب أفندي خليفةٌ للسَّيِّد صالح أخي السَّيِّد طه

(١) في (أ): لفخا. وفي (ب): لنفي. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) في (ب): (تحصله).

(٣) في (ب): (الأسعردي).

قدَّس الله أسرارَهُم[1].

ولم يَمْضِ[2] على الشَّيخ الأكبر ﷺ كثيرُ زمنٍ حتى صار متبحِّراً وعلَّامةَ زمانه، وكان يغترفُ من بحارِ علومه القاصي والدَّاني، وانتشر صيتُه في الممالك الإسلاميَّة، حتى يُستفتَى من جنابه من جامع الأزهر في مصر[3] المحروسة مركز العلوم والفنون والأحاديث، وأجاب ﷺ مرَّةً عن سؤالهم، وكتب فتواهم، وأرسل إليهم، وقبلت، وثانيةً كتبوا في فتوى أخرى، وكان الشَّيخُ ﷺ قد توفّي إلى رحمة الله تعالى، فتعرَّض الأستاذُ الملَّا عبد الكريم ﷺ لجوابهم، فلم يُوفَّقْ له، وكتب لهم بأنَّ من تسألون عنه مثل هذه قد توفّي إلى رحمة الله تعالى، وأرسل إليهم: فيا لذلك من خسارةٍ.

وإذ ذاك كان المشهورَ في العلوم في كردستان ثلاثةُ رجالٍ عَلَّامون[4]: أحدهم شيخُنا هذا، وثانيهم حضرةُ الشيخ فهيم الأرفاسيّ، وثالثُهم الشيخُ أمين النوينيّ البتليسيُّ ﷺ.

وشهرةُ الشيخ أمين هذا في [٧٢] التَّواريخ، وشهرةُ الشَّيخ فهيم في التَّفسير، ولكنَّ شيخَنا الشيخَ فتح الله ﷺ كان جامعاً للعلوم كلِّها، ولكنَّه في

(١) في (ب): (سرهم).

(٢) في (ب): ولم يحض، والصواب ما أثبتناه من (أ).

(٣) في (ب): (المصر).

(٤) في (أ) و(ب): (علَّامة)، والصواب ما أثبتناه.

الشَّريعة كان أعلى وأرفعَ، حتى سُمِّي(١) بشيخ الشَّريعة، وحينما تُوفي شيخُه الشَّيخ عبد الرحمن التَّاغي الأستاذ الأعظم قدس سره، وكان جميعُ خلفائه وعلمائه وسالكيه(٢) حاضرين، فبعد تمام دفنه وتسليمه إلى مثواه الأخير في الجنَّة العليا ورياض الفردوس، قال خليفتُه الشيخ أحمد الطَّاشْكَسَانيُّ قدس سره: أين الشيخُ فتح الله؟ وهم على المَرْقَد ولم ينزلوا عنه بعدُ، فقالوا: هو في طرف كذا، أبرمته الكآبةُ، وسقط على الأرض يبكي جَزَعًا، فقال: فليأتِ، فجاؤوا به، فقال للشيخ قدس سره: جئ حتى نمتثلَ بأمر الأستاذ قدس سره، فأخذ بيد الشَّيخ قِبَلَ الخلفاء، وقال: إنّي قَبِلْتُك في موضع الأستاذ بأمره العالي قدس سره، ثمَّ فعل الكلُّ هكذا واحداً بعد واحدٍ، وبعد تمام هذه البيعة الشَّريفة جاؤوا إلى الحلقة القريبة من الديوان، وكان الشَّيخ قدس سره أمامهم، وأمَّا حين ذهابهم إلى المرقد؛ فقد كان(٣) خلف الجميع قدَّس الله أَسرَارَهُمْ.

وقال ابنُ الأستاذ الأعظم حضرة الشيخ محمد ضياء الدين قدس سره: لا ينتشر النَّاس، فيتوجّه الشيخ الأكبر غداً التَّوجُّه النَّقشبنديَّ إن شاء الله، وقال الشيخ قدس سره: صعبٌ عليَّ ذلك كثيراً.

ونرَى أنَّ الشَّيخ قدس سره قال ذلك لِمَا أنَّه لم يتوجَّهْ في حياة الأستاذ،

(١) في (ب): (يسمى).

(٢) في (ب): (وسالكه).

(٣) في (ب): (فكان).

ويطلب النَّاسُ من الأستاذ(١) أن يأمرَ الشَّيخَ ليتوجَّه بالنَّاس، ويقول الأستاذُ: فليَبْقَ إلى وقتٍ يكثر فيه النِّسبةُ، وتزيد فيه الحرقةُ، وكان الأستاذُ يشير إلى هذا؛ لأنَّ قلوبهم إذ ذاك كانت منكسرةً من تلك الفاجعة الكبرى، ورحمة الله قريبةٌ من القلوب المنكسرة.

وبعد غدٍ أرسلوا للشَّيخ بأنَّ النَّاسَ جلسوا للتَّوجُّه منتظرين للشَّيخ، فقال الشيخُ قدس سره: قد ذهبتُ بذلٍّ وانكسارٍ وكآبةٍ إلى باب مجتمعهم، فرأيت الأستاذَ قدس سره بهيئته في الحياة وجسده وشكله ظهر أمامي، فدخل ودخلتُ معه مكان التَّوجُّه، فصلَّى وصلَّيتُ، وقرأ السِّلسلةَ وقرأتُ، فدار على رؤوس النَّاس ودرتُ خلفه، حتى أتمَّ التَّوجُّهَ، فخرج وخرجت معه، ثم غاب عنِّي شخصُه المباركُ الميمونُ، عليه الرَّحمة والرِّضوان.

واستسلم الحضرةُ للشيخ الأكبر قدس سره استسلاماً تامّاً، امتثالاً [٧٣] لأمر الأستاذ الأعظم [قدس سره](٢) بالكليَّة، وداوَمَ على الأوراد وآداب النَّقشبنديَّة، وتدريس العلوم الظَّاهريَّة، كما كان أمرُ(٣) الأستاذ الأعظم قدس سره، حتى نال أعلى الدَّرجات، وترقَّى إلى أعلى المقامات.

ونقل شيخُنا الشيخُ تقيُّ الدين حفيد الحضرة قدس سره عن الملَّا عُبيد الله

(١) في حاشية (أ): وكان الناس يطلبون، نسخة. وهي المثبتة في متن (ب).

(٢) ما بين معقوفتين من (ب).

(٣) في (ب): (أمره).

أخي حرم الحضرة قدس سره أنَّه قال: إنَّ الأستاذ قدس سره كان فوَّضَ أمري وأمرَ الحضرة والملّا الكبير بالخصوصيَّة إلى الشَّيخ الأكبر قدس سره وقوّاه، فامتثل الحضرةُ تمامَ الامتثال والاستسلام للشيخ الأكبر قدس سرهما، حتى صار إلى ما صار، وصار[1] سلطانَ العارفين.

وأمَّا الملّا الكبيرُ؛ فتساهَلَ بعض التَّساهل في إيفاء الآداب، حتى قال له الشيخُ قدس سره مرَّةً: هل تفعل أنت ما عليك من جرِّ الأوراد وغيره من الآداب؟ فأجاب: بأنَّ نفسي فداءٌ لنفسِك، لا تحسِبْ لي، ما كنتُ تركتُ مملكتي أرضَ آبائنا وأسلافنا، وما فيها من الفواكه الشَّهيَّة اللَّذيذة، والمياه العذبة الباردة، ووقعت مهاجراً في غمام بيداء مُوشٍ في الشِّتاء، وحرِّهِ في الصَّيف، وتحسب الأورادَ فحسب، ثم نَدِمَ على ذلك التَّساهل، وتدارَكَ ذلك في زمان الحضرة قدس سرهما، حتَّى صار مَلَاء كبيراً، وأحد مخاطب الحضرة في الأمور، وأمَّا أنا؛ فبقيتُ في حالي الأوَّل، وتساهلي في الأمور.

وقال الحضرة قدس سره: حينما وصل قراءتي للعلوم الظَّاهريَّة إلى المادَّة الكبرى؛ أمرني الأستاذُ ببعض آداب النَّقشبنديَّة، وببعض عباداتٍ أخرى مثل الصوم في كلِّ يوم الإثنين والخميس وسائرهما، وقال: لا يطلِّعْ على ذلك غيرُ حَرَمِك لإحضار السَّحور لك، فامتثلتُ.

(١) في حاشية (أ): وكان خ، وهي مثبتة في متن (ب).

وكنا يوماً في قرية دَمِرْجي، فبعد قراءة الختمة النَّقشبنديَّة يوماً جاء رجلٌ ببُرمةٍ من الرِّيباس المعلوم، ووضعها عند الأستاذ قدس سره، فأعطى كلَّ واحدٍ من الأصحاب اثنين اثنين، وأعطاني أيضاً اثنين، وأمر أن يأكلوا، فأكلوا وأكلت، ثم خرج الأستاذُ من المسجد إلى الخارج، ودعاني، فسأل عنِّي: ألستَ كنت صائماً؟ قلت: بلى، قال: فلِمَ أكلتَ؟ قلت: أمرتني بالصَّوم، فصمتُ، وأمرتني بالفطر، فأفطرتُ، ففرح الأستاذُ قدس سره لذلك، وانبشَّ به[1].

فقلتُ في نفسي: ليت الأستاذ قدس سره كما يعلِّمُني الآدابَ كذلك يقرئني[2] درسي في الكتب أيضاً، فكُوشِف قدس سره بذلك، فدعاني، فقال: ايتِ يا ضياء الدين، إنَّك كما تقرأ على الشَّيخ فتح الله؛ فاسأل الآدابَ [٧٤] وسائر المشكلات عنه أيضاً.

ومنذ إذٍ علمتُ أنَّ أمري مفوَّضٌ إليه في ذَينِك العِلْمَين، وكان تسليمُه للشيخ الأكبر قدس سرهما تامّاً، بحيث كان حينما يُذهَبُ بالشيخ على التَّاخوك إلى قريةٍ يذهب هو معه راجلاً، وفي بعض الأوقات كان يجرُّ التاخوك مع الرِّفقة، ولامَ بعضُ خلفاء الأستاذ الأعظم على الشَّيْخ الأكبر قدس سره بأنَّك تفعل هكذا مع ابن شيخك، فأجابهم الشَّيخُ قدس سره: أسلَّمه الأستاذُ إليكم أم إليَّ؟ أمَّا أنا؛

(١) في (ب): (وابشر به).

(٢) في (ب): (يُقرِبُني).

فأفعلُ معه ما هو الأصلحُ له، وكان كلَّما يحضر مع الشيخ يضعُ إحدى يديه على الأخرى، ولا يتكلَّمُ إلا إن تكلَّمَ الشَّيخُ معه (قدس سرهما)، فيجيبه فحسب، ويطأطئُ رأسَه بحضرته ينتظرُ فيوضاته إلى تمام المجلس.

وكان قد ترك في عنفوان شبابه الشَّهوةَ النَّفسانيَّةَ بتيسير الله له ذلك، وحصر جميعَ مشتهياته في محبَّة الله تعالى، وأَمْرِ السَّادات الكرام قدَّس الله أسرارَهُمُ العَلِيَّةَ، حتى يُروى أنَّه حينما تزوَّجَ؛ أمره الشيخُ الأكبرُ ـ ويُحتمل أنَّه بإشارة الأستاذ (قدس سره) ـ [أن][1] ينام في فراشه، ولا يُحْدِث شيئاً إلى أربعين يوماً، فائتمَرَ بذلك إلى شهرٍ فما فوقه، فسأله الشيخُ الأكبرُ (قدس سرهما) عمَّا ذُكر، فأجابه: مضى الأمرُ كما أمرت، فقال: ارتفَعَ عنك ذلك الحجرُ.

وكان المرادُ من ذلك: أنْ يمتحن أنَّ نفسَه مطيعةٌ لأمره حتى في الأمور المباحة، ويقدر على تدميرها حسب أمر آمره أم لا.

وقد روي أنَّ نفسَه تحت تصرُّفه، ولا تقدر أن ترعى في غير حِمَاها.

ودام على هذه الحالة من الطَّلب التَّامّ وتكسير النَّفس والتَّأدُّب البليغ إلى أربع سنين من بعد وفاة الأستاذ (قدس سره)، ثم أجازه الشيخُ الأكبرُ (قدس سرهما) بالخلافة العظمى.

وأمَّا تفصيلُ أحوال الشَّيخ الأكبر (قدس سره)؛ فلم نُحِطْ[2] بها علماً، ولكن

(١) ما بين معقوفتين من متن (ب)، وهي في حاشية (أ).

(٢) في (أ) و(ب): (تُحِط)، والصواب ما أثبتناه.

نذكر نبذةً منها مما سمعناه:

وكان (قدس سره) يطوف على المريدين والأتباع في القرى للإرشاد، وتبليغ أمر الشَّريعة والطَّريقة، وإصلاح ذات البَيْن، ولاهتمامه (قدس سره) بأمر العلم يذهب معه بعض طلَّابه المخصوصين بالقراءة عليه، ويُدرسُه، ولا يُفوِّتُ درسَه ما أمكن.

وذهب في بعض دَوَرانِه إلى قريةٍ، واجتمع عليه الخاصُّ والعامُّ، وبسط معهم الصُّحبَةَ الشَّريفةَ، ولم يحضر مع النَّاس إمامُ القرية، فبعد أن أراد الشيخُ (قدس سره) النَّومَ، ونَفْضِ ثيابه للنوم؛ حضر الإمامُ، فقال (قدس سره): يا ملَّا، أنت تشبه ديكةً لا وقتَ لها، [٧٥] فالآن وقتُ النوم، فقال الملَّا: إنَّك في موضع الأستاذ، فلا يحقُّ لك أن تنام، فأخذ الشيخُ (قدس سره) عمامته، وقرَّبها إليه، وقال: ها أنت كن موضعَه، فقال الملَّا: لا تعطني العمامةَ، بل أعطني ما في صدرك، فصاح الشيخُ (قدس سره) صيحةً عظيمةً، فانكبَّ وصعق منها الملَّا مغشيّاً عليه، وقيل: أمر الشَّيخ بإخراجه من البيت، فأخرجوه، ونام الشيخُ، فلم يروه إلى الصَّباح، ثم جاء واعتذر من الشيخ (قدس سره).

وكان (قدس سره) ذهب إلى قريةٍ لإرشاد أهلها، فرأى أن ليس عندهم شيءٌ، لا من أمر الشَّريعة، ولا من أمر الطَّريقة، فكأنَّهم نشؤوا في المغارات أو قُلال[1] الجبال، فدعاهم الشَّيخُ (قدس سره) إلى الدُّخول في الطَّريقة والتَّوبة عن الذُّنوب،

(١) في (ب): (وقُلال).

فأجابوه: بأنَّ لهم رئيساً مريضاً في النهاية[1]، فإن دعا له الشيخُ وشفي؛ نتوب وندخل في طريقته جميعاً، فتفكَّر الشيخُ (قدس سره) في أمره، وقال بصوتٍ خفيٍّ: قد يحتاج المرءُ إلى الكرامة، ثم أمر بإحضاره، فأحضروه، فإذا هو في غايةٍ من المرض، غائبٌ عن شعوره، ولا يقدرُ على الكلام، بل ولا على التَّحوُّل من جنبٍ إلى جنبٍ، وقد كان كذلك منذ أسبوعٍ، فأوَّلاً قرأ آيةَ الشِّفاء، ونفخ عليه، وأَمَرَّ عليه يده المباركة، ثم ناداه (قدس سره)، فأجابه: بلبَّيك، فأمر الشيخ (قدس سره) بحمله في فراشه إلى بيته.

وفي الصَّباح جاء ماشياً على قدميه إلى الشَّيخ (قدس سره)، فتبعوه، ودخلوا في طريقته، وامتثلوا بأمر الشَّريعة على ما طلب منهم الشيخُ (قدس سره).

وكان الشيخ الأكبرُ (قدس سره) زمن الفدائيّين الأرمنيّين يذهب إلى القُرى للإرشاد، فيذهب معه الأتباعُ بالأسلحة لحفظ الشيخ (قدس سره). وفي ليلةٍ حين بَسْطِ فُرُش النَّوم وإرادته أخرجُ الأستاذ الملَّا عبد الله البالكي (رحمه الله) تلميذه طبانجته، وأحضرها، فقال له الشيخ (قدس سره): ماذا تفعل؟ فقال الأستاذ الملَّا: إنِّي أحضرها لانتهاز الفرصة وقت اللزوم، فقال الشيخ (قدس سره): إنَّ توكلِّي على الله أقوى من سلاحك، ولكن افعل ما يبدو لك.

وسبب ذلك: أنَّ الحاجّ حيدر الكِيرسي (رحمه الله) من خلفاء الشيوخ البالُوِيِّينَ (قدس سره)، وكان بينه وبين الشيخ الأكبر (قدس سره) محبّةٌ عظيمةٌ، حتى تآخيا في

(١) في (ب): (في نهاية المرض).

الله، قد قُتِل غيلة بين قرى الأرمنيين[1]، ولم يُعرف قاتلُه، ولا سببُ قتله، فاحتاط أتباعُ الشيخ الأكبر (قدس سره) في المحافظة والحرص عليه.

وقال الشيخُ الأكبرُ: كان الأستاذُ الأعظمُ (قدس سرهما) يوصيني في حقّ [٧٦] الخليفتين الملَّا عبد الله والملَّا رشيد النورشنيَّين (قدس سرهما)، وكانا عند الشيخ الأكبر (قدس سره) أعظمَ منزلةً ممن سواهما، ويقول (قدس سره): الفرقُ بينهما: أنَّ الملَّا عبد الله يعلم أن لا بُعْدَ بينه وبين الحقيقة مقدارَ شعرةٍ، والملَّا رشيد يعلم أنَّه بعيدٌ عنها لا وُصْلَةَ[2] له بها مقدارِ شعرةٍ.

ويقول الشيخ (قدس سره): إنَّ مشرَبَ الملا رشيد أعلى وأرفعُ؛ لما يلزم أن يَعُدَّ العبدُ نفسه دائماً قاصرةً بعيدةً[3].

ويوماً من الأيام كانت الجماعةُ حافلةً من الخلفاء والعلماء والآغاوات، وكان فيهم الشيخُ عبد القهار (قدس سره) وزمان خان آغا الصوباشيّ، فقال الآغا: إنَّكم الشُّيوخَ تتهنَّؤون بالمستلذَّات وتتنعَّمون حسب حالكم، ويحترمكم النَّاسُ ويوقِّرونكم، فأدخل الشيخُ عبد القهار (قدس سره) يده تحت إبطه، وأخرج منها كثيراً من القمل، وأراه، وقال: إنَّ تنعُّمَنا الذي تخبِرُ عنه هو هذا، وأمَّا كثرةُ التذاذنا بسوى ما تظنُّه؛ فلِلَّهِ الحمدُ لنا كثيرٌ، ولا خَبَرَ لك عنه.

(١) في (ب): (الأرمنيين).

(٢) في (ب): (وَصْلَة).

(٣) وبعيدة، خ.

وكانت أحوالُ خلفاء الأستاذ الأعظم ﷺ غريبةً، وأطوارُهم عجيبةً، ويستشرفون على ما في خواطر أصحابهم استشرافاً تامّاً، كما وقع للشَّيخ الأكبر ﷺ، حيث رأى صوفيّاً من الأتباع أمسك لحيته، وقبض عليها بيده كأنَّه يحفظها عن شيءٍ، ورآه الشيخُ الأكبرُ ﷺ كذلك، فاستشرف على أنَّ ذلك لظنِّه أن لو ترك عنها يده لخربت الدنيا كلُّها، فقال ﷺ له: خلِّ عنها يدك، وإنَّ الدُّنيا التي تخرب من إرسال يدك؛ فلتخرب ساعةً أقدم.

وكما وقع للحاج سليمان أفندي البتليسي ﷺ حينما جلس هو ورفيقٌ له في مراقبةٍ، فغاب الرَّفيق في أمر الرَّابطة، واختفتْ عنه، فعرج ذلك الرَّفيقُ إلى أعلى بدون رابطةٍ، فأحسَّ بذلك الحاجّ سليمان أفندي، فلكَمَه بمِرْفَقِه، وقال: هذا ليس بمسرى الحيوان ذي الحافر الفرد ـ أي: الحمار ـ حتى تذهب فيه سدىً، أي: بلا رابطةٍ، فتهلك.

** ** **

[مبحث إعطاء الخلافة للحضرة الشَّيخ محمَّد ضياء الدِّين ﷺ](1)

ولَمَّا تمَّ عنده ـ أي: الشيخ الأكبر ﷺ ـ سلوكُ سيدنا الشيخ محمد ضياء الدين بن الأستاذ الأعظم ﷺ، وبلغ إلى أعلى درجات الكمال، وصار من كُمَّل الرجال لائقاً لإرشاد العباد إلى الكمال، وحصل له الخلافةُ التامَّةُ بأمر الشيخ الأكبر من طرف السَّادات الكرام قَدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمْ؛ أمره الشيخُ بالتَّوجُّه غداً، فلمَّا جاء الغدُ جلس الشَّيخُ بالباب، [٧٧] وأرسله للتَّوجُّه، وكانت خادمةٌ لبيت الأستاذ الأعظم ﷺ، فقرأَتْ شعراً كردياً، قيل وقت جلوس السلطان عبد الحميد على عرش أبيه السلطان عبد المجيد، وقالت في حقّ الحضرة ﷺ: أنت هكذا جلستَ على عرش أبيك الأستاذ الأعظم ﷺ، فأجابَها الشيخُ الأكبرُ ﷺ بالحمد لله سروراً وفرحاً، وقال: لو لم يَحْرُم الرَّقصُ في يد الأجنبيّة لأخذت بيدك، ورقصنا نتيجةَ هذه المسرَّة والفرح التَّامِّ.

وفي ذلك الرَّبيع جاؤوا للمُنْجَعَات الصَّيفيَّة إلى قرية خَابْنُو، وكان وادي خابنو ممتلئاً من الأفراس والبغال للضِّيفان ولبيت الأستاذ، فيذهب الحضرةُ ﷺ، ويعدُّها واحداً واحداً، ثم يرجع، وكذلك، فقال بعضُ الواقفين على هذا: لماذا تفعل ـ أي: تعدُّ هكذا ـ؟ فقال ﷺ له: فإنَّ الوجدَ الإلهيَّ والفيوضاتِ الرَّبَّانيَّةَ والمحبَّةَ تراكمتْ على قلبي بحيث لا أتحمَّلُها، فأخفِّفُ

(1) ما بين معقوفتين من (ب).

عليَّ بهذه الصُّورة، فأستريح نوعَ استراحةٍ.

وقد وقع مثلُ هذا الوجد للصَّحابة الكرام رضي الله عنهم، كما وقع ذلك في حالة دفن جنازةٍ، وحضر فيه النَّبيُّ ﷺ، فلما رجع إلى البيت مسحتْ أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها يدها على ثياب النَّبي ﷺ، فسأل عنها: «لماذا تفعلين كذلك؟» فقالت: رأيتُ أنَّ مطراً يَمْطُرُ عليكم، فأرى أنَّك لم تبتلَّ عنه، فقال ﷺ: «أوَقد رأيتِهِ؟» قالت: نعم، فقال ﷺ: «ذلك لم يكن مطراً، بل كان ذلك من يقَظَةٍ تامَّةٍ حصلتْ للصَّحابة، لو دامت لتركوا الدُّنيا رأساً، فأرسل الله عليهم غفلةً في صورة المطر رحمةً بهم على آجالهم»، فسأل ﷺ عنها: «ماذا كانت على رأسِك؟»، قالت رضي الله عنها: عباءَتُك، فقال: «لولاها لم ترَيْها كما لم يرَها غيرُك».

وكان الأستاذُ الأعظمُ قدس سره قد أوصى سدس أو ثلث ماله من العقارات والحيوانات وأثاث البيت كلّها للشيخ الأكبر قدس سرهما.

وفي خريف تلك السَّنَة في خابنو تفرَّق بيتُ الأستاذ الأعظم وبيتُ الشيخ الأكبر قدس سرهما، فقال الشيخُ قدس سره: أنا لا أقدر أن أردَّ وصيَّةَ الأستاذ قدس سره، فقَبِلْتُها، ووهبتُ ما يقع لي من الأراضي لأولاد الأستاذ قدس سره، وأما الأثاثُ وأمتعةُ البيت؛ فآخُذُها بقدر حاجتي، ففي ذلك الخريف ذهب بيتُ الأستاذ قدس سره إلى نورشين، وبيت الشيخ قدس سره إلى أوخين.

[٧٨] وكان إذ ذاك رئيس البارسنكيين [السَّاكنين في ناحية خيوط][١]

(١) في حاشية (أ) و(ب) نسخة.

بشار آغا بن بازيد الكُورسفاكي التتريّ، وكان يقول للشَّيخ قدس سره: كان الأهمُّ لنا أن تجيء ببيتك إلى ممالكنا وعشائرنا، فيسَّر الله لنا ذلك، والحمد لله، وإنَّ محافظتَك ومنعَك من المَكَارِه الدُّنيويَّة فمن مهمَّات وظائفنا، ونحفظك كما نحفظ أهلنا وذوينا، وأمَّا جلبُ الناس إليك، وبثُّ الطَّريقة في الورى؛ فمن وظيفتك، ويشبه هذا ما قاله للنَّبيِّ ﷺ أميرُ رئيس[١] القافلة من الأنصار: إمَّا البراءُ بن معرور أو سعدُ بن زرارة، رضوان الله تعالى على الجميع، حين بايعوا مع النَّبي ﷺ في العقبة الثانية في مِنى: من أنَّا نمنعك من الأعداء كما نمنع أُزْرَنا، أي: نسواننا وذرارينا وأنفسنا.

** ** **

(١) في حاشية (أ) و(ب): نسخة.

[مبحث][1]

ولما جاء بيتُ الشيخ الأكبر قدس سره إلى أوخين؛ قاسَى هو وأهلُه المشقَّات[2] الشَّديدةَ، من ضيق المسكن، وقلَّة التَّدبير، وكثرة جمعه من السَّالكين والضُّيوف والفقهاء.

وكان قدس سره يدعو لفارس الإيلَالُوبي، ويقول: إنَّه كان رجلاً غنيّاً، وأوَّلُ إعانةٍ فُعِلَتْ معنا إعانتُه، فإنَّه أرسل إلينا كَمْ أحمالٍ محمولةٍ على الثِّيران من الحنطة المطبوخة والدَّقيق وغيرها إلى قرية أوخين، اللهم أرسِلْ ثوابها بأضعافٍ إلى قبره، وارحَمه رحمةً واسعةً.

وكان في ذلك الشِّتاء غداؤُهم[3] وعشاؤهم كلُّها مرقةً فقط، وجاءت مرَقَتُهم مرَّةً، فأخذ الملَّا خليل الشيخ ولياني - وكان سالكاً - خبزَهُ، وابتعد عن الرِّفقة، وأكل خبزَه اليابسَ بدون المرقة، فقال الشيخ قدس سره: لمَ ابتعدتَ ولا تأكل المرقةَ؟ قال: واللهِ إنِّي عَجزتُ عنها، فلا تتوقُ نفسي إليها، فآكلُ الخبز فحسب، فقال الشيخُ قدس سره: فلا تظنُّوا أنِّي آكلُ شيئاً غير هذه، واللهِ أنا مثلكم لا آكل شيئاً غيرها.

---

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) في (ب): المشيقات.

(٣) في (أ) و(ب): غداتهم.

ووقع يوماً في قرية أوخين أنَّ الملَّا خليل هذا كان يتوضأ على القلَّتين في موسم الشِّتاء في شدَّة البرد، والحوضُ كان متجمِّداً، فذهب إليه الملَّا ياسين المجذوب، فدفعه من خلفه، وألقاه بلباسه في الحوض، فخرج وذهب بتلك الحالة إلى المسجد، فسأله الشيخ قدس سره: ماذا وقع لك يا ملَّا خليل؟ فقال: إنَّ الملا ياسين دفعني وألقاني في الحوض، فقال قدس سره له: لِمَ فعلت به هكذا وهو مسكينٌ لا يتحمَّلُ [٧٩] البردَ؟ فقال: إنِّي لم أدفع الملَّا خليل، بل رأيتُ الشَّيطانَ على الحوض، فدفعتُهُ وألقيتُه في الحوض.

ودامتْ تلك الضِّيقةُ والشِّدَّةُ عليهم في تلك السَّنة، ثم وسَّع الله عليه قدس سره.

** ** **

[مبحث أحوال الشَّيخ الأكبر في قرية أوخين وبعده في بتليس قدس سره]

وقال مولانا الشيخ محمد علاء الدين بن الشيخ الأكبر قدس سرهما: سألتُ يوماً عن الملَّا فتح الله بن الحضرة قدس سرهما بعد أن وقع البحث بيننا عن أحوال الشيخ الأكبر قدس سره وضيقته في قرية أوخين، وقلت: قد كان أحفاد الغوث الأعظم وأولاد الأستاذ الأعظم قدس سرهما إذ ذاك مجتمعين عند الشيخ قدس سره للقراءة، وحالُ الشيخ إذ ذاك كانت حالَ ضيقَةٍ وعُدْمٍ، فكيف تتحمَّلون تلك الضّيقَة؟ فأجاب بأنَّا لم نرَ الضّيقَة، ويكون لنا في الأسبوع عطلتا الإثنين والخميس دواماً. فسأل الملَّا فتح الله رحمه الله: هل سفرتنا ـ أي: الصخرة الملساء الواسعة ـ عند الحوض باقيةٌ أم لا؟ فقلت: نعم، هي باقيةٌ كما كانت.

وتوفيت في قرية أوخين بنت الشيخ الأكبر قدس سره الكبرى، وكانت عند ابن أخيه الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ موسى، ولم يكن الشيخُ قدس سره حاضراً، ولَمَّا حضر، وزار القبرَ، وراقَبَ عليه مقداراً، ثم رفع رأسه، وقال: هنيئاً لك يا بنتي، ولم أكن أظنُّ منك هذا الفضلَ العظيمَ.

وكان الملا محيي الدين الكوديشكيّ رحمه الله يقرأ عنده قدس سره، وممرُّه في قرية طاب ـ قرية الرجل الصالح الملَّا عبد الله ـ، وكلَّما كان يزوره الملَّا محيي الدين في طريقه إلى الشيخ قدس سره يوصيه بإبلاغ السَّلام والاحترام منه إليه، ويقول: فلا يجعلني الشَّيخُ حمولةً على قلبه الكريم، والله لو وَسِعَني

نهايةُ ما أفعله من تسليم الناس وغيره إليه لفعلتُ، ولكنَّ الله عليمٌ بأنِّي عاجزٌ عن أدنى من ذلك، وممَّا يقول أهل القرية من[1] سوء المعاملات، ويقول الشيخ قدس سره: إنِّي أعلمُ أنَّه لا دخلَ له في تلك.

وسكن في قرية أوخين نحو أربع سنين تقريباً، ثم ذهب إلى قرية آبائه الورقانس زائراً قبورَ أجداده وأقاربه، فقال له رئيسُهم الشيخُ ياسين بن الشيخ حامد رحمه الله: أنت منا ونحن أمَسُّ الناس بك رَحماً[2]، فما دام الناسُ الغرباءُ ينتفعون منك[3]؛ فلننتفعْ نحن، ونجيء ببيتك إلينا، فتكلَّموا على ذلك، فقال الشيخُ قدس سره: لا نعلم، هل يرضى بذلك جدُّنا الشيخُ محمد صاحب المشهد ـ أي: القبَّة السوداء ـ أم لا؟ فقالوا: لا علمَ لنا بذلك، فها أنت وإياه.

وكان خليفته [٨٠] الملا أحمد القره كويي أبو شيخنا الشيخ محمود قَدَّس الله أَسْرَارَهُمْ[4] معه، فأمره الشيخُ قدس سرهما بأن يذهب إلى المرقد الشريف، ويستأذن منه: هل يرضى بذلك أم لا؟ وماذا يأمر؟ فذهب وراقب كثيراً، ثم رجع، وقال للشيخ قدس سره: أمَّا الشيخ محمد رضي الله عنه؛ فرضي، وعنده مراهقان لم يرضيا بذلك. فقال الشيخ محمد لهما: لماذا لا ترضيان؟ فقالا: إنَّه إن جاء؛ فلا يعرفنا من بعده أحدٌ.

---

(١) ومن، خ.

(٢) قرابة، خ.

(٣) في حاشية (أ): بك، خ، وهي المثبتة في متن (ب).

(٤) في (ب): قدِّس سرُّهم.

ثم زار الشيخُ قدس سره المرقد الشريف، وراقب عليه مراقبةً كثيرةً، ولم يُظهِر شيئاً.

وكان عادتُهم قدس سرهم إذا أرادوا إظهارَ شيءٍ؛ أمروا غيرهم بذلك كيلا يتضرَّروا به قدس سره، وأمَّا المأمورون بذلك؛ فلا ضَرَرَ لهم به؛ لأنَّه بأمر الأستاذ.

فلَّما رجع قدس سره من ورقانس قال لهم: إنِّي أذهبُ اليوم إلى الموضع الفلانيِّ، وغداً إلى الموضع الفلانيّ، وبعده إلى نورشين لزيارة مرقد الأستاذ الأعظم قدس سره، ومنها في اليوم الفلانيّ إلى قرية أوخين، فأْتُوا لإتيان البيت إلى قرية ورقانس المحروسة.

وقال ابنه الشيخ محمد علاء الدين قدس سرهما: قد كنَّا على غير أهبةٍ، ولا عِلْمَ لنا بشيءٍ، إذا[1] قد فوجئنا بصلصلة الأجراس من بطن الوادي تحت القرية، وقد جاءنا الورقانيسيُّون، وفي مقدمتهم زعيمهم الشيخ ياسين رحمه الله، والشيخ قدس سره لم يجئ من نورشين، ثمَّ في الغد جاء الشيخُ ومعه الحضرةُ قدس سرهما بجماعةٍ وكبكبةٍ عظيمةٍ، فنقلنا البيتَ إلى بلدة بِتليس.

وكان خليفةُ الأستاذ الأعظم الحاج الملَّا يوسف أفندي البتليسيّ قدس سرهما قد توفِّي فيها، فطلب أهلُ بتليس من أتباع الأستاذ قدس سره ملحِّين: ليبقَ الشيخُ عندنا في بتليس، فقال الشيخُ ياسين رحمه الله: أنا خادم أبِ مَنْ؟ حتى أتيتُ له

(١) في (ب): (إذاً).

ببيتِ الشَّيخ، وألبتَّة[1] أذهب به إلى قريتي موضع آبائه وأجداده، فخرج الحضرةُ من بين الجمع؛ لأنَّه كان لا يتكلَّمُ في حضور الشيخ الأكبر قدس سرهما.

وطلب الشيخ ياسين أن يجيء إلى حضرته[2]، فجاء، وقال له الحضرة قدس سره: إنَّك رجلٌ عالمٌ بالأمور، ورجلٌ مجرَّبٌ، ولكن أنت خاطئٌ في خصوص هذا، وكان إذ ذاك بلدة بتليس دار الولاية العظمى، وإسعرد[3] قضاء متعلقاً بها، فإذا بقي بيت الشَّيخ هنا يكون أهل الدَّولة من الأكابر كالوالي وأمراء العسكرية وسائر الحكام، [٨١] وجميع أهل البلدة محبِّين للشَّيْخ، وأنت تُعرَفُ إذا حقَّ المعرفة بواسطة الشيخ قدس سره، فبقاؤه هنا لأجل أمورك الدُّنيوية في غاية الحسن، وأمَّا لأجل آخرتك؛ فإن كنت لا تخرج من أمره؛ فسَكَنُه عندك يكون أحسن، ولكن لا أظنُّ أنَّك لا تخرج من أمره، فيكون عليك ضرراً، فتحاوَرَ الحضرةُ قدس سره والشيخُ ياسين حتى قبل رحمه الله، وبقي بيت الشيخ[4] قدس سره في بتليس.

ومن شرف الشَّيخ ياسين هذا وفضله ومهارته في الأمور العِظَام وحرمته لأهل الفضل والكمال: أنَّه كان بينه وبين الشَّيخ فخر الدين بن الشيخ محمد الحزين الفِرْسَافي قدس سرهما دعوى على أرضٍ، فآل الأمرُ إلى أن

(١) في (ب): (وألبتّة).

(٢) في (ب): (حضرة).

(٣) في (ب): (أسعرد).

(٤) في (ب): (الأستاذ).

أُحيلت إلى المحكمة الدَّوْليَّة، فأرسل الشَّيخُ ياسين إليه بأنَّ رجائي منه أن يوكِّل عن نفسه أحداً[1] حتى يجيء ذلك الأحد[2] معي إلى المحكمة، فإنَّ كلَّ مدعٍ يكذِّب خصمَه، ولا تطاوعني نفسي أن أكذِّبه مواجهةً في حضور الحاكم وأعوانه، فلمَّا سمع الشَّيخُ فخر الدين ذلك ـ وكان ابن أخت الشيخ الأكبر قدس سرهما ـ قال: ما دام خالي يلاحظني هكذا؛ فإنِّي أترك له ما ندَّعيه، وأفارق تلك الدَّعوى، وأُسِلِّمُ إليه تلك الأرضَ إعزازاً له.

ونقل الشيخُ ياسين هذا ﵀ أنَّ الشيخَ الأكبرَ قدس سره دعاني عنده، وقال: إنِّي أبشِّرُك ببشرى، وذلك وقتَ بناء الأستاذ الأعظم قدس سره الجسرَ، وكنت عندهم، فقلت: خيراً بشراك[3]، ما ذاك؟ قال: تحقَّق لي الآن أنَّا من ذريَّة السُّلطان الشيخ موسى الزُّوليّ قدس سره، فقلت: كنتُ عالماً. فقال قدس سره: الآن صار حقَّ اليقين، وأمَّا قبل هذا؛ فقد كان بالسَّمَاع، وذلك أنِّي كنت في عريشتي أُصلِّي سنَّة الضُّحى، فأتممتُ ودعوتُ، فإذا شخصٌ منوَّرٌ معظَّمٌ يُرى عليه آثارُ العَظَمة دخل العريشَ، وتقدَّم وجلس أمامي على السَّجادة، ولم أتكلَّمْ هيبةً منه وتعظيماً له، فقال: ألم[4] تعرفني؟ فقلت: لا، فقال: أنا أبوك وأستاذك وشيخك، فسكتُّ أيضاً، فقال: ألا تصدِّقُني؟ فقلت: إنَّ أبي فلانٌ،

---

(١) في حاشية (أ): واحداً، خ، وهي المثبتة في متن (ب).

(٢) في حاشية (أ): الواحد، خ، وهي المثبتة في متن (ب).

(٣) في حاشية (أ): بَشَّرَك، خ، وهي المثبتة في متن (ب) بضبط: بُشْرَك.

(٤) ألا خ.

ولست أنت هو، وقرأتُ عند أساتيذ كثيرين، ولستَ واحداً منهم، وشيخي فلانٌ، ولستَ أنت هو، فقال: أنا السلطانُ الشيخ موسى الزُّولي، وأنت من ذرِّيَّتي، فإذاً أنا أبوك، وحينما قُسِّمَ العلمُ في هذا الزَّمان كنتُ حاضرا هنالك، وموظَّفًا في ذلك، [٨٢] فأرسلتُ إليك وافرَ الأنصباء[1]، فإذاً أنا أستاذك، وحينما تستمدُّ من الأكابر فأنا أُمِدُّك قبل كلِّ المشايخ، فإذاً أنا شيخك، فإن لم تصدِّقني؛ فشاهدي الأستاذُ التَّاغيُّ قدس سره، فسمعت إذا صوتُ الأستاذ من الخارج، فخرج هو وخرجتُ معه، ورأيت الأستاذَ راكبًا على فرسٍ، وعنده فَرَسان مُسرجَان، فقال الأستاذُ قدس سره: خُذْ بزمام فرس أبيك وأستاذك وشيخك ليركب، فركب، وأمرني بالرُّكوب على الفرس الآخر، فركبتُ. ثمَّ قال الشَّيخُ الأكبرُ قدس سره: يا شيخ ياسين، ولا أقول لك: إلى أين ذهبنا.

وازداد حُرْمَةُ الشيخ الأكبر قدس سره عند النَّاس، وكثُرَ أتباعُه، وعظُم قدره عند العامَّة والخاصَّة، وبَعُدَ صيتُه حتى عُرِف في البلدان القاصية كالدَّانية، وصار بعضُ أتباعه في بتليس أهلَ الشَّوق والمحبَّة التَّامَّة والتَّسليم بالصِّدق، حتى كان له مريدٌ يعرف بصوفي، ولو تزوَّج ولم يدخل بزوجته، فدام أيامًا كذلك حتى اشتهر أنَّه عِنِّينٌ[2]، وسمع بذلك الشَّيخ قدس سره. وفي ليلةٍ أخذ الفانوسَ لإضاءة الطَّريق للشيخ قدس سره، فقال قدس سره له: هل هذا المقالُ صِدقٌ أم كذبٌ؟ فقال: بل

---

(١) في (ب): (الإنصِبَاء).

(٢) في (أ) و(ب): (عَنينٌ)، والصواب ما أثبتناه.

كذبٌ، فقال ﵋: لِمَ شاع كذلك؟ قال: لأنَّك لم تأمُرْني بذلك، فقال الشَّيخ: أيُّها الأحمق، إنَّ لك أمرَ الشَّريعة، فلا حاجةَ إلى أمرٍ آخر.

وكان الاجتماعُ عليه كثيراً دائماً، سيَّما في شهر رمضان، حيث كان أهلُ المحلَّة البعيدة يجتمعون عنده ﵋ وقت صلاة التَّراويح، ويشتغلون مع الشَّيخ ﵋ بأنواع العبادات والقراءات إلى قريبٍ من وقت السُّحور، وبعد صلاة الصُّبح ينام الشيخُ ﵋ في حجرةٍ متَّصلةٍ بالمسجد.

وجاء أخوه الشيخُ موسى ﵀ يوماً في رمضان إليه ﵋، ورأى ما يفعله الشَّيخُ مع الأتباع من الرِّياضات والمجاهدة في الطَّاعات، فقال: أرأيت أنَّ مَنْ لمْ يفعل هكذا لم يدخل الجنَّةَ؟ فقال الشيخ ﵋: بل دخولُ الجنَّة تحت أمر الله تعالى، وليس بالعبادات وإتعاب النَّفْس، فقال ﵀: فإذاً لِمَ تقتلون أنفسكم بهذه المجاهدات؟

وقال واحدٌ من خواصّ أتباعه اسمه الحاج رسول: كنت أنا أتكفَّلُ في شهر رمضان ببسط فراشه ورفعه حين قام [٨٣] من النَّوم، وإعانته في وضوئه، ونحو ذلك، فيوماً أتيته، فسمعت الصَّوتَ من حجرته، فدخلت، فإذا عنده رجلٌ مُعْوَجُّ الحنك، وهو يتضرّع إليه ﵋، ويقول الشيخُ ﵋ له: أنا لا أعرفك، وكان سببُ[1] ذلك العِوَجِ: أنَّ فقيراً كان يجمع من البيوت كسرات الخبز، وأخذ خبزين من باب بيت الشيخ ﵋، فعند بابٍ آخر أخذتْ زوجةُ

(١) في (ب): (بسبب).

صاحب الدَّار خُبزاً من خبز بيت الشيخ للتَّبرُّك، وأعطت الفقيرَ خبزين، فتصادف أن جاء بعلُها ورأى الخبزَ، فقال: ما هذا الخبز؟ فقالت: خبزُ بيت الشيخ ﵋، أخذته للتَّبرُّك، وقصَّت له القصَّةَ، فقال الرجل: أيُّ شيءٍ هو حتى يكون خبزه تبرُّكاً؟ فعُوِجَ فكُّه في تلك اللَّيلة. فعند غدِ ذلك اليوم أتى الشَّيخَ ﵋، واعتذر منه كلَّ الاعتذار، فقال [الشيخ][1] ﵋: لا عِلْمَ لي بشيءٍ، وإنَّما فعل بك هذا اللهُ تعالى لا غيره، فدعا له، فعُوفي من ذلك.

وأمثالُ هذه المقامات كثيرةٌ، وإن لم نُحِطْ بها خُبْراً، لكن نغرف من البحر غرفةً كيلا نحرمَ عنها بالكُلِّيَّة، مع أنَّ ما نغرفه أيضاً لا يمكننا كتبُ جميعه.

وطايَبَ يوماً مع الشَّيخ عبد القهار (قدس سرهما) ومازحه، بأن قال الشَّيخُ الأكبرُ له (قدس سرهما): إنَّك أخذتَ من الأستاذ الأعظم ﵋ نفعاً مبيناً، حيث كان آباؤك وأجدادُك مُعَنْوَنِينَ ومُشْتَهِرِينَ باسم الملَّا، كالملَّا خليل، والملَّا مصطفى، والملَّا محمود، والملا فلان وفلان، ﵃. وأمَّا أنت؛ فاشتهرت باسم الشَّيخ، وأما أنا؛ فكواحدٍ من الورقانسيِّين، كنتُ أوَّلاً مشتهِراً بالشَّيخ فتح الله، والآن كذلك بلا زيادةِ شيءٍ عليه. فقال الشَّيخ عبد القهَّار ﵋: بل إنَّك لستَ كذلك؛ لأنَّ مشيختك الآن ليست كالأولى، إذ هي كضمَّة فُلْكٍ: للإفراد مرَّة كضمَّة قُفْلٍ، وللجمع أخرى كضمَّة أُسْدٍ.

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

وكان الشَّيخُ الأكبرُ قدس سره يسكن في بعض الأوقات في الصَّيف في قرية برناشين مع زوجتيه الكريمتين، وفي بعض أوقات الصَّيف يسكن مع إحداهما في برنّاشين والأخرى في قرية كُوغاك، وفي الشِّتاء تجمعهم بلدة[1] بتليس.

وروى المُلَّا محيي الدِّين الكَوْديشكيّ رحمه الله: أنَّه كان عند الشَّيخ قدس سره فقيهًا، ويقرأ درسه تحت ظلِّ شجرة البان المعهودة [٨٤] بسبيندارامَزِن، فجاء رجلٌ لزيارة الشَّيخ قدس سره، وكان من المُوطكيين وفي قفاه شَبْطُه - أي: قَيْلونُه وطَبَرُه -، فانحنى إلى يد الشَّيخ لتقبيلها، وما بقي إلَّا قليلاً أن يقع طبَرُه على رأس الشَّيخ، وسأله الشَّيخ قدس سره: من أين الرجلُ؟ فأجاب: بأني من مالاوَلُو العشيرة المشهورة من عشائر مُوطكي، فأمره الشَّيخُ بالجلوس، فجلس مادّاً رجليه عند الشَّيخ، وسأله عن الحوادث التي في مملكته، فأجاب: بأنَّ عشيرة مالا محمود هجموا على مواشي عشيرة وَلُو، فتواجهوا بالأسلحة، وقُتل من طرفٍ ثلاثةُ رجالٍ، ومن الطَّرف الآخر رجلان، ونهبوا بعض المواشي، واستُخلص بعضها. فتضجَّر لذلك الشَّيخُ قدس سره، وقال: رضي الله عن سلطاننا، فإنَّه اشتغل بالذَّوق والصَّفا، وترك الرَّعية يظلم بعضهم بعضًا غايةَ الظُّلم والجفوة، ويأكل بعضهم بعضًا. ثمَّ قال: إنِّي أدعو دعاءً، فأمِّنوا عليه، فقال: إنَّا نرضى من سلاطيننا، فإنَّهم عُدُول نِسبة، ونرجو من الله تعالى أن لا يدخلنا تحت أمر ذوي البرانسة المسمَّاة بالشَّوْقَة.

---

(١) في (ب): (في بلدة).

ولم يعلم أحدٌ ما تلك البرانسة، فلمَّا كبس[1] الكافرُ الروسُ - لعنة الله عليه - على هذه المملكة، ورأينا برانسهم، قلنا: إنَّ الشَّيخ قدس سره إنَّما تكلَّم عن هذه، فحيننا أُمِرنا بلبس الشَّوقة من طرف الحكومة التُّركية؛ علمنا أنَّ الشَّيخ قدس سره ما أخبرنا إلَّا عن هذا.

وبعد أن رَأَتْ حَرَمُه بنت الأستاذ قدس سرهما من الشُّبَّاك هذه الحركات الوحشيَّة إلى المنافسة لحضور الأكابر من ذلك الرَّجل، قالت رضي الله عنها للشَّيخ الأكبر قدس سره: لمَ بقيتَ بين هؤلاء الوحشيين وكلُّ واحدٍ من خلفاء الأستاذ الأعظم قدس سره سكنوا مكانًا هنيئًا برجالٍ أحاسن أخلاقًا؟ فأجابها قدس سره: بأنِّي اخترتُ هؤلاء الجهَّال الدِّينيَّ والدُّنيويَّ لأمرين:

أحدهما: إنَّ الغرضَ[2] الهدايةُ، وهؤلاء أَحْوَجُ إليها؛ لغباوتهم وجهلهم، فهدايتهم أنفع لأخرانا.

والآخر: إنِّي شريكٌ في الثَّواب لبيتين عظيمين في المملكة، ويكفيني ذلك إن تقبَّله الله مني عن جميع الأشياء، فلا أبتعدُ عنها ما حَيِيتُ.

وسببُ ذلك: أنَّ المرشدَ في بيت الغوث الأعظم إذ ذاك السَّيد حسن قدس سرهما، وفي بيت الأستاذ الأعظم حضرة الشيخ محمَّد [٨٥] ضياء الدِّين قدس سرهما، وكلاهما خليفتان للشَّيخ الأكبر قدس سره.

---

(١) في (ب): (كَبَس).

(٢) في (ب): (الفرض).

وقد تكلَّم الشَّيخُ الأكبرُ (قدس سره) في صحبته[1] العامَّة على الشَّوقة في قرية بيرطوك أيضـًا في بيت فقي رستم البيرطوكي، ودعا هنالك أيضـًا: بيا ربِّ لا تبقنا إلى زمان الشَّوقة.

وقال ابنه الأجلُّ العالمُ الأكملُ، والشيخُ الكاملُ الأفضلُ، مولانا الشيخُ محمد علاء الدِّين (قدس سره): تكلَّمتُ يومـًا بحضور أبي شيخ الشَّريعة وبرهان الحقيقة ونور الطَّريقة كما يتكلَّمُ النَّاسُ، وقلت: يرضى الله عن سلطاننا السُّلطان عبد الحميد حيث اشتغل بصفاه، ومعاشرة أهل الصَّفا، وتركَ الرَّعيَّة تحت الجفا، بحيث يأكل بعضهم بعضـًا كالذِّئاب، فهتف[2] عليَّ الشَّيخ (قدس سره)، وقال: يا بنيَّ، وأنت تقول هكذا؟ وإنَّ رَوْحَكم وراحتكم إنَّما تكون في زمانه، ولا أراكم تستريحون من بعده.

وحقـًّا وصِدْقـًا وقع كما قال، وكلَّما يذهب يومٌ نندرس تحت همٍّ ولومٍ.

ولو استفسر ممَّن رأى الحربَ العموميَّةَ الكبرى لاندهش من تفاصيلها، وبعد تلك الحرب كانت الفتنةُ أكثرَ؛ لبأس الحكومة عليهم.

وكان اهتمامه (قدس سره) بأمر الشَّريعة الغرَّاء أكثرَ من كلِّ شيءٍ، ولم يُرَ منه إهمالٌ فيها، ولو في تافه الأمور، حتَّى إنَّه (قدس سره) قال يومـًا: أَسْرِجوا الأفراسَ

(١) في (ب): (محبته).

(٢) في حاشية (أ): فصاح، وهي المثبتة في متن (ب).

لنذهب إلى الموضع الفلانيِّ لمهمَّةٍ، فأحضروا، ودخل هو (قدس سره) البيتَ، وأبطأ، فأخبروه بأن ضاق الوقتُ، فقال: فليصبروا نصفَ ساعةٍ، فصبروا، وهكذا إلى ثلاث مراتٍ. ثمَّ جاء (قدس سره)، وركبوا، فسأل عنه بعض الرِّفقة: ما السَّببُ في ذلك؟ قال: لأنِّي سكنتُ في بيت إحدى الزَّوجتين أمسِ ساعتين، وكنت نسيتُ ذلك، فلمَّا دخلتُ البيتَ تذكَّرتُ ذلك، فاستوفيتهما، وسببُ التَّوزعة إلى ثلاث مرات أن لا تسأموا أنتم.

ونظيرُ ذلك الاهتمام بأمر الشَّريعة: أنَّ عجائزَ قرية كوغاك طلبن من زوجته الكريمة بنت الأستاذ الأعظم (قدس سره) أن يأذنَ الشَّيخُ لهنَّ لينظرن إليه من خلفه تبرُّكـًا برؤيته (قدس سره)، فاستأذنت (رضي الله عنها)، فلم يأذن لهنَّ، وقال: لأنَّ ذلك مخالفٌ للشَّريعة الغرَّاء.

ومن ذلك الاهتمام بأمر الشَّريعة [٨٦] الغرَّاء: أنَّه كان يلحس قصعةَ أكله ولو كان في بيت الغير، فحاورَتْه (قدس سره) في ذلك مرَّةً بنتُ الأستاذ (قدس سره) بأنَّك تعاب على ذلك، فأجابها بأنِّي لا أترك أمرَ الشَّريعة وفاقـًا لطبائع النَّاس، وكان هذا دأبه[1] (قدس سره) لنفسه ولغيره.

ومن اهتمامه (قدس سره) بأمر الشَّريعة أيضـًا: أنَّه (قدس سره) كان يومـًا في الصَّلاة، فأراد الأستاذُ الأعظمُ (قدس سره) المرورَ بين يديه غيرَ عالمٍ أنَّه في الصَّلاة، فدفعه الشيخُ (قدس سره) بشدةٍ، بحيث لم[2] يبقَ كثيرٌ أن يسقط الأستاذ (قدس سره) على الأرض،

(١) في (ب): (رأيه).

(٢) في (ب): (لا).

فقال الأستاذُ قدس سره: سبحان الله، قد تمكَّنَ فيه أمرُ الشريعة، بحيث لا يبالي فيه بشيءٍ؛ ولذلك الاهتمام وما جرى لشيخه الأستاذ الأعظم قدس سره ما مرَّ آنفا من الدَّفع بشدَّةٍ وإزعاجٍ يسمّى بشيخ الشَّريعة وشهباز الطَّريقة، ويُقرَأ هذا الوصفُ له حتى في سلسلة الختمة والتَّوجُّه.

وقال الشيخُ الأكبرُ قدس سره: لو ائتمر شخصٌ بما ألقِّنُه مقدارَ أربعين يومـًا؛ لحصل له ما يحصل لأهل التَّصوُّف بالمجاهدات الشاقَّة بإذن الله تعالى.

وروى الملا أحمد الأُوجُومِي المفتي بقضاء موطكي تلميذ الشيخ الأكبر قدس سره: أنَّ الشيخَ قدس سره قَصَدَ من قرية برناشين إلى نورشين زائراً مرقدَ شيخه الأستاذ الأعظم قدس سره، فلما بلغ نهر قرية سريت؛ ترجَّل لتجديد الوضوء، وترجَّل سائرُ الرفقة أيضـًا، إذ رأى راكبـًا بغلةً جاء إليهم، فأوَّلاً صادفَ الشيخَ قدس سره، فسأله الشيخُ قدس سره: من أين؟ قال: من كَواش، أريد الشيخَ فتحَ الله، فعلم الشيخُ أنَّه جاء لمسألةٍ شرعيةٍ، فسأله: هل معك مكتوبٌ من علماء مملكتك؟ فقال: نعم، معي مكتوبٌ من حضرة الشيخ فهيم قدس سره، فقال الشيخُ قدس سره: هات مكتوبَهُ، فقال الرجلُ: قد أَرَيْتُه[1] مائةً مثلك، ولم يفيدوني شيئـًا، ولا أريد إلَّا الشيخَ فتح الله بالذات، فقال الشيخُ قدس سره: ولا يضرُّك أن ترينيه، فلأكن واحداً على المائة، فأراه، فإذا فيه لفظُ طلاقٍ، فأمعن الشيخُ قدس سره النَّظَرَ فيه، وبشَّره بأنَّ لمقالك لفتوى، ولفّ بطاقته، وأعطاه، وأمره بأن

(١) في (ب): (رأيته).

يذهب إلى الرِّفقة حتى يتوضَّأ ويلحقهم، فذهب إليهم وسألهم: من هو؟ قالوا: إنَّه هو الشيخ فتح الله الشيخ الأكبر قدس سره، فلما جاء الشيخُ؛ قبَّل الرجلُ يديه، [٨٧] وتضرَّع لديه، بأنّي أسأتُ الأدبَ في مكالمتي معك بلا مبالاةٍ، فتعطَّفَ الشيخُ عليه وقال: لا بأس، والآن نذهب إلى نورشين، وجِئ معنا، وهنالك الكتبُ موجودةٌ نفتِّشُها، ونكتب منها الفتوى لك إن شاء الله تعالى.

وقال الملا أحمد المذكور: فحينما وصلنا إلى نورشين؛ فتَّش الشيخُ الكتبَ، وأملى عليَّ، فكتبتُ مكتوبـًا طويلاً ذا نحو عشر أوراقٍ كبيرةٍ فيها حلُّ فتواه، فأعطاه، وقال: لا تقربْ أهلَكَ إلا بعد أن أريته[1] حضرة الشيخ فهيم، فإذا أريتَهُ، فإن قَبِلَ؛ فذاك، وإلا؛ فائتني ببطاقةٍ مرَّةً أخرى من الشيخ فهيم، فقال الرجلُ: سألتُ أوَّلاً عن الشيخ فهيم في إعطاء فتوى لي، فأجابني بأنْ لا فتوى لك عندي، فقال الشيخ الأكبر قدس سره: فليكن.

وسمعنا من بعض أحفاده [وهو الشيخ محمد قاسم المفتي ببلدة وَان المتقاعد الآن][2] أنَّه كان لا يفتي في الطَّلاق، وقال الرجلُ بعد أن أجابه الشيخ فهيم بما ذُكِرَ من عدم الفتوى: أتأذن لي أن أسألَ العلماءَ، فإنَّ لي أولاداً صغاراً أخاف ضياعهم لو لم يُفْتَ لي بشيءٍ، فقال: نعم، آذن لك، ولكن أكتب لك كلَّ ما فُهْتَ به من ألفاظ التَّطليق، فلا يكون فيه غلطٌ، فإذا

(١) في (ب): (أرأيته).

(٢) ما بين معكوفتين من متن (ب)، وهي في حاشية (أ).

أفتى لك عالمٌ؛ فأرني فتواه، فإن قبلنا؛ فذاك، وإلا؛ فنعلمك بمضمون المكتوب منهم، فبعد أن سلّمه الشيخُ الأكبرُ ﵁ بطاقةَ فتواه؛ أخرج الرجل هِمْيَانَ نقودِهِ، ووضعه قبالة الشيخ ﵁، وقال له: خُذْ ما شئتَ منه حقّ الفتوى، فقال الشيخُ ﵁: لم نَبِعْ ولا نبيع علمَنا بالنُّقود، بل هو مباحٌ لكل المسلمين، فألحَّ كثيراً، فقال الشيخ: لا تُلِحَّ أصلاً، ولكن دقيق بيت الأستاذ في رحى أوغرماك، وهي [قريةٌ][1] قريبة من نورشين، ومعك بغلتك، فائتِ عليها بحملٍ[2] إلى بيت الأستاذ ﵁، فلما أرى الفتوى الشيخ فهيماً ﵁ - وهو حقّاً علامةُ زمانه -، فدعا ابناً له مسمى بالملا محمد أمين ﵀، وهو أيضاً كان عالماً ماهراً، وأراه الفتوى، وقال له: انظر إليها، وهذه الكتبُ المستخرجُ منها هذه الفتوى موجودةٌ عندنا، وتعلَّمْ آدابَ الإفتاء مما أبداه هذا العالمُ النِّحريرُ[3] جزاه الله خيراً، وقال للرجل: فاذهب بزوجتك، فإنّها لم تطلقْ.

** ** **

(١) ما بين معكوفتين من (ب).

(٢) في (ب): (بحميل)، والصواب ما أثبتناه من (أ).

(٣) في حاشية (أ): (الكبير).

[مبحث نقل الحضرة مهارة الشّيخ الأكبر في الشّريعة سيّما في ابن حجر قدس سرهما][1]

وروى شيخنا الشيخُ الأجلُّ الشيخ محمد علاء الدين عن شيخه حضرة الشيخ محمد ضياء الدين قدس سره الآتي [٨٨] ذكرهما[2] إن شاء الله تعالى أنَّه قال: كنا يوماً جلوساً في ديوان أولاد الأستاذ الأعظم ﵁، وكان غاصّاً بالعلماء الكرام، والشيخُ الأكبرُ ﵁ في صدر الديوان، والعلماءُ كلٌّ في رتبته اللائقة به، فتناجوا عن العلماء ومهارتهم، وجاء الكلامُ على مهارة الشيخ الأكبر ﵁ في العلوم، سِيَّمَا في ابن حجرٍ بخصوصه، فوصل التَّناجي إلى سمعه المبارك، فقال: ماذا تتكلّمون[3] فيه؟ فقالوا: كذا وكذا، قال: نعم، إنَّ لي تفتيشاً زائداً في ابن حجر، وكان هناك كتابٌ، فقال [﵁][4] للحضرة قدس سره: أليس[5] هذا ابن حجر؟ قال[6]: بلى، قال: فخذ جلداً منه، فأخذ[7] جلداً

(١) ما بين معكوفتين من حاشية (ب).

(٢) في حاشية (أ): (ذكره).

(٣) في (ب): (تكلّمون).

(٤) ما بين معكوفتين من متن (ب).

(٥) في حاشية (أ): فقال ﵁ لي: أليس، نسخة.

(٦) قلت، نسخة.

(٧) فأخذت، خ.

منه، وفتحه[1]، فإذا هو في بحث الجراح، فسأل الشيخ قدس سره: في أيِّ مبحثٍ كان؟ فقال[2] الحضرة: في الفصل الفلانيّ، فقال الشيخ قدس سره: يبحث فيه أوّلاً[3] عن المسألة الفلانيَّة، وثانياً وثالثاً ورابعاً، بل وزائداً عن كذا وكذا، وهكذا، فلما فتَّشناه رأينا الأمرَ كما قال قدس سره بلا مخالفةٍ، فقال شيخنا الشيخ محمد علاء الدين قدس سره: الحمد لله على ما سمعنا[4] هذه الغريبة من الحضرة قدس سره، وإلا؛ فلا يُتصوَّرُ منا التَّصديقُ بالكليَّة.

وروت حرمُ الشيخ الأكبر بنت الأستاذ الأعظم قدس سرهما: أن جاء حضرة قدس سره إلى بتليس يوماً، فتكلَّم هو والشيخ الأكبر قدس سرهما مساءً إلى مضيّ بعض الليل، ثم راح الشيخُ قدس سره إلى البيت لينام، فأرسل الحضرة إلى الشيخ قدس سرهما بأنَّ لي حاجةً بالشَّيخ، فأمر الشيخُ قدس سره بحضوره في بيته، وقال: ليس هنا سوى[5] أخته، فذهب[6] ودخل البيت عنده قدس سرهما، فتحاورا، وكان أوَّل سؤال الحضرة قدس سره أنَّه قال: ضاق علي الأماكن بسعتها، بحيث لا أجدُ مكاناً خالياً من كتابة لا إله إلا الله حتى أضع فيه قدمي، فعلمه الشّيخ قدس سرهما ما يدفع عنه

(١) فتحته، خ.

(٢) فقلت، نسخة.

(٣) في (ب): (أولاً فيه).

(٤) أن سمعنا، خ.

(٥) غير، نسخة.

(٦) فجاء، نسخة.

تلك الحالات حتى يقدر على وضع القدم والمشي، وطال بينهما المكالمةُ والمحاورةُ إلى وقت التَّهجُّد.

وقالت رضي الله عنها: كنت عاجزةً عن السُّكون في تلك السَّاعات[1]، وتمدَّدْتُ خلف الموقدة، وشربتُ الدُّخان على عادتي كي أدفع بذلك شدة[2] النوم، ويسهل عليَّ السَّهرُ، فلما آذن الشيخُ للحضرة قدس سرهما للذَّهاب إلى الدِّيوان؛ أقبل عليّ الشيخُ يلومني، وقال: تمددتِ وشربتِ الدُّخان! وذلك خلافُ احترام أولاد الأستاذ، فقالت[3]: لم يَبْقَ لي طاقةٌ على ذلك السَّهر وعدم التَّحرُّك، فقال الشيخ قدس سره: لو كان ابنُ الأستاذ جالساً في مجلسٍ من [٨٩] مجالس النَّصارى؛ لعلموا أنَّ له شأناً، واحترموه.

وكان تعبيرُ الشيخ عن الحضرة قدس سرهما دائما بكري سيدا - أي: ابن الأستاذ - بجعل[4] إضافة العهد كاللقب للحضرة فحسب قدس سره، وكان جسرُ حضرة الأستاذ الأعظم قدس سره على الفرات احتاج إلى تعميرٍ عظيمٍ، فذهب الشيخُ الأكبرُ للتَّعمير، فصنعوا له عريشاً عند الجسر يجلس فيه حين[5] التَّعمير ليلاً ونهاراً، ولا يبقى في الليل عنده غير الملا سليمان بن مورو، وهو

(١) قوله: (في تلك الساعات) سقط في (ب).

(٢) غلبة، خ.

(٣) قلت، خ.

(٤) في (ب): (يجعل).

(٥) بعد، نسخة.

تلميذه قدس سره، وسائرُ الرّفقة يذهبون إلى القرى القريبة. فبعد أن أتمُّوا التَّعميرَ، وبقي منه قليلٌ، قال لهم الشيخُ قدس سره: فائتوا غداً عند الصَّباح لنتمَّه ونذهب.

ونام الشيخ قدس سره والملا سليمان على عادتهما في العريش، فاستشعر الشيخُ قرب الصُّبح ببردٍ شديدٍ، فقال للملا سليمان: قم، فأوقد النارَ، فإنَّ البردَ اشتدَّ الليلة، فقام الملا سليمان، ورفع السترَ عن الباب؛ إذ رأى الثلجَ سقط على وجه الأرض، فأخذ الملا بظرافته وفكاهيّة كلامه مخاطباً للشيخ قدس سره[١]: بأنَّك خرَّبتَ مالي، وأفسدتَ جوفي، فإنَّ البردَ أفسد أحشائي وأموت، فقال الشيخُ قدس سره: لا بأس، فإنَّ الجسرَ يتمُّ اليوم، ونروح في سبيلنا، ففي ذلك الغد أتمُّوا التعميرَ، ورجع الشيخُ قدس سره مع رفقته[٢] إلى قرية كوغاك، فقال الشيخُ في الطريق للملا سليمان: ألم تعلم أنَّ كلَّ حجرٍ عند الجسر يجتمع الجنُّ عنده كثيراً؟ فقال الملا على عادته في ظرافته[٣] مع الكبراء وممازحته تفكُّهاً لهم: ألم تكن تخاف الله حين توقظني[٤] بالليل، وترسلني إلى النهر لإتيان الماء للوضوء، ولم تلاحظ أنَّ جنيّاً يأخذني ويلقيني في النَّهر، قال الشيخ قدس سره: لقد علمتُ أنَّهم لا يتعرَّضون لك بشيءٍ، ولكن إن قلتُ ذلك لك لَمَا جِئْتَ بالماء.

(١) في (ب): (سرهما).

(٢) في (ب): (رفيقه).

(٣) في (ب): (ظرافيّة).

(٤) في (ب): (توقظوني).

ونقلنا لكم ما جرى بين الشيخ والملا سليمان من أمر الجانّ؛ لأنَّه صرح به الشيخ قدس سره.

وأما أمرُه قدس سره مع الجانّ وهدايته لهم[١] وإقرائهم؛ فقد كان عجيباً غريباً مشهوراً، لم يُسمعْ من طرف غيره قدس سره، حتى قيل: كان له خليفتان من الجانّ، ولا بِدْعَ، بل ذلك قليلٌ من مثله، ولا نطيقُ استقصاءه، بل لا نحيطُ به، فليقبل الناظرون إلى هذا القليل منا عدم التَّفصيل والتَّطويل.

وكان جَرَاكيسة مملكتنا من أتباعه قدس سره لعلمهم أنَّه من [٩٠] أكابر علماء زمانه في أرضه وغيرها، وكان منهم رجلٌ يسمى بأحمد بك بُورصُور ـ أي: أحمر شعر الرأس ـ، كان[٢] محبّاً صادقاً له، وأتى بأكثر أهله وقومه إلى الشيخ الأكبر قدس سره، وأدخلهم في طريقه، وكثيراً يعرضُ له الحالُ، فيجيء إلى بيته قدس سره في كوغاك وسط الليل في شدَّة الشِّتاء، ويدقُّ البابَ، فيُسأَل مِن داخل الدار: مَن هو؟ فيقول: أحمد، فيفتح الشيخ قدس سره له البابَ، ويجيبه حسب سؤاله، ثم يرجع إلى بيته في قرية كوبُو.

ووقع في زمان الشَّيخ الأكبر قدس سره مقاتلةٌ بين قبيلتين من عشيرة حَسَنَان، فقتل فيها أوَّلاً رجلٌ[٣] من طرف عَكِيت، ثم قتل رجلٌ من طرف[٤] عَكِيت

(١) إياهم، نسخة.

(٢) قوله: (كان) سقط في (ب).

(٣) قوله: (رجل) سقط في (ب).

(٤) قبيلة، خ.

أخاً لرضا آغا ابن خالد اسمه محمد صديق، فثارت بينهم الفتنةُ، فذهب الشيخُ قدس سره إلى بيت رضا آغا ابن خالد لإخماد نار الفتنة، وإيقاع الصُّلح بين الفئتين، فتكلَّمَ الشيخُ قدس سره مع رضا آغا في تلك المسألة، فأجابه رضا بأنَّهم قتلوا أخي ولد أبي محمد صديق، فكيف أصطلح معهم بدون أخذ ثأره؟ وكيف أرفع رأسي إذاً عند الناس؟ فقال له الشيخُ قدس سره: إنَّك قتلتَ أوّلاً منهم رجلاً، ثم قتلوا أخاك، فكنتم متماثلين. فكرّر القولَ، وقال: والله إن لم آخذْ بالثَّأر لا يمكنني القرارُ، ولو تجاه زوجتي في وسط الدّار، فكيف أتحمَّلُ هذا العارَ يا شيخي المختار؟ فعلم الشيخُ قدس سره أن[1] لا يتأثَّر رضا آغا بشيء من نصائحه الحسنة، فترك الكلامَ في هذا المبنى، وأشار إلى وضع الفراش للنوم، فذهب رضا إلى عطنه، وقال الشيخُ قدس سره للرِّفقة: فحينما طلع الشمس غداً أحضروا الأفراسَ لنذهب بسرعةٍ، فلما أصبحوا وهيَّؤوا الخيول للركوب جاء رضا آغا، وقال: كيف تذهبون بدون طعام الصباح؟ فقال الشيخ قدس سره: نحن لا نتعوّق أصلاً ونذهب، فذهب رضا آغا إلى جمعٍ كثيرٍ من الأيتام والشّيوخ العجزة وأصحاب العاهات الذين كان رضا آغا يربِّيهم لرضاء الله تعالى، وقال: والله لم يَبْقَ لي غيركم من فاتحٍ للباب، فأرسلَهُم، وأنزَلَهم وادياً تحت القرية، فطلب فرسه مسرجاً، فأتوه به، وتبع الشيخَ قدس سره إلى أن أتوا مكان ذوي العاهات في الوادي، فقاموا، وقصدوا الشيخَ قدس سره، وقبَّلوا يده، فقال قدس سره: من أنتم؟ قالوا: نحن الذون لا كافل لنا غير رضا آغا،

(١) أي: الشأن.

ويربِّينا، والله لولا هو لا يطعمنا [٩١] أحدٌ شيئاً، فنحن جئنا راجين من جنابك أن لا تغضبَ عليه، فإنَّ فَوْتَه يكون سبباً لفوتنا جميعاً. فبعد أن قالوا ذلك ابتشّ الشيخ قدس سره لتلك الفعال، ورؤي البِشْرُ والطلاقةُ في وجهه، وقال لهم: أحقٌّ أنَّه يربِّيكم؟ فقالوا: إي والله، فلما رأى رضا البشرَ والطلاقةَ في وجه الشيخ قدس سره نزل عن فرسه، وأخذ بركاب الشيخ قدس سره، وقال: إنَّ ثأرَ محمد صديق بقي إلى يوم القيامة، ولا أتبعُ لذلك شرفاً للشَّيخ قدس سره إلا أن يهجموا عليَّ في قريتي. فبناءً عليه أرجعَ الشيخَ قدس سره إلى بيته في قرية فاسِمى[1].

ثم قام قدس سره منها إلى قرية عَكِيت آغا لإتمام الصُّلح من طرفه أيضاً، فلم يقبل هو الصُّلحَ، وأصرَّ على خصومته، فقال له الشيخ قدس سره: لا تُفْسِد الصُّلحَ من طرفك، فإنَّ الوخيمةَ تقع أوّلاً عليك، وتُقتَلُ أنت أوّلاً، فلم ينجح لديه.

ويروى أن بعد رجوع الشَّيخ قدس سره من بيته، ولم يبتعدْ من تلك الحوالي؛ سُمِعَ صوتُ السِّلاح، فقال قدس سره: ماذا [هذا][2] اللَّغطُ[3] وصوتُ السِّلاح؟ فقال الشيخُ عبد الله المَماني و-كان رفيقاً للشيخ في تلك الجولة مخاطباً له قدس سره -: وقد فعلت شيئاً ولا نعلم ما هو، ثم سُمِعَ أن عَكِيت آغا قتل، ولم تصحّ لنا كيفيَّةُ قتله، وعلى يد من كان ذلك.

وذهب الشيخُ قدس سره يوماً إلى قرية دِكْنُوك مسكن فتح الله بك بن خالد

(١) في (ب): (قاسِمى).
(٢) ما بين معقوفتين من (ب).
(٣) هذه الجلبة، خ.

الحسني(١)، وكان له إمام اسمه الملا علي والله أعلم، وكان قد أفتى ذلك الملا في مسألةٍ، وكان الفتوى غلطاً، فهدَّده الشيخُ قدس سره، وسأل: من أيِّ كتابٍ استخرجتَ هذه الفتوى؟ فقال: من الكتاب الفلانيّ، فقال قدس سره: فهات الكتاب، فلما أراه الكتاب وبيَّن المستخرج، فرآه قدس سره أن لا تفيد تلك العبارةُ تلك الفتوى، وقال قدس سره: كيف تخرج هذه الفتوى من هذه العبارة؟ فلطمه الشيخُ قدس سره لطمةً قويةً بحيث سقطت عمامتُه، وقال: مذ كنتُ أنا والشيخ محمد أمين النُّوَيني البدليسيّ حاضراً؛ فلا مجالَ لأحدٍ الفتوى لمثل هذه المسألة. ثم أقبل الشيخُ قدس سره على فتح الله بك(٢) وقال: لو فعل إمامُك مثلَ هذا مرَّةً أخرى؛ لا تخلص أنت من يدي، فقال: لا يفعل بعد هذا شيئاً مثله.

وكان نادر آغا الملا خِدْرَاني الجبرانيّ محبوساً من طرف الحكومة في بتليس لمظلمته وإيذائه للناس ظلماً، فأرسل إلى الشيخ الأكبر قدس سره أن يشفعَ فيه عند الحُكَّام ليُخَلُّوا سبيله، فلم يعبأْ قدس سره [٩٢] بذلك، حتى تكرَّر منه ذلك، فأرسل الشيخُ قدس سره خليفته الملا أحمد القَرَه كُوي أبا الشيخ محمود قدس سره إلى الحبس ليَنظُرَ حاله، وهل يرى منه صلاحَهُ وتوبتَهُ؟ فحينما رآه نادر آغا فرح بذلك كثيراً، وخضع له خضوعاً تامّاً، وأراه أنَّه يتوب توبةً نصوحاً إن خلَّصه الشيخُ قدس سره من الحبس، حتى إنَّه تاب عند الخليفة أوَّلاً، فحكى الخليفةُ جميعَ ذلك للشَّيخ قدس سرهما، فبناءً عليه رأى الشيخُ قدس سره أمراءَ الدَّولة، وشفع له عندهم،

(١) أخي رضا.
(٢) آغا، خ.

فأجابوا بقبول ما اقترح منهم الشَّيخُ قدس سره، فأخرجوه من الحبس، فجاء إلى الشيخ قدس سره، وتاب عنده ثانياً، وأكَّد الشيخُ عليه أن لا يؤذي أحداً(١)، ولا يظلمَ، ولا يسيءَ في أيِّ شيءٍ منذ ذاك، وقبل منه قدس سره ذلك.

فرجع من عنده قاصداً قرية الملا خِدْرَان(٢)، وكان فيها بيته وابنه سعيد رحمه الله المستشهد في محاربة الروس، وبلغ وادي كَلَارَش، فوصله هنالك أتباعُه لسماعهم ببراءته ومجيئه، وجاء من بعدهم ـ اتفاقاً ـ الشيخُ عبد الرحيم بن أخي الشيخ الأكبر قدس سره، فسأل الآغا منه: من أين تجيء؟ فأجابه بأنِّي أجيء من طرفكم، وقد ذهبت إلى بيتك، وكلُّهم بحمد الله سالمون. فقال: إن الوقتَ وقتُ حصاد الأعشاب، هل يعاونون لسعيد في ذلك أم لا؟ فأجابه الشيخُ عبد الرحيم بأنَّ بعضهم يعاونون، وبعضهم لا، فقال: إنَّ سعيداً صغيرٌ، وإني غائبٌ، فالآن حضرتُ على(٣) أرواحهم، وأريهم آباءهم، فبعد بلوغ الشيخ عبد الرحيم عرضَ الخدمة حكى ذلك للشَّيخ قدس سره، فتضجَّر قدس سره وتحيَّر(٤) وتعجَّب، وتفكَّر سويعةً، فقال: والله إنِّي لم أفعل مثلَ هذا الخطأ في عمري، ولكن ظهر لي معنى الآية الكريمة، وصار لي عينَ اليقين، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾(٥)، وإن أنزل اللهُ تعالى هذه في

(١) في حاشية (أ): أحداً، خ. وفي (ب): لا يؤذي ولا يظلم أحداً.
(٢) في (ب): (خِدِرَان).
(٣) في (ب): (على على).
(٤) في حاشية (أ): تحير، خ. وفي (ب): (وتعجب وتحير).
(٥) سورة الأنعام: ٦/ ٢٨.

حقِّ أهل جهنَّم في الآخرة، وهذا نظيرُها في الدُّنيا، وحبسُ الله تعالى في العقبى هو الجحيمُ، وفي الدُّنيا دار الجزاء القانونيِّ، وهذا خرج من جهنَّم الدَّنيا، ولم يعتبرْ من ذلك، وعاد إلى ما كان يفعل.

وقد كان من شيمة الشَّيخ الأكبر ﵁: أنَّه كان يرحم المسلمين كثيراً، حتى روي أنَّ العسكرَ ضغط على الموطكيين نتيجةَ عصيانهم للحكومة، وقَتل العسكرُ منهم كثيراً، والموطكيون أيضاً قتلوا منهم كثيراً، وقتلوا رئيس العسكر آل باي(1)، فأرسل الشيخُ إلى الشيخ محمد سامي الأَرْزِنْجَانيّ خليفة الأستاذ الأعظم قَدَّس الله أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّة، وإذا كان المشير الدوليُّ [93] هنالك، وهو بمنزلة السلطان، وكان مريداً للشيخ محمد سامي ﵁، فالتمس منه الشيخُ الأكبرُ ﵄ في مكتوبه أن يتكلَّمَ مع المشير في حقِّهم - أي: الموطكيين -، ففعل، ونجح في المرام، وأمر برفع العسكر من عليهم، وإراحتهم من تلك الكادحة، وهذا شفقةٌ أيُّ شفقةٍ على المسلمين، جزاه الله خيراً، ولا أراه(2) ضيراً.

ونقل الشيخُ معروف بن الشيخ الأكبر ﵄: أنَّ الشيخَ أحمد الطاشكسانيَّ خليفةَ الأستاذ الأعظم ﵄ جاء يوماً إلى كوغاك زائراً الشيخَ الأكبرَ ﵄، وكنت صبيّاً، فأخذني، ووضعني في حُجرِه تلطيفاً وحبّاً، وقال

(1) في (ب): (آلبامي).

(2) في مثواه الأخير، خ.

لخادمه: إنَّ في حقيبتنا(1) لفاكهة، فأتِ بها، وأعطها له، فقال الشيخُ الأكبرُ لي: لا تطاوعه ولا تنخدع بقوله، فإنَّ أوَّل من رفس أباك وضربه بالرِّجْل كان هو، فقال الشيخُ أحمد: أين لي قوَّةٌ أن أضرب أباه، ولم أفعل؟ فقال الشيخُ الأكبرُ ﵄: بل أنت فعلت. وسببُ ذلك القول: ما مضى أنَّه أوَّلاً أخذ بيد الشيخ الأكبر ﵄، وقال: قَبِلْتُك قائم مقاماً للأستاذ الأعظم، وأن تجلس في موضعه للإرشاد ﵁، وكان هنالك حاضراً بعض من البكلريين، فقال: كما قبل الشيخ أحمد أوَّلاً ليُفْسِدَنَّ هو أيضاً أخيراً.

وجرى الأمرُ كذلك حين أن أذن الشيخُ الأكبرُ للحضرة بالخلافة، حيث قال الشيخ أحمد ﵁ قبل الجميع: فليخرج الشيخُ الأكبرُ ﵁ من نورشين كي يسهلَ الإرشادُ للحضرة ﵁.

نقل شيخنا الشيخُ الأجلُّ الشيخ محمد علاء الدين ﵁: أنَّ الشيخَ أحمد الطاشكسانيَّ هذا ﵁ قال عند باب مرقد سيدا التَّاغي ﵁ حين زيارته له في آخر عمره(2) وهو في غلبة العشق والمحبَّة هكذا:

مِنْ شُقَّةِ الدَّارِ دَهْراً(3) أَسْتَغِيثُ بِكُمْ
فَتَجَمَّلُوا لِي بِإِسْعَافٍ وَإِمْدَادِ

(1) في (ب): (هيبتنا)، والصواب ما أثبتناه من (أ).

(2) مرتجلاً، خ.

(3) كنت، خ.

فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى أَعْتَابِكُمْ دَنِفًا
أُمَرِّغُ الخَدَّ مَهْمُومًا بِلَا زَادِ

هَذَا رَجَائِي وَذَا ظَنِّي بِنِسْبَتِكُمْ[1]
أَنْ لَا تُخَيِّبُوا امْرَأً يَأْتِي لِإِرْشَادِ

لَا زَالَتِ السُّحْبُ تَهْمِي صَوْبَ مَغْفِرَةٍ
عَلَى ضَرِيحِكُمُو يَا خَيْرَ أُسْتَادِ

وَإِنَّنِي أَحْمَدُ كَلْبُ بِسُدَّتِكُمْ
أَرْجُو نَدَاكُمْ قَرِيبًا كُنْتُ أَوْ بَادِي

** ** **

(١) في حاشية (أ): بجانبكم، خ.

[مبحث مرض الشَّيخ الأكبر قُدِّسَ سِرُّهُ][1]

ولنتكلَّم الآن على وفاته قُدِّسَ سِرُّهُ.

وكان السببُ في انتقاله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقدّس أسراره إلى مولاه جلَّ جلاله: دعاؤه على نفسه بقوله: اللهم ارفع فتح الله من البين، لما وقع في بعض القرى من كبيرةٍ متهتكةٍ للدين، فأراد قُدِّسَ سِرُّهُ أن يدفعها كما هو عادتُه، [٩٤] فلم يدفعها المولى لحكمةٍ، فاختار قُدِّسَ سِرُّهُ لقاء المولى؛ لأنَّه إنَّما كان يختارُ البقاءَ في دار الفناء لإرشاد العباد، بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإسلاكهم في الطَّريقة البيضاء، وإراءتهم الحقيقةَ الغرَّاءَ، فلما رأى الأمرَ بخلاف ما هو المرادُ؛ علم أنَّ الخيرَ في لقاء الله تعالى، فطلبه، وأناله اللهُ إلى ما أراده وابتغاه.

وقد بدأ به مرضُه الأخيرُ في قرية برناشين في بيت محمد بن أُومي، وبيته كان من اللاتي تُوقَد النارُ فيها في الكانون والتنُّور، وقد اسودّ سقفُه وجدرانُه على ذلك الأسلوب، فسمع الأتباعُ في بتليس مرضه، فجاؤوا لعيادته، ورأوا حاله قُدِّسَ سِرُّهُ، فقالوا: إنَّ الأصحَّاءَ يمرضون في مثل هذا المكان، فنذهب بك إلى بتليس، والحمدُ لله لك هناك بيتٌ واسعٌ جديدٌ، جديرٌ لسكنى المرضى، وفي البلدة يمكن وجودُ الأطباء على كلِّ حالٍ، ووجود أنواع الأدوية، فأجابهم الشيخُ قُدِّسَ سِرُّهُ بأنِّي لا أجيءُ إلى بتليس، فذهبوا إلى باب

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

بيت بنت الأستاذ الأعظم زوجتِه (قدس سرهما)، فالتمسوا منها أن تكون هي أيضاً عوناً على الذَّهاب به (قدس سره)، فتكلَّمَتْ مع الشيخ (قدس سره) في ذلك، وأقنعته للذَّهاب به إلى بتليس، وحينما وصل إليها؛ زاد مرضُه، وكان يقول لبنت الأستاذ: لولا أنّي أحلك[1] لَتَرينَّ في حقّي أسئلة ومشَقَّات[2] في العقبى؛ لأنَّ بيت محمد بن أومي كان في حدِّ ذاته كالقبر، وتدرَّبْتُ فيه حال القبر، فإذا أنا متُّ وأدخلت القبرَ؛ لم يشكل الحالُ عليَّ كثيراً، وأما هنا؛ فالبيتُ كقصر الجنَّة، والخروج منه إلى القبر يكون صعباً جدّاً.

ولما اشتدَّ عليه المرضُ، وكان يحبُّ المراقبةَ؛ أرسل إلى الملا رشيد الصوباشيّ خليفة الأستاذ الأعظم (قدس سره)، وكان هو أيضاً من أهل المراقبة، فجاء، وحينما يرقى في مرقى البيت يتنحنحُ لابتلائه بداء الباسور، ويقول: أُحْ أُحْ، فكلما سمع الشيخُ صوته (قدس سرهما) عرف أنَّه صوتُه، وقال: جان جان، وهو كلمةٌ يقال حين الفرح بالرُّوح، وبقي عنده، ثم جاء الخلفاءُ وسائرُ أكابر أتباعه، حتى توفِّي إلى رحمة الله تعالى، قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُ العَلِيَّةَ[3]، وأروى روحَه من مياه ميازيب الجنَّة، وأذاقه مذاقَها الشَّهيَّة.

وفضائلُه كثيرةٌ، أفردتْ مقاماتُه بالتَّأليف، [٩٥] فلا نتكلَّمُ عليها، وكَثُرَتْ كراماتُه، وهي أيضاً أفردتْ بالتَّأليف، ولا حاجةَ إلى ذكرها أيضاً،

---

(١) في (ب): (أحيلك).

(٢) في (ب): (ومشِقَّات).

(٣) في (ب): (قُدِّسَ سرُّه).

ودرجاتُ علومه في مرأى الخواصّ والعوامّ باديةٌ لا تقتضي بسطَ الكلام عليها أيضاً.

وكان خلف بيته موضعٌ مملوءٌ بالأحجار، فأمر رئيسُ العسكريّة عساكره بتنحيته من الأحجار، وحَفْرِ قبرٍ له فيه بإشارةٍ منه (قدس سره).

وكان حين دفنه (قدس سره) قد اجتمع النَّاسُ من العلماء والمشايخ والخلفاء ووجوه الناس على قبره، وكان الشيخ محمد أمين أفندي النوينيّ ثم البتليسيّ (رحمه الله) فيهم، فلما أتمُّوا الدفنَ؛ أقبل الشيخُ محمد أمين ذلك على النَّاس، ومدح الشيخَ الأكبرَ (قدس سره) بما يليق به، وقال: رأيتُ في الكتب أنَّ الشيخَ ناصراً اللَّقّانيّ كان على مذهب الإمام مالكٍ (رضي الله عنه)، فلما توفي وأُدرِج في رَمْسِه عفا الله عنه في غده وأمسه؛ قال بعضُ أهل الكشف: لَمّا نزل عليه مَلَكَي[1] السؤال وسألا عنه: من ربُّك؟ حضر روحانيَّةُ الإمام مالك (رضي الله عنه)، وقال: فإيش تسألان عنه هذا؟ فإنَّه أفنى عمره في دين الإسلام وفروعه على مذهبي؟ فقنع به الملكان الكريمان، وذهبا، فحقّ أن يجيء ويحضر[2] الإمامُ الشافعيُّ (رضي الله عنه)، ويدفعَ الملكين عنه، وإنَّه لجديرٌ بذلك.

وبعد أن أصبحوا غَدَ يوم الدَّفن؛ جاء الشيخُ محمد أمين أفندي ذلك مع جماعةٍ كثيرةٍ من أولاد وأتباع الكُفْرَويّين إلى بيت الشيخ الأكبر (قدس سره)

---

(١) في (أ) و(ب): (ملائكتا)، والصواب ما أثبتناه.

(٢) السؤال، خ.

للتَّعزية، فبعد أن نهضت وفرةُ التَّعزية قال الشيخُ الأجلُّ الشيخُ محمد علاء الدين ابنُه قدس سرهما: أمرَ الحضرةُ الشيخُ محمد ضياء الدين خليفته القائم مقامه وابن شيخه الأستاذ الأعظم قدس سره أن نذهب إلى بيت الشيخ محمد أمين أفندي؛ لِمَا رؤي فيه من الحزن الكثير على الشَّيخ الأكبر قدس سره، فامتثلنا الأمرَ، وذهبنا إلى بيته، ومَدَح أيضـًا الشيخَ قدس سره، وأبدى غايةَ حزنه على وفاته، حتى قال: إنَّه قدس سره ضرب الضَّربةَ العظيمةَ لمملكتنا، فإنَّ من أمره أنَّه بعلمه وشجاعته[1] كان قد منع كثيراً من العلماء الغير اللائقين من غلط الفتاوى، ويتحاشَوْن منه[2]، ويخاف النَّاسُ من سطوته أن يخرجوا من أمر الشَّريعة، [٩٦] ويهتكوا حرمتها.

فقال الحضرةُ قدس سره: فبعد الآن عيونُنا ناظرةٌ إليك في تلك الوظائف، فأجابه بأنَّه لا أنا ولا أنت لا نقدر على إجراء تلك الوظائف تمامـًا مثله، فليمنع كلٌّ منا في مكانه وأتباعه البِدَعَ والمخالفاتِ الشرعيَّةَ. فقال له الحضرةُ قدس سره: قد رأينا أنَّ محبَّته لك ومحبَّتك له كانت كثيرةً، فقال الشيخُ محمد أمين أفندي له قدس سرهما: لا حاجة إلى أن يقال[3]: إنَّه يحبُّك، فإنِّي بمقياس محبَّتي له أعلم أنَّه يحبُّني كثيراً، فأنشد هذا البيت:

---

(١) في حاشية (أ): مع شجاعته، خ.

(٢) في (ب): (يتحاشون منه).

(٣) في حاشية (أ): تقول، نسخة. وفي حاشية (ب): يقول، خ.

لَا أَسْـأَلُ النَّـاسَ عَمَّـا فِـي ضَـمَائِرِهِمْ
مَـا فِـي ضَـمِيرِي لَهُـمْ مِـنْ ذَاكَ يَكْفِينِـي

فبعد أن توفّي قدس سره؛ جاء خلفاءُ الأستاذ الأعظم قدس سره كلُّهم للتَّعزية، فلما جاء الشيخ عبد القهار قدس سره ـ وكان في غاية الحزن والكآبة ـ سأل عن الجائين[1] من خلفاء الأستاذ قدس سره، وقال: هل جاء الشيخُ طاهر الآبريّ قدس سره؟ فأجابوه: أن نعم، فقال: كيف كآبتُه؟ فقالوا: ليست بتلك المثابة العظمى، فقال: أليس يعلم أنَّ قوتَنا واستظهارَنا إنَّما كان من الشَّيخ الأكبر قدس سره.

وقال أيضـًا: إذا جاء الشيخُ أحمد الطاشكسانيّ ترون حزنه وشدَّةَ أسفه عليه قدس سرهما، وحقّـًا حينما جاء رأينا منه ما لا يمكن أن نتكلَّمَ عنه من الأحزان.

وكان معه الملا إبراهيم ابن عمه، وهو يحكي عنه أنَّه لَمّا سمع خبر فاجعة وفاته قدس سره سئل: هل المتوفَّى الشيخُ فتح الله الورقانسيّ قدس سره أم الشيخ فتح الله الآخر من بيت المفتي البدليسيّ؟ فلما تبيَّنَ بواسطة الهاتف أنَّه هو الشيخ الأكبر الورقانسيّ قدس سره؛ لم يرقأ له دَمْعٌ إلى ثلاثة أيام، فقال[2] الملا إبراهيم: قلت[3] له: مُذْ كان الشيخُ الأكبرُ قدس سره حيّـًا ما كان أحَدُكُما يفعل بالآخر هكذا، فأجابني عمّي بيا أحمق، نحن كنا دومـًا هكذا، ونراه أنَّه لنا عمودُ البيت، ونطوف حوله، ولا نظنُّ أنَّ الله تعالى يرفعه من بيننا، ويبقينا وَالِهِين.

---

(١) في (ب): (الجانبين).

(٢) في حاشية (أ): قال، خ.

(٣) في حاشية (أ): فقلت، خ.

وكان انتقالُه ﷺ من دار الفناء والأحزان إلى دار البقاء وغرف الجنان بعد مضيّ عشر دقائق[1] من ليلة الثلاثاء، ليوم الحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى عربيَّة[2] في سنة (١٣١٧) [أي:][3] ثلاثمائة وسبع عشرة بعد الألف كما قيل في تاريخه:

حين مِن دار الفناء ارتقى أُرِّخ قد
طاف في جنات عدن نعم مأوى العاملين

واليوم الحادي عشر من شهر أيلول في سنة (١٣١٥) [٩٧] رومي، ثلاثمائة وخمس عشرة بعد الألف كما قيل فيه أيضاً:

حين لاقى ربه شيخي بعز وسرور
قلت في تاريخه: قد فاز شيخي بالنعيم

وغَسَلَهُ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ خليفةُ شيخه الأستاذ الأعظم الملا إبراهيم النَينِكِيّ ﷺ، والملا عبد الله البَالَكِيّ ﷺ، بمعاونة آخَرين، ودفن خلف بيته في بتليس كما ذكر، وكان عمره ﷺ ثلاثاً أو خمساً وخمسين سنةً، موافقاً لعمر إمامنا الشافعيّ ﷺ، وكانت ولادتُه في قرية ورقانس من متعلّقات قضاء بايكان، المشهورة بناحية الزِّرقي.

(١) في (أ) و(ب): (دقيقات)، والصواب ما أثبتناه.

(٢) في حاشية (أ): (أي: هجرية).

(٣) ما بين معقوفتين من حاشية (أ) خ.

وكانت مدَّةُ إرشاده قدّس الله أسراره ورضي عنه ثلاث عشرة سنةً.

وخلَّف من الأولاد خمسةَ بنين، وثلاث بناتٍ، أنبتهم الله نباتاً حسناً، وأدام نسبَتَه[1] فيهم، وفي أعقابهم وأتباعهم، وفي خلفائه بجاه سيِّد المرسلين وآله وصحبه صلواتُ الله وسلامُه عليه وعليهم أجمعين.

** ** **

(١) في (ب): (سبته)، والصواب ما أثبتناه من (أ).

[مبحث أولاد الشّيخ الأكبر قدس سره][1]

وأما أولادُه الذُّكورُ؛ فأكبرُهم سيِّدُنا ومولانا الشيخُ محمد علاء الدين قدس سره الآتي ذكرُه إن شاء الله تعالى، وأمُّه الشَّيخةُ[2] زليخا الورقانسيّةُ الكريمةُ، من أقاربه قدس سره، وهي الكبرى.

ثم الشّيخُ معروف، وكان عالمـاً، لبيبـاً، ذكيّـاً، صالحـاً، يستفيد منه كلُّ من يجالسه دينـاً أو دنيا، وكان في نقل أحوال الكُبَراء والعُظَماء ككتابٍ من كتب التَّواريخ، وفيه حظُّ كلِّ أحدٍ، حتى قال في حقِّه أخوه العلامةُ الشَّيخُ محمد علاء الدين قدس سره حين تُكُلِّمَ في حضرته عن العلماء: إنَّ في نقل أحوال الكبراء وسائر الأشياء لم يكن أحدٌ مثل الشّيخ معروف جامعـاً. وعمَّر عمراً طويلاً قريبـاً من التِّسعين، حتى قال له الشيخُ محمد معصوم حفيدُ الأستاذ الأعظم قدس سرهما مازحـاً ومتفكِّهـاً معه: لم يعمَّر أحدٌ في بيت الشيخ الأكبر والأستاذ الأعظم قدس سرهما مثلي ومثلك، ويحتمل أن يكون ذلك من قبح شأننا أصلحه الله. وكانت أمُّه بنتُ الأستاذ الأعظم قدس سره.

وقد كان له [ثلاثة][3] بنين، عصام الدين، وغياث الدين، وكاظم،

---

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) في (أ) و(ب): (الشيخ)، والصواب ما أثبتناه.

(٣) ما بين معقوفتين من متن (ب)، وهي في حاشية (أ) خ.

فتوفِّي الأوَّلُ قبله، وبقي بعده الآخران[1]، وللكلِّ عقبٌ أصلحهم الله تعالى كأسلافهم.

وتوفِّي في قريته كوغاك في سنة (١٣٩٥) ثلاثمائة وخمس وتسعين الهجرية، وإحدى وتسعين الرومية بعد الألف. [٩٨] وقال في تاريخ وفاته قدس سره واحدٌ من أتباعهم بالروميَّة بالجمل الكبير:

شَـيْخُنَا المَعْـرُوفُ فَاضِـلٌ كَـرِيمٌ

وحليم سيِّدٌ وابنُ كريمٍ وشريفٌ وجليل

وانتُقِل بنعشه إلى جنب أبيه الشيخ الأكبر قدس سره[2] في بتليس.

ثم الشّيخ محمد جنيد رحمه الله، وهو أيضـاً من حرمه المحترمة الكبرى أمّ الشّيخ محمد علاء الدين قدس سره، وكانت ولادتُه سنة (١٣١١هـ)، (١٣٠٩) رومي، أي: ثلاثمائة وإحدى عشر الهجرية وتسع الرومية بعد الألف، ووفاته بعد وفاة أخيه الشيخ محمد علاء الدين قدس سره بستّ سنين؛ أي: سنة (١٣٧٥هـ) (١٣٧١) رومي، أي: ثلاثمائة وخمس وسبعين الهجرية، وإحدى وسبعين الرومية، بعد الألف، في الثامن والعشرين من شهر كانون الثاني.

وكان رحمه الله علَّامةَ زمانه، وأدقَّ فكراً ونظراً من جميع أترابه في عصره وأوانه، لا يستريبُ أحدٌ في عُلُوِّ كعبه في العلوم في وقته وزمانه في مكانه، ولم

---

(١) الباقيان، خ.

(٢) في (ب): (سرهما).

يوجد حائزُ حوزته في العلوم سوى أخيه الأكبر الشيخ محمد علاء الدين الأجل الأفخر (قدس سره)، وهو أستاذه.

وكان (رحمه الله) مدقِّقًا في العلوم كلِّها، سيَّما في التَّفاسير، سيما في «البيضاوي»، حتى إنَّ له (رحمه الله) حاشيةً في مجلدٍ كبيرٍ[1]، مُبَيِّنَة للنُّكات على سورة الكهف من «البيضاوي»، وحقّ أن يقال في حقِّها: من يسمعْ يَخَلْ، ولا يرى فيها أيَّ زللٍ ولا خللٍ.

وله (رحمه الله) سواها رسائلُ حسنةٌ في علومٍ شتّى، كالفرائض، وشرح «تائية ابن الفارض» وغيرها، جزاه الله خيراً، ولا يريه في مثواه ضيراً.

وله عقبٌ ستّةٌ بنين: نور الدين وفقير الله من زوجته المرحومة بنت الملا موسى البُلَانِقي، ومحمد فضيل ورأفة الله وإحسان ومحمد عارف من بنت الشيخ محمد معصوم حفيد الأستاذ الأعظم (قدس سره)، ولكلّهم ـ سوى فقير الله ـ عقبٌ، أمدّهم اللهُ بحسن العاقبة، وأحاسن الطَّاعات، وكرائم الأخلاق.

ثم من أولاد الشّيخ الأكبر من بنت الأستاذ الأعظم (قدس سرهما): الشيخ بهاء الدين، وتوفّي شابّا قبل أن يتزوّج، وكان (رحمه الله) لم يتخلّفْ عن أقرانه في الفضل والعلم والعُلَى، وكان في غايةٍ من الشَّجاعة والجسارة، حتى كان مشتهراً بهما، ويبحث عن ذلك كلُّ أحدٍ، ودفن عند قبر جدّه الأستاذ الأعظم (قدس سره) في [٩٩] نورشين، حرسها الله عن كلِّ فتنةٍ وشَينٍ.

(١) في (ب): (كبيرة).

ثم ابنه الشيخُ قطب الدين من حرمه الكريمة بنت الأستاذ الأعظم (قدس سره) أيضـًا، وكان عالمـًا كبيراً، وذا أخلاقٍ جيدةٍ، سالكـًا في الطَّريقة النَّقشبنديَّة (قدس سره) عند أخيه الأكبر الشيخ محمد علاء الدين (قدس سرهما)، وكان يحبُّ تحصيلَ العلوم كثيراً، ولا يَفْتُرُ عنه وعن سائر الآداب ساعةً، وكان له عقبٌ ابنان: الشيخ بهاء الدين والشيخ محيي الدين من زوجته بنت الشيخ عبد الرحيم (رحمه الله)، ولكليهما أولادٌ: لبهاء الدين أربعةُ أبناءٍ، ولمحيي الدين ابنان، أصلحهم الله تعالى، وأنالهم مراتبَ آبائهم وأجدادهم الكرام.

وتوفّي رحمة الله عليه في قرية كُوبُو، بقليلٍ بعد أخيه الأكبر الشيخ محمد علاء الدين (قدس سره)، في سنة (١٣٦٩هـ) (١٣٦٥) رومي، أي: ثلاثمائة وتسع وستين الهجرية، وخمس وستين الرومية بعد الألف. ودفن هنالك على تلٍّ، ثم دفنت عنده أمُّه الكريمةُ بنت الأستاذ الأعظم (قدس سره)، وأخوه من الأب الشيخ محمد جنيد، وبنت الشيخ محمد معصوم زوجة الشيخ محمد جنيد، وبعضٌ من أهل بيتهم، وبعضٌ من أهل القرية، وبنيتْ في حائط مراقدهم حجرةٌ صغيرةٌ للزَّائرين والقارئين القرآن الكريم عند مراقدهم (رحمهم الله).

** ** **

[مبحث خلفاء الشَّيخ الأكبر قدس سرهم][1]

وأما خلفاءُ الشَّيخ الأكبر قدّس الله أسراره وأسرارهم؛ فكانوا ستَّةً:

أوَّلُهم: ابن شيخه الأستاذ الأعظم قدس سرهما الحضرة، أي: الشيخ محمد ضياء الدين قدس سره، وسيأتي تفصيلُ أحواله إن شاء الله تعالى.

ثم السيدُ حسن بن الغوث الأعظم قدس سرهما، وقد تقدَّم البحثُ عن أحواله في مباحث ذكر أولاد الغوث الأعظم قدس سره مستوفىً.

ثم الشيخ عبد الغفار الصغير بن السيد الحاج شريف بن الملا عبد الغفار الكبير أخي الغوث الأعظم قَدَّس اللهُ أَسْرَارَهُمُ العَلِيَّة، وكان عالماً كبيراً، علّامةَ زمانه، مجازاً بالإجازتين من شيخه الشَّيخ الأكبر قدس سرهما، وقد طلب أهلُ محلَّة المرمودية مِنَ البتليسيين من الشيخ الأكبر قدس سره أن يعيِّنَ لهم واعظًا في مسجد[2] محلَّتهم كما في سائر[3] المحلات في البلدة، فأمر قدس سره الشيخَ عبد الغفار بذلك وعيَّنه، وكان من قوَّة علمه وبلاغته يفتحُ «تفسير البيضاوي»، ويبيِّنُ للنَّاس مفهومَ الآية والتَّفسير، ثم يعظهم، ويطوِّلُ، بحيث يندهش منه عقولُ العلماء الفحول.

---

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) لمسجد، خ.

(٣) لسائر، نسخة.

وكان [١٠٠] محبَّتُه للشيخ الأكبر قدس سرهما بمثابةٍ لا توصفُ، حيث كان لا يزور مرقدَ الشيخ قدس سره بعد وفاته لعدم تحمُّله وِقْرَ فراقه، ومن يذهب إلى المرقد زائراً يقول: اذهب وادْعُ لي أيضـًا.

ومن محبَّته له قدس سرهما: أنَّه كان في بتليس في ديوان بيت الشيخ قدس سره، وكان غاصًّا بالخلفاء والعلماء والسَّالكين، فتكلَّم كلٌّ فيما يشتهيه ويطلبه من الله تعالى، فذكر كلٌّ مطلوبه، وهو ساكتٌ جالسٌ في صدر المجلس، فقالوا له: لِمَ لا تتمنَّى أنت على الله شيئـًا أيها الأستاذُ؟ فأجابهم بعد الإلحاح بأنْ لم يقل الله تعالى: إنِّي أقبل دعاءكم حتى أسأل مِنَ[1] الله، فألَحّوا عليه بأن بَيِّنْ أنت الآخر ما مطلوبُك؟ فقال: لو تقبّل الله تعالى؛ لرجوتُ منه أن يكون الشيخُ الأكبرُ قدس سره حيّـًا، وكان له حصانٌ عربيٌّ أصيلٌ، وأكونَ له سائسـًا، وأربّيه زمنـًا حتى فَرِهَ من حسن[2] التَّربية، ويأتي الشيخُ قدس سره ويقول: هيا نذهب إلى القَنْص، وركب هو ذلك الفرسَ وأركب أنا معه فرسـًا آخر، ونذهب إلى ما أراد من الأماكن، ووقع أمامنا صيدٌ، فتشجَّعنا حتى نأخذ صيدنا بإزعاجٍ وتعجيزٍ وجرحٍ، فضربني الشيخُ قدس سره، ويقول: لم جَرَحْتَ الصَّيدَ؟ ثم نرجع إلى البيت، وهكذا نفعل في الغد، وغد الغد، وندوم هكذا، ونهايةُ أملي في الدُّنيا هذا، وقد توفي الشيخُ قدس سره، وفات الأملُ.

---

(١) أدعو، خ.

(٢) كثرة، خ.

وكان خَتَنًا للغوث الأعظم (قدس سره) على ابنته الشّيخ قُدْرَة العابدة الزّاهدة رحمها الله رحمةً واسعةً.

ووفاتُه (قدس سره) كان في الحرب العموميَّة إذ كان في بتليس، فحينما غلبت الروسُ الغاشمةُ على البلدة؛ فرَّ إلى قرية سُوريم القريبة من بتليس، واستُشْهِد هنالك، ودفن في مقابرها، قدَّس الله أَسْرَارَهُ الْعَلِيَّةَ. ولا يتعيَّنُ قبره لاشتباهه بسواه؛ لكثرة قبور الشُّهداء هنالك.

وكان له أبناء علماءُ صلحاءُ، وكبيرُهم الشيخُ محمد حفيد، وكان عالمًا ومجازاً في الطَّريقة النَّقشبنديَّة (قدس سره)، وكان صاحبَ محبَّةٍ تامَّةٍ، وقصد الشيخُ محمد حفيد هذا الحجَّ، فلما وصل إلى بتليس سمع بمجيء شيخنا الشيخ محمد علاء الدين (قدس سره) إليها، وهو قد ركب السّيَّارة، ولم تكثر إذ ذاك السّيارات حتى يتركها ويركبَ أخرى، فاندهش من ذلك، وتأوّه وقال: آهٍ، فاتني الحجُّ الأصغرُ، يريد: زيارةَ الشيخ (قدس سره)، وبقي الحجُّ الأكبرُ، ولا نعلم ما يفعل الله بنا بعدُ.

[١٠١] وأراد اللهُ تعالى فواتَ الحجّ عليه في تلك السَّنَة؛ لوصوله عرفة يوم النحر بعد الفجر، وتحلَّل بأعمال العمرة، فرجع، ثم قضاه في السَّنَة التالية.

وكان الشيخُ محمد حفيد ذلك (رحمه الله) حينما سمع وفاة الشيخ محمود القره كُوي (قدس سره) في الشّام الشَّريف تأثَّر بذلك كثيراً، وأفاض العَبَرات على

فوته، وسمع أنَّه (قدس سره) قال لابنه الشيخ محمد عيسى: فلنذهبْ إلى المدينة المنوَّرة، فذهب إلى حلب لإتيان النقود، فأُخبِر بالهاتف أنَّ مرضه (قدس سره) قد ازداد، فرجع ولم يتيسَّر الذَّهابُ، فتوفي، وسيجيء تفصيلُ ذلك إن شاء الله تعالى، فلما سمع ذلك الشيخ محمد حفيد (رحمه الله) قال: قد تشابَهَ حالُه بحال مولانا خالدٍ (قدس سرهما)، حيث قال:

بُمْزكان ميدرد خالدبس آزْمَرك   تُجَاه اللحد حتى نال مشواك

فليخت مثله هو أيضًا مثلَه (قدس سرهما) بأهدابه باب المقصود.

وكان للشّيخ محمد حفيد هذا (رحمه الله) أولادٌ بررةٌ كرامٌ، والآن له حفيدٌ كريمٌ عالمٌ مدرسٌ، وفَّقه اللهُ، وأكثر عليه فيضَه، واسمُه السيد حسن بن السيد خالص، دفع الله عنهم البليَّات، وأكثر لهم العطيَّات. آمين.

ومن خلفائه أيضًا (قدس سره): الملا أحمد ابن الملا عيسى القره كوي (قدس سره)، وكان في غاية الانكسار والصَّلاح والتَّصوُّف، حتى قال الشيخُ الأكبرُ (قدس سره): لو كان في زماننا نقشبنديٌّ خالصٌ؛ لكان ذلك هو(١).

وكان من فرط تَقْواه: أنَّه لما أذن له الشيخُ (قدس سره) بالخلافة لم يقبلْ، وقال: أنا لم أكن أهلاً لتلك الوظيفة العظمى.

وبعد أن توفِّي الشيخُ الأكبرُ (قدس سره) قال له الحضرة (قدس سره): لمَ لمْ تقبل الإذنَ بالخلافة؟ قال: بلى، قَبِلْتُ تلك الهديَّةَ العظمى من الشيخ (قدس سره)، ولكني كنت

(١) في حاشية (ب): (أي: ملا أحمد).

رجلاً كهلاً لا طاقةَ لي بموجبها، فسئل: لمَ قلتَ وقت الشيخ (قدس سره) كذا، وتقول الآن هكذا؟ فأجاب: بأن لو لم أقبل الإذنَ من الشيخ؛ للزم عليَّ فعلُ تلك الآداب والأعمال التي فَعَلْتُها مع الشيخ (قدس سره) ابتداءً مع الحضرة بعد تسليمي له، ولا قدرةَ لي على ذلك، فإذا لم أفعل لقالوا: إنَّك منكرٌ، فقبلتُ منه (قدس سره) بالضَّرورة ذلك الإذنَ.

وعند مهاجرة النَّاس في الحرب العموميَّة؛ ذهب هو إلى قرية ايرمون من متعلَّقات كَرْجوس من أقضية ماردين، وتوفي [١٠٢] هنالك، أفاض الله عليه شآبيب رحمته ورضوانه.

وخلَّف أربعةَ أبناء: الملا محمد، والشيخ محمود (قدس سره) الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، والملا علاء الدين، والملا خالد (رحمه الله)، ولكلٍّ واحدٍ منهم عقبٌ، وفيهم علماءُ أعلامٌ، أنبتهم الله نباتًا حسنًا، ووفَّقهم لمرضاته.

ومن خلفائه[١] أيضًا: الحاجُّ الملا عمر الخُوروسي (قدس سره)، ومن ينظر إلى المكاتيب التي أرسل إليه شيخه الشيخُ الأكبرُ (قدس سره)، ويمعن النَّظرَ فيها؛ يعلم أنَّه أعلى كعبًا من كثيرٍ من الأقران، حتى قال شيخُنا الشيخ محمد علاء الدين (قدس سره): هو جديرٌ بأن يشدَّ إليه الرِّحالُ.

ولما أراد السَّفرَ إلى الحج؛ زار شيخه الشيخَ الأكبرَ (قدس سرهما)، ورجا من الشيخ أن لا يَنْسَه، قال له الشيخُ: إنِّي أضعُ اسمك على هذه الحمامة ـ

(١) أي: الشيخ الأكبر (قدس سره).

لحمامةٍ في بيته (قدس سره) ـ لأتذكَّرك دائمًا، فكان (قدس سره) يدعو تلك الحمامة: بيا عمر.

وألَّف له كتابه «المناسك»، وذهب ببيته إلى بلدة وان، وسكن هنالك.

وبعد وفاة الشيخ (قدس سره) لم يبق إلا قَليلا، وتوفي إلى رحمة الله تغمّده الله بغفرانه. وخلَّف ابنًا، وكان اسمه عبد الرحمن، وبعد أبيه أدخلوه في المكتبة الرسميَّة، فارتقى إلى أن أخذ رتبة اليُزْبَاشِية[١] ـ أي: رئيس المائة ـ، فاتهمته الحكومة بشيءٍ، وحبس في الحبس الرسميّ، فأرسل مكتوبًا من الحبس إلى سيدنا ومولانا الشيخ محمد علاء الدين بن الشيخ فتح الله (قدس سرهما)، وكتب في مكتوبه:

مَنْ تَرَدَّى بِرِدَاءٍ غَيْرِ مَلْبُوسِ أَبِيهِ   فَسَيَأْتِيهِ زَمَانٌ يَتَمَنَّى المَوْتَ فِيهِ

ثم ذهب إلى شام الشريف، ولا نعلم هل له عقبٌ أم لا.

ومن خلفائه أيضًا: الملا حسن من عشيرة آدمي، ولا عِلْمَ لنا بأحواله تمامًا، ولكن ذهب ببيته إلى الشّام الشّريف، ومكث هنالك مقدارًا، ثم ذهب ببيته إلى المدينة المنورة، وتوفي هنالك، هنيئًا له.

وقال شيخنا الأجلُّ الشيخُ محمد علاء الدين بن الشيخ الأكبر الشيخ فتح الله (قدس سرهما): لما ذهبنا إلى الحجِّ؛ سمع أتباعه ومريدوه في الشّام بوصولنا إليها، فتلقّونا بالتّرحيب والمحبَّة والشَّوق، وذهبوا بنا إلى محلّتهم الصّالحية، وتوجَّه شيخُنا الحضرةُ (قدس سره) فيهم التَّوجُّهَ النَّقشبنديَّة، ثم ارتحلنا، وكان رحمه

(١) في (ب): (اليوزباشية).

الله وقدَّس أسراره إذ ذاك متوفّى إلى رحمة الله تعالى في المدينة المنورة، صلَّى الله على منورها وآله وصحبه وسلَّم، [١٠٣] ولم نعلم له قدس سره ذريَّةً.

ولما أن توفّي الشيخُ الأكبرُ قدس سره؛ فوّضَ أمرَ جميع بيته وأولاده إلى شيخنا الأجل ابن شيخه الأستاذ الأعظم المكمّل الأكمل حضرة الشيخ محمد ضياء الدين قدس سره، وكان خَتَنُه وسالكُه أستاذنا الأجلُّ الملا عبد الكريم قد ذهب في تلك السنة إلى الحجز، ويقرئُ الشيخُ الأكبر ابنَه الأكبرَ العلامة شيخنا الشيخ محمد علاء الدين قدس سره، وكان درسه في «الرسالة الوضعية»، فلما رجع ختنُه الأستاذُ من سفره إلى بيته قد بقي من الرِّسالة درسٌ فقط، فقال له أبوه الشيخُ الأكبرُ قدس سره: أنا أقرئك هذا الدَّرسَ، ولا أقرئك من بعدُ ولو درساً واحداً، وفوَّضْتُك إلى أستاذك الختن الحاجّ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ.

وأرسله إلى أستاذه في قرية جِرُونان من قرى اِسْبَايرت، وكان هنالك إذ مرض أبوه الشيخ الأكبر قدس سره، واشتدَّ به المرضُ، فأرسل أميرُ العسكريَّة راكبَيْن من رجالها، وأتيا به وبالختن الأستاذ إلى بتليس، ووصلوا إليها يوم وفاته، ولما وصل هو وأستاذُه إلى[١] دولة اللِّقاء، ورأى قدس سره فيهما أثر الحزن؛ أقبل عليهما، وقال مخاطباً لهما: فأنا أبوكما إن شفيت، وإلا؛ فأبوكما الحضرةُ الشيخ محمد ضياء الدين ولد شيخي الأستاذ الأعظم قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ الْعَلِيَّةَ، ونظر إذا إلى ابنه الشيخ محمد علاء الدين قدس سرهما نظراً بدقةٍ،

(١) مخزن أحزانهما، خ.

فقال له الحضرة قدس سره: إنَّه علاءُ الدين، فقال قدس سره: أعلم أنَّه هو، وأرى في وجهه نوراً، فحقّق الله أمنيته فيه.

وبعد وفاته نَقَلَ الأستاذُ العلامةُ بيته إلى بيته ببتليس، ودرس أولاده، وداوم في سلوكه عند الحضرة حتى بلغ أولادُ الشيخ قدس سره إِرَبَهُم، واستُخْلِفَ هو من الحضرة قدس سرهما، وتوفي هو في بتليس، ودفن في الحجرة الشّريفة تحت رجلي الشيخ قدس سرهما.

ومن يرد أستقصاءَ بحث[١] أحوال الشّيخ الأكبر قدس سره؛ فلينظر إلى رسالةْ أُلّفتْ فيها.

** ** **

(١) في (ب): (بحيث).

[مبحث مناقب الحضرة وبيان خلفائه قدس سره][1]

فلنتكلَّم الآن على مناقب خليفته القائم مقامه الحضرة الشيخ محمد ضياء الدين بن الأستاذ الأعظم قدس سره، وكان يرشد قدس سره في حياة شيخه الشيخ الأكبر قدس سره، حتّى [١٠٤] إنَّ بعض سالكيه ـ وهو الشيخ شهاب الدين التيليّ قدس سره ـ قد أتمَّ أعمالَه المعهودةَ المتعارفةَ في وقت حياة الشّيخ قدس سره، فاستشار به الحضرة، فقال الشّيخُ له[2]: أخِّرْه إلى بعد الخريف، فتوفّي الشيخ قدس سره أثناء تلك المدَّة، وكان ذلك إشارةً إلى استقلاله بالإذن والتّسليك، فانحاز بكلِّ ما كان يفعله الشّيخُ، ويفعل هو بأمره قدس سرهما، وخضع له كلُّ العلماء وأكابرُ الناس، وشاع صيتُهُ وذاع أمرُهُ في الممالك، وهدى النّاسَ هدايةً تامّةً إلى الشَّريعة والطَّريقة، والأمور الإداريَّة الدُّنيويَّة، طلبًا لمرضاة ربّه في تلك الأمور كلِّها.

وكان من أحسن أمره: أنّ أبناء خلفاء الأستاذ الأعظم قدس سره استسلموا له، وكانوا من أتباعه قدس سره، فتكفَّلهم حتى نالوا إلى أعلى المراتب، وأَوْلَى المآرب.

وكان الشيخُ محمد علاء الدين ابن شيخه قدس سره والأستاذ الملا عبد

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) في (ب): (فقال له الشيخ).

الكريم يبقيان في الشِّتاء عنده في نورشين، وفي ذلك الوقت يأمر الأستاذُ المذكورُ بترك الدَّرس للطَّلبة، فإنَّ النُّقوشَ العلميَّةَ تمكَّنتْ في خزانة خياله، وهي تكون سببًا لعدم قَرَار أمور التَّصوُّف في القلب.

وحكى شيخُنا الأجلُّ الشيخ محمد علاء الدين قدس سره عن أستاذه العلامة الملا عبد الكريم رحمه الله أنَّه قال: كنت يومًا في وادي دمرجى منتقبًا، أَجُرُّ أورادي، فمرَّ عليَّ رجلان، فقال أحدهما للآخر: أيُّ حالٍ هذا؟ وأيُّ شيءٍ أقبل عليه هذا الرجلُ؟ وقد سمعنا وعلمنا أنَّه من أكابر علماء زمانه في مكانه، وله أموالٌ كثيرةٌ، وله زوجةٌ بديعةُ الجمال، فماذا يبغي بعد ذلك؟ وقال الأستاذُ رحمه الله: فتأمَّلتُ أنَّه يَصدق عليّ قولُ مولانا خالد قدس سره:

زِسَوْدايت جُنَان بَدْنام كشتم درهمه عالم

بكوش خُود شُنِيْدَمْ هَرطَرَف أَفسَانَه خُودْرا

وقال شيخنا الشيخُ محمد علاء الدين قدس سره أيضًا: إذا كنت في نورشين عند الحضرة قدس سره جاء الشيخُ محمود الذُّوقَيدي قدس سره إلى نورشين، وكنت إذا أنام في صفة الدِّيوان، وباقي السَّالكين في الدِّيوان، وفرشتُ فراشي للنَّوم لأنام، إذ رأيتُ الشيخ محموداً، فتكلّمتُ معه، ومال هو إلى كلامي، وجاء إلي، فقلت له: [١٠٥] ما سبب مجيئك إلى هنا؟ فحلّ لي ما كان نواه، وهو أنَّه يقصد الشيخ أحمد الطاشكسانيّ قدس سره للتَّمسُّك به، والسُّلوك عنده، فتكلَّمتُ معه بقوَّة نطقي وصفاء علمي بالحضرة قدس سره، وقلت: إنَّه لأعلى

كعباً من الجميع، وكيفما كان هو ابنُ الأستاذ الأعظم قدس سرهما، فاستمال لذلك، ولانتْ قريحتُه، ولعله استشعر بتلك المحاورة مولانا الحضرة قدس سره بإلهامٍ من الله تعالى، فلما أصبحنا قال قدس سره: هل تكلَّمتَ البارحةَ مع الشيخ محمود؟ فبيَّنْتُ له قدس سره كلَّ ما جرى[1] بيني وبينه، فقال: فأَرْجِعْه إلى هنا إن يمكنك ذلك، فقَبِل النُّصحَ[2]، ورجع عن الذَّهاب إلى طاشكسان.

وكان من عادة الحضرة قدس سره أنَّه كان في اللَّيالي الطَّويلة يقوم ويتهجَّدُ[3] في البيت، ثم يجيء إلى الدِّيوان، ويجتمع عنده السَّالكون والنَّاسُ حتى من المحلّة البعيدة ممن يحبُّون الصُّحبةَ، فيتكلَّمُ معهم من الآداب وصحبة المشايخ إلى الفجر، ثم يقوم إلى بيته، ويصلّي الصُّبحَ فيه، لا في الدِّيوان.

ونقل عن حرمه الكريمة أنَّها قالت: أخذني ليلةً قرب الفجر، وقدّمني إلى جهة القبلة، وبقي هو خلفي، وقال: يا ربّ، إنَّ العادةَ أنَّ أصحابَ الجرائم الكبيرة يأخذون زوجاتهم ويذهبون إلى بيت المجنيّين عليهم، فيعفونهم، ويتجاوزون عنهم لتحصيل شرفٍ لهم، وأنت أرحم الراحمين، ففعلتُ كما فعلوا، فارحمني واعف عنّي.

روي أنَّ سيدنا الشيخَ محمد علاء الدين قدس سره[4] ذهب في سفرٍ من

---

(١) سبق مني ومنه، خ.

(٢) في (ب): (النصح النصح).

(٣) في (ب): (يقوم يتهجد).

(٤) في (ب): (قدس الله أسراره العلية).

أسفار الحضرة قدس سره معه إلى بلدة إسعرد، وكان معه جمعٌ من الخلفاء والعلماء الأكابر، فلما استقرَّ بهم المجلسُ؛ جاء رجلٌ من الإسعرديين إلى الحضرة قدس سره، وقال: أستفتي منكم مسألةً ومعك علماءُ كثيرون، وبيّن مسألتَه، فأخذ كلٌّ منهم كتاباً، فقال شيخنا الأجلُّ الشيخ محمد علاء الدين قدس سره: وأخذتُ أنا «التحفة» لابن حجر رحمه الله، فأوَّلُ ما فتَّشْتُ[1] تلقَّتْني المسألةُ بعينها، وأعلمتُ الحضرةَ قدس سره بذلك، فقال: اقرأ العبارةَ، فقرَأْتُها، وألقوا إليَّ أسماعهم، فقال واحدٌ منهم: من هذا بهذه المهارة وعدم المبالاة بأحدٍ؟ قالوا: هو ابنُ الشيخ فتح الله الورقانسيّ قدس سره، فقال: إذاً [١٠٦] ليس بعجيبٍ منه، فقال شيخنا قدس سره: بقيت المدحةُ لأبي، ولم يُنسبْ إليَّ منها شيءٌ.

وجاء الشيخُ عبد القهار الدُّوقيديّ خليفة الأستاذ الأعظم قدس سرهما يوماً إلى دَمرجى، وكان إذا بينه وبين بعض أولاد الأستاذ الأعظم قدس سره شقاقٌ ما، فلما أراد الرجوعَ؛ أَحضَرت حرمُ حضرة قدس سره له دجاجةً مقليةً وأرغفةً محشوّةً لزادهم في الطَّريق، فلما خرج وسلّمه الخادم سأل: إيش هذا؟ قال: هذا ما هيَّأَتْه لزاد طريقكم حرمُ الحضرة قدس سره، فنظر إليه، وقال: هكذا الأمر إذا ترك الكلبُ وحِيدَ[2] صاحبه يطعمه الصاحبُ الأطعمةَ الشهيَّةَ، ويرغِّبُه في الرجوع إلى بيته مرَّةً أخرى، وجاء الخادمُ، ونقل ما قاله الشيخ عبد القهار للحضرة قدس سرهما، فقال الحضرة: نحن أين وأتباعُ الأستاذ أين؟ ولا ننال محبَّتَهم

---

(١) في حاشية (أ): فتشته، خ.

(٢) في (أ): (وصيد)، والصواب ما أثبتناه من (ب).

وصداقتهم ووفاءَهم.

وقال شيخنا الأجلُّ الشيخ محمد علاء الدين قدس سره: حينما استسلمتُ للحضرة قدس سره، وعلَّمني الآدابَ؛ أمرني بالرَّابطة الضِّمنيَّة التي هي رابطةُ الشَّيخ الحاضر صورةً وإرادةُ الشَّيخ المتوفَّى، ويحسب الحاضر عين المتوفَّى، فأجبتُ بأنَّ دخولي في الطَّريق أوّلاً كان عندك حينما كنّا في [قرية][1] أوخين، وجئتُ هنالك، فقال الشيخُ الأكبرُ قدس سره: ها إنّ ابن الأستاذ الأعظم قدس سره جاء، فخذ منه الطّريقَ لتجلس في الختمة والتَّوجُّه، ففعلت. وكان قد قال عند وفاته: فإن حَيِيتُ؛ فأنت ابني، وإن متُّ؛ فأنت ابنُ الحضرة، واعتقادي بالحضرة كما كان بالشيخ قدس سرهما، فلا حاجة لي بالرَّابطة الضِّمنيَّة، فداوَمَ في عمله وآدابه وأمرِهِ ونهيه عند الحضرة قدس سره، حتى ترقى إلى ما لا يناله عقولنا، ولم نعلم أنَّه في كم سنةٍ نال الفطامَ من رضعات التَّعليم، وبلغ الفكاكَ من عقال التَّربية، ومشقَّات آداب الطَّريق المستقيم، وأَذِنَ له[2] الحضرةُ قدس سرهما لإرشاد الخاصَّة والعامَّة بالاستقلال، وقال قدس سره: وكنت بعد ذلك أُقَسِّمُ أوقاتي قسمين: قسماً أمضيه وأصرفه في صحبة الحضرة، وأذهب معه إلى أين يذهب، ثم أصرف القسمَ الآخرَ في خدمةِ بيتي وتدريس الفقهاء.

وكان شيخنا الأجلُّ قدس سره يذكر حكايةَ الشيخ عبد القادر اللِّيْردي خليفة مولانا خالد قدس سره الذي ردَّه عن الطَّريقة بسبب أنَّه قدس سره [١٠٧] كان نهاه عن قبول

(١) ما بين معقوفتين من متن (ب)، وهي في حاشية (أ).

(٢) في (أ) و(ب): (وأذنه)، والصواب ما أثبتناه.

هدايا من أهل بيتٍ من أكابر مملكتنا، وكان ذا نسبة غريزةٍ فعَّالةٍ جالبةٍ للقلوب، وبقَدَر الله تعالى أنَّه جاء إلى ممكلتنا للإرشاد، فأتاه كبيرُ ذلك البيت المذكور، فعرض عليه بعض الهدايا، فلم يقبل شيئاً، فأعطاه قرآناً مذهَّبَ الدَّفَّتَين، فقبله، وظنَّ أنَّه لا يضرُّه، فبعد ذلك زار شيخَه الجليلَ مولانا خالداً قدس سره، حتى يروى أنَّه كلما مرَّ على قريةٍ ويسمع أهلها بمجيئه؛ يهرعون إليه بكثرةِ جمعٍ وشوقٍ وإقبالٍ تامٍّ، ويأخذون منه الطَّريقةَ، فلما وصل إلى شيخه قدس سره وعرف الحال؛ تغيَّرَ عليه، فطرده عن الطَّريقة بعد تلك الإجازة، وبعد ذلك لما مرّ على الذين كانوا يتلقَّوْنه بالقبول وأخذِ النِّسبة عنه؛ لم ينظرْ أحدٌ منهم إلى وجهه، أي: بتلك الرُّؤية من تلك الجهة، نتيجةً لسلب ذلك النُّور عنه.

فقال شيخنا الأجلُّ الشيخ محمد علاء الدين قدس سره: كنّا مرَّةً مع الحضرة قدس سره، وبتنا في قرية لِيرد، وكان الوقتُ وقتَ قلَّة القوت والغلاء بسبب استيلاء العدوّ الروس على المملكة، فأعطانا مضيفنا أقراصاً من الخبز وعلبةً صغيرةً من الرائب، وقال: والله لا نجدُ غيرَ هذا. وكان الحضرةُ قدس سره كثيراً ما يقول: إنَّ طعامَه ـ أي: ما قدّمه إلينا ـ ما ألذّه طعاماً، وأحسن مأكلاً. فبعد أن أردنا في الصباح الرحلةَ من عندهم؛ وقع طريقنا على مقابر القرية، فقلت: إنَّ مرقدَ الشيخ عبد القادر هنا، فقال الحضرة قدس سره: فلنزره، فزرناه، وأدَّينا وظيفةَ الزِّيارة، وبعد أن رجعنا قال الحضرة قدس سره: قال ساداتنا قدس سرهم: إنَّ طردَه كان صوريّاً فقط لا حقيقيّاً، بدليل أنَّ بعضَ مشايخ الوقت أرسلوا إليه، وقالوا:

فليأتنا نقبلْهُ، فأجابهم بأنَّ علاقتي به بعد الطَّرد أَوْثَقُ لي من قبول غيره، فقال الحضرة ﷺ: إنَّ مرقدَه كثيرُ النِّسبة، ومشحونةٌ بالفرح القلبيّ، فالمرجوُّ من الله تعالى أن يجعله كذلك[1].

وقال شيخنا[2] ﷺ أيضًا: بعدما اندمل جرحي من ضربة الفقيه المجنون، وذلك أنَّ الفقيهَ كان مجنونًا يَصْرع في بعض الأوقات، ففي وقتٍ منها ضربه بالفأس بحيث يُرى مُخُّ رأسه في كسر عظمه، ولم يَنْقَضِ بذلك حياته، وداواه بعضُ[3] الأطباء، فشفي بحمد الله، ودام عنده [١٠٨] الحضرة ﷺ إلى تمام الشِّفاء، فسأل عنه ﷺ: ما كان هذا؟ ومم نشأ؟ فقال الشيخُ: ولا نعلم ذلك، إلا أنّي كنت أطالعُ «مكتوبات الإمام الرباني» وأحواله ﷺ، فهجس في بالي أنَّ المشقَّات التي قاسها هؤلاء الكرام لم نر عُشْرَها، فأين هم وأين نحن؟

** ** **

(١) في حاشية (ب): (أي: صوريًا).

(٢) في حاشية (ب): (أي: الشيخ محمد علاء الدين).

(٣) وهو محسن أبو عبد العزيز الطبيب الموطكي المشهور رحمه الله.

[مبحث ذهابهم لأداء الحجِّ وزيارة النَّبيِّ ﷺ][1]

فقال الحضرة ﷺ: إذا قُل: إنّي طلبتُ البلاءَ بنفسي من الله تعالى، فهيَّجَتْني تلك المصيبةُ إلى سفر الحجّ، فأردتُ السفرَ إليه في سنة (١٣٢٥هـ) أي: ثلاثمائة وخمس وعشرين بعد الألف، فألقَيْتُه إلى حضرة الحضرة ﷺ، فقال: لا تقصِّرْ في ذلك، وإنّي أيضًا أريد ذلك، لكن بي ضيقةُ اليد من المصاريف، فقلت: أما إذا أراد الحضرةُ ذلك وتشبَّثَ به؛ يقضيه اللهُ تعالى باليسر إن شاء الله، فصمَّم الحضرةُ ﷺ أيضًا ذلك السّفر، فقام معه أخوه الشيخ محمد سعيد وابنه الملا فتح الله أعلى الله تعالى درجاتِهما، وأرادا ذلك السَّفرَ، وتهيَّئا له، فلما انتشر في الناس ذهابُ الحضرة ﷺ إلى الحجّ؛ اجتمع معه جمعٌ كثيرٌ من خلفائه، وهم الأستاذُ العلامةُ الملا عبد الكريم، والشيخُ محمود القره كُوي، والملا إبراهيم النَّيْنِكي خليفة الأستاذ الأعظم قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ الْعَلِيَّةَ، وبعضٌ كثيرٌ من وجوه الناس، فذهبنا إلى ديار بكر على خيولنا، ومنها أرجعنا الخيولَ، ومنها كنا نكتري بايتُون من منزلٍ إلى منزلٍ، إلى أن وصلنا الشّام الشّريفة، ومنها إلى بيروت، ثم ركبنا الباخرةَ إلى موضع قنال السُّوَيْش الذي شَقَّه السلطان عبد الحميد ﷺ، فقال الرئيس ـ أي: رئيسُ الملاحين ـ: لا نعبرُ من

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

هنا إلى ثلاثة أيامٍ، وكان قريباً من مصر، فقلت للحضرة قدس سره: لا بُدَّ أن نزور الإمامَ الشافعيَّ رضي الله عنه وغيرَه من الأكابر في مصر، فقال الحضرة قدس سره: إنّي أودُّ ذلك، لكنَّ الملا فتح الله لا يريد ذلك؛ لأنَّ به مرضاً، ولا ينبغي أن أتركَه، ولكن اذهبوا أنتم وأنا أمرّضه، فذهب شيخنا الشيخُ محمد علاء الدين وأستاذه [الملا عبد الكريم](١) مع بعض الرفقة، ودخلوا في مقام الأكراد في الجامع الأزهر؛ لأنّ لكلِّ ملَّةٍ فيها(٢) مقاماً معلوماً.

وقال الشيخ: كنّا نزور المشاهدَ المعظَّمةَ بالنَّهار، ونرجع إلى ذلك [١٠٩] المقام بالليل، وإذا أعلن طلبةُ الأكراد في سائر الملل أنّ أعلمَ علمائنا هؤلاء الذين جاؤنا من الممالك العثمانيَّة، فجاء أساتيذهم بمشكلاتهم، فحلّ بعضَها الأستاذُ الملا عبد الكريم، وبعضاً بيَّنْتُه أنا، وقبلوا ذلك، ثم رجعنا إلى باخرتنا وهي راسيةٌ في الميناء، إلى أن أرساها في ميناء جدّة، ومنها انتقلنا إلى مكّة المكرّمة، فأتممنا نسكنا، وكنت أتمنّى رؤيةَ الشيخ محمد مراد القزويني مترجم «الرشحات» من الفارسيّة إلى العربيّة وأسأله، ولم يعرفْهُ أحدٌ، حتى رأيت رجلاً طاعناً في السِّنِّ خرج من المسجد الحرام وسجّادته على عاتقه، يقوم له النّاسُ ويحترمونه، فسألتهم: من هذا؟ قالوا: هو الشيخ محمد مراد القزوينيّ، فقصدتُهُ حتى بلَغْتُه، وقبّلت يده، فقال: مَنِ الرجلُ؟ فقلت: من مملكة الأكراد، وكنت كثيراً أطلب وأودّ رؤيتك وزيارتك، ولم أتمكن إلّا

(١) ما بين معقوفتين من متن (ب)، وهي في حاشية (أ).

(٢) قوله: (فيها) سقط في (ب).

الآنَ، ولا أعرف بيتك، فقال: بيتي في محلة الفَلَقِ، وفي الغد سألتُ الناسَ عن محلة الفَلَقِ، فقالوا: الفَوْق، فذهبت إلى أن وصَلْتُها، فسألتُ عنها رجلاً، فقال: هي هذه، وسألت: أين بيت الشيخ محمد مراد القزويني؟ فقال: لا نعرفه، حتى رأيت واحداً وسألته، فقال: إنَّ القزوينيين يجتمعون عند هذا البيت، وأظنُّ أنّه بيتُه، فأتيتُه ورأيتُه في بيته، وتكلَّمْنا كثيراً، فقلت له: إنّي أطلبُ كتابك «الرشحات»، ولا يوجد في مملكتنا، فقال: عندي نسخةٌ، لكن فيها نقصٌ بكراسةٍ، قلت: فلتكنْ كذلك، فأخذها ونظر إليها، فقال: والله لم ينقصْ شيءٌ، ولكن تقدَّمَ وتأخّر الكراسات، فأعطانيها، وأردت أن أعطيه ثمنه، قال: بل هو هديّةٌ منّي إليك، فأخذته بسرورٍ وفرحٍ، ثم أعطيتُهُ هديّةَ المملكة من السجادة والجورب وغيرهما، ثم أتممنا حجَّنا، تقبل الله منا، ومن سائر المسلمين الآتين والماضين، فقصدنا المدينةَ المنوّرةَ لزيارة من ينبغي أن تزوره البيت وسائر الحرم ﷺ. اللهم ارزقنا وإخواننا المسلمين زيارة تلك المملكة مرّةً بعد مرّةٍ.

ثم بعد أن خرجنا من مكّة المكرّمة؛ وقعت في قوافل الحجاج الدّاهيةُ الكبرى [١١٠] المسمّاةُ بقولَارَه، فتعجَّلت القوافلُ، وأسرعوا سرعةً(١) شديدةً ليصلوا إلى المدينة المنورة، وينجوا من تلك الدَّاهية.

وتوفّي بذلك المرض صهرُه الشيخُ نجم الدين التيلانيّ بن الشيخ حبيب من سلالة القادريَّة الكرام الأشراف، أعلى الله درجاتهم، ودفن برابغ.

(١) في (ب): (أُسْرعةً).

وبعد أن وصلنا المدينةَ رفع الله تعالى تلك الوباء الداهية الكبرى بيمن النبيّ المختار[1] عليه الصلاةُ والسلامُ عن الحجّاج، وأتممنا وظيفتنا فيها، وزُرْنا علماءها وأكابرها، وأولم مفتي الشّافعيّة للحجّاج عامّةً، وأضاف إليها علماءهم، ودعا الحضرة (قدس سره) ورفقته أيضاً إليها.

ولما أدخلنا في ديوانه، ورحّب بنا وبهم ترحيباً جميلاً، قال للحضرة (قدس سره): هل تودُّون أن تنظروا من هنا إلى القبّة الخضراء على الرّوضة المطهرة؟ فقال: نعم، فرفع السِّترَ، فإذا هي تُرَى من هنالك، فقمنا إعظاماً لها على أقدامنا، ودعونا بما تيسَّرَ لنا.

ثم سأل عن الحضرة (قدس سره): مَن رفقتك؟ فبيّن له إجمالاً، وأشار إليّ، وقال: هذا ابنُ أستاذي وشيخي فلان (قدس سره) في العلمين[2] الظاهريّة والباطنيّة معاً، فأطال الحضرةُ (قدس سره) بحث الشيخ الأكبر (قدس سره)، وقال: هو الشيخُ فتح الله الورقانسيُّ، وله اليدُ الطُّولى والرُّتبةُ العليا في كلِّ العلوم والمناقب، فقال المفتي: كنا نسمعُ من أخباره (رضي الله عنه)، وبعد البحث عنه قال: فلنقرأ الفاتحةَ لروحه تجاه القبّة السّعادة الخضراء، فقرأ وقرأنا، ثم قال: هذا مصداقُ الحديث النبويّ ﷺ: «**إذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ قطع منه جميع أعماله غير ثلاثة: الصّدقةُ الجاريةُ، والعلمُ المتسلسلُ، وولدٌ صالحٌ**» أو كما قال، ولو لم يكن هذا الولدُ الصالحُ؛ لم

(١) قوله: (المختار) سقط في (ب).

(٢) الظاهري والباطني، نسخة.

يقرأ له الفاتحات في هذا المقام، ولم يُدْعَ له بالفوز والنَّجاة.

وسئل في ذلك المجلس عن الزّكاة في البَنْكَنُوت، حتى سألوا عنا أيضاً، وقالوا: كيف علمُكم بذلك؟ قلنا: إنَّ فيها زكاةً على ما نعلم، فإنَّ لها حكمَ النقدين، فقولنا وافق طباعهم، وسُرُّوا به.

وقال شيخنا الشيخُ محمد علاء الدين (قدس سره) أيضاً: خرجنا بكرةَ يومٍ نقصد الرَّوضةَ المطهَّرةَ، ورأينا قد انجمد الماءُ في بعض المواضع، [١١١] فقلت للحضرة (قدس سره): هذه الليلةُ كانت ليلةَ الصّليب، وهذا البردُ بردُه، فقال الحضرة (قدس سره): سبحان الله، أثّر صليبهم لعنهم الله إلى هنا، وأتمُّوا بحمد الله حجّهم، تقبّلَ الله منهم، ورجعوا إلى مملكتهم سالمين غانمين بالزُّلفى والسّعادة.

وكان أوّلُ ذهابهم إلى الحجّ في آخر سنة (١٣٢٥) أي: الثلاثمائة وخمس وعشرين بعد الألف من الهجرة النبوية ﷺ، ورجوعُهم أصاب أوّلَ سنة (١٣٢٦) أي: ست وعشرين بعد ما ذُكر.

وكان من عادة الحضرة (قدس سره) أنّه يزور أهلَ الفضل كائناً من كان، ويحترمهم، ويطلب الدُّعاءَ منهم، وقد كان يقرأ[1] في قرية حَلَنْزة عند الملا مصطفى الحلنزي البدوي ﵀[2]، فبدا له أن يزور الشيخ محمداً الحزين

(١) في حاشية (ب): (أي: الحضرة رحمه الله).

(٢) أي: من سلالة السيد أحمد البدوي (قدس سره).

الفِرسَافيّ رحمه الله في قرية فرساف، فذهب إليها، وسأل عنه، فقيل له: إنَّه في الموضع الفلانيّ يقطعون له الأشجارَ وهو عندهم، فذهب إليه، وقدّم له نفسه قدس سره بأنّه ابنُ الأستاذ الأعظم قدس سره، فأجلسه عنده بإجلالٍ، وتكلَّمَ معه هنيهةً[١]، ثم أراد الحضرة قدس سره أن يستأذن منه في الرُّجوع، فقال رحمه الله: بل نذهب إلى البيت ونأكل شيئاً، فقال الحضرة قدس سره: لا، بل جئناك زائرين ومُسْتَدعين، وتيسّرَ لنا المقصودُ، وادع لنا خيراً، فأجابه بأنْ أحسن الله إليك، ووفّقَ دأبك[٢].

وكان دأبُه قدس سره هكذا، ويدلُّ على أنَّه أمات نفسه، وألقاها من البين.

** ** **

(١) في (ب): (هنيئة).

(٢) في (أ) و(ب): (وفق أدبك)، والصواب ما أثبتناه.

[مبحث بعضٍ من صحبته قدس سره][١]

وينقل شيخنا الشيخُ محمد علاء الدين عنه قدس سره أنَّ صحبتَه ليست من النُّقول أو السَّماع من الفحول، بل كان يبحث أوّلاً عن شيءٍ، ثم يموج على قلبه قدس سره كموج البحر، وينثر[٢] منه دُرَرَ المقامات، وغُرَرَ الألطاف والمُلْهَمَات، وكان هذا دأبَه قدس سره دائماً، لا في مجلسٍ أو مجالسَ متعدّدةٍ، بحيث لو أراد أن يعيد صحبةً من تلك الصُّحبات مرّةً؛ لَكَلَّ عن ذلك؛ لأنّها لم تكن نقلاً، بل كان إلهاماً من الله تعالى.

ووقعتْ منه قدس سره صحبةٌ بديعةٌ غريبةٌ في قرية ورقانس، وهي أنَّه قدس سره خرج بعد صلاة الظُّهر مع جمعه من العلماء والخلفاء إلى بِرْكَةٍ قريبةٍ من القرية، وابتدأ بالصُّحبة، وقال أوّلاً: إنَّ هذه القريةَ مكانُ الأكابر من الأولياء [١١٢] والصُّلحاء، وأطال على ذلك ما لا يعلمه الأوائلُ ولا الأواخرُ ولا الحاضرون، فاستغرق كلُّهم من تلك الصُّحبة واندهشوا، ولم يَبْقَ شعورٌ لأحدٍ، وكان أستاذي الملا عبد الكريم رحمه الله غاب عن شعوره، واسترخت عمامتُه في عنقه، ورعف الشيخُ محمد سعيد أخو الحضرة قدس سره من شدَّة تأثير تلك الصُّحبة، وأُصيب كلُّ بشيءٍ بحيث غفلوا عن صلاة العصر حتى بقي من

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) وينتشر، نسخة.

وقتها مقدارُ نصفِ ساعةٍ، فقال واحدٌ: فاتت صلاةُ العصر، فقاموا وصلّوها.

وقال شيخنا الشيخُ محمد علاء الدين (قدس سره) أيضـاً: وصحبةٌ له أخرى كذلك كانت في قرية تِلّو، ولكن لم أكن هناك حاضراً، وبعد أن توفّي هو وذهبنا إلى الشيخ محمود القره كوي (قدس سره) حكى هو لنا حالَ تلك الصُّحبة، وقال: ما كنت حاضراً أوّلَ الصُّحبة، ثم لما دخلت المجلسَ شممتُ منها رائحةً كثيرةً طيّبةً، ورأيت الحضرةَ (قدس سره) يأتيه لونٌ ويذهب آخرُ متعاقبـاً هكذا، ورأيتُ نوراً عظيمـاً يعلو المجلسَ، ويدور عليهم، ورأيتُ النّاس كأنّهم سكارى، نعم، إنّهم كانوا سكارى من خمر المحبّةّ الإلهية، ولم أرَ أحداً منهم صاحيـاً، ولا من يأذن لي بالجلوس، فجلستُ أنا الآخر في مكاني، وغمضت عيني.

وقال: كانت الصُّحبةَ بحيث لا أقدرُ أن أصفها، وكنت أرى أنَّ تلك الحالات تخصُّني، ولما خرجنا رأيتُ القوم كلَّهم يخبرون عن حلاوة تلك الصُّحبة، ودهشة العقول والقلوب عنها.

ثم دار (قدس سره) في قرى الأتباع لإرشادهم وإهدائهم، ورؤي منه غرائب وعجائب أكثرَ منها في سائر الأسفار، وقال واحدٌ من الأتباع: نِعمَ السّفرةُ هذه سفراً، ولكن لم يكن فيها وزيرُ الحضرة الشيخ محمد علاء الدين (قدس سرهما)، وكان الوزيرُ فيها الشيخ محمود الذوقيدي (قدس سره).

ويقول الشيخُ محمد علاء الدين (قدس سره): كان الحضرة (قدس سره) يقول للعلماء: لا

أقول: أنا أعلم منكم في كلِّ العلوم، لكن أقول كذلك في علم الشَّريعة، وذلك ليس منّي، بل بسببيّة الشَّيخ الأكبر (قدس سره)؛ لأنّه كلّما كان ينظر إلى كتابٍ لفتوى؛ يأمرني بالتَّفتيش والنَّظر [١١٣] إلى قاعدة الاستخراج، ويبيِّنُها لي، بحيث لو لم أكن حاضراً وأفتى في غيبتي؛ فإنَّه يريني بعد حضوري، ويريني كيفيَّتها من الرَّأس.

وسمعنا من الشيخ معروف بن الشيخ الأكبر (قدس سره) أنَّ الحضرةَ (قدس سره) لبس يومـاً الِخفَّتان الغيرَ المشقوق الأمام، وجاء إلى الديوان، فرآه الملا أمين أخو حرمه المحترمة (قدس سره)، وقال: ما هذا؟ وليس من لبس العلماء، فقال الحضرة: هذا أسبلُ وأَوْلى للسَّتر، فتكلَّما على ذلك، ثم قال الملا أمين: أرأيتَ إن كان الشيخُ الأكبرُ حيّـاً: هل يقبلُ هذا منك؟ فسكت الحضرة (قدس سره) كالقابل لقوله، فذهب إلى البيت وأخرجه، ولبس ما هو المعهودُ للعلماء، ولم يلبس ذلك من بعدُ.

ونقل الشيخُ معروف (رحمه الله) أيضـاً في حقّ الملا أمين (رحمه الله): أنَّه حينما احتضر قرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، ويكرّرُه بشدّةٍ كأنَّه يُزْعِج مَن يخالف هذا ويتهدَّده، حتى توفي إلى رحمة الله تعالى.

وكان من دأبه (رحمه الله) أنَّه يجادلُ كثيراً مع الحضرة (قدس سره)، فقيل له: لَترى وخيمة تلك المجادلات مع الحضرة (قدس سره)، فتركها زمنـاً، فقال له الحضرةُ (قدس سره): لِمَ تركتَ التّكلُّم الجداليّ العادة لك؟ قال: إنّي أخاف أن يكون ذلك ضرراً بالآخرة، فقال (قدس سره) له: لا يضرُّك إن شاء الله، فكلما رأيتَ منا شيئـاً ما؛ فلا تأمَّل

ولا تُقَصِّر فقل(١). وقد كان اهتمامُ الحضرة ﷺ بأمر الشَّريعة والطَّريقة بحيث كان يدور في القرى، ويأمر وينهى، ويصلحُ أمرَ الدِّين، بلا توانٍ ولا تراخٍ مع خلفائه وسالكيه، وبعض من سائر الأتباع، وجعل العادةَ في نورشين أنَّه يُتَوِّب النَّاسَ جميعهم ليلةَ العيدين، سيّما أهل بيت الأستاذ الأعظم ﷺ، حتى إنَّه يتوبُ هو ﷺ على يد من رآه أفقرَ في القرية، ولم نحفظ اسمه ﷺ.

وقال الملا عبد الهادي بن أخي الحاج سليمان أفندي البتليسيّ: جاء الحضرة ﷺ مرَّةً في الخريف وكان الهواءُ بارداً جدّاً إلى بيت الشيخ الأكبر ﷺ في قرية بِرْناشين، ولما قام قبل السّحَر للتهجُّد؛ لم يقدر من البرد أن يتمَّ وظيفتَهُ على سجّادته في المحراب كما هو عادتُه، [١١٤] فجاء قرب النار، وقال: صدق القائلُ:

دَرْكُو دَكى عَمَل كُنْ مَكوكِه من جُوَانم(٢)

فَرداكــه بيرباشــي كــوي كــه نــاتوانم

والحالُ أنَّه ﷺ عمل من طفوليّته إلى كهوليّته(٣) لله تعالى، ولكنَّه قال هذا تعليماً للناس.

** ** **

(١) في حاشية (أ): وقل، خ.

(٢) في (ب): عمل كن مبثرة أزجوانيم، وفي حاشيتها: (مكوكي) نسخة. (من) خ.

(٣) شيخوختهِ، نسخة.

[مبحث الحرب العموميّ الأوّل](١)

وفي سنة (١٣٣٠) أي: ثلاثمائة وثلاثين بعد الألف الهجرية أُعلِن الحربُ بين الرّوس العدوّ الغاشم أهلكها الله وبين دولة الإسلام العثمانيّة الأتراك أيّدها الله، فأبدى الحضرةُ ﷺ في تلك الحرب جسارةً كبيرةً، وشجاعةً باهرةً، لم تُرَ من آحاد الأبطال، ولنيل فضيلة الحرب جَعل بين أولاد الأستاذ الأعظم ﷺ مناوبةً أن يحارب بعضٌ منهم، ثم بعضٌ، وهكذا لِيُعَدُّوا من الغزاة الكرام، ولم يُحرَموا من ذلك الثواب العظيم.

وقد هجم الرّوسُ أوّلاً إلى قريبٍ من قرية قليج كيدوك، ولم يتمكَّنوا من التَّقدُّم إلى الأمام، وقصد عسكرُ الإسلام أن يزحفوهم، وقصدهم أيضاً عسكرُ الحضرة ﷺ ومعه شيخنا الشيخُ محمد علاء الدين، وكان معه دائماً ولا يفارِقُ عنه، والشيخ محمود القره كوي، والشيخ أحمد الخزنوي، وبعضٌ من أولاد الأستاذ الأعظم قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ [العَلِيَّةَ](٢)، وسائر عساكرهم من جمع موسى بك الخُيوطي، وسائر الآغاوات، وسدُّوا أمام العدوّ في قليج كيدوك، وحينما(٣) خرج الحضرةُ ﷺ من البيت ملتفّاً

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) ما بين معقوفتين من (ب).

(٣) ظرف قال الآتي.

بالألبسة وفي منكبه سلاحُه التِّفَنْك[1]، وركب، ويرقص تحته فرسه نشاطاً، وأذَّنوا خلفهم أذان الصَّلاة، وكان الملا محمد اليتيم ﷺ حاضراً، وكان ذا لطيفةٍ وظرافةٍ، فابتدأ بشعر الملا الجزيري ﵁:

اي شَهِنْشَاه مُعَظَّم حق نكهداري تـه بي

سورة ﴿إنا فتحنا﴾ حافظ ويـاري تـه بي

إلى آخر القصيدة. قال الشيخُ محمد سعيد أخو الحضرة ﵁: كان الحضرة ﵁ قد أخذ منا كلّ الكمالات، وبقي لنا كمالُ الشّجاعة والرجوليّة، فأخذه أيضاً.

وقال الأستاذُ الشيخ محمود القره كوي ﵁: كنت أخرج للحرس في بعض الليالي، وكان الوقتُ بحبوحةَ الشّتاء وشدّة البرد، وكنت دواماً أخدم الحضرةَ ﵁، فأحسَّ بذلك ليلةً، فقال لي: نِعمَ ما تفعل، وذلك خيرٌ كثيرٌ، وفضلٌ كبيرٌ، ولو كنت قادراً على ذلك؛ لفعلتُ أنا أيضاً مثلكم، ولكنَّ الله يعلمُ أنّي غيرُ قادرٍ على مثل هذا [١١٥] في مثل هذا البرد الشّديد، فافعلوا أنتم أثابكم الله وإيّانا.

وكان الملا عمر أفندي الواني خَتَن الشيخ الأكبر ﵁ معهم يقول: كان محلُّ نومي والشيخ أحمد الخزنوي مع الشيخ محمد علاء الدين قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ - أي: في مكانٍ واحدٍ -، ومحلّ نومِ حضرة ﵁ غير محلّنا، وفي بعض

(١) في (ب): (التِّفِنْك).

الليالي كنت أذهبُ إلى صحبته ﵁، وكان ﵁ يُظهِر في بعض كلامه رضاه عن الشيخ أحمد الخزنوي ﵄، وحينما أتيتُ إلى مكاننا قلتُ للشيخ أحمد ﵁: إحدى عَينَي الحضرة تنظر إليك وحدك، والأخرى تنظر إلى[1] سائر النَّاس سواءً.

وكان في الحرب كلُّ خليفةٍ من خلفائه ﵁ مع قومه وعشيرته، حتى كان الشيخُ محمود الذوقيديّ ﵁ مع قومه من عشائر غَرزَان كالبنجناريين وغيرهم، كلٌّ منهم في جبهةٍ من الحرب، وكان عادتُه ﵁ كذلك يذهب[2] إلى الحرب بنفسه، أو يرسل رجلاً من أولاد الأستاذ الأعظم ﵄ بدلاً عنه؛ كيلا يخلو ذلك الميدانُ المباركُ عنهم[3].

وقد أعطى بعضٌ سيفاً جيداً ماضياً للحضرة ﵁، فتقلّدَ به ﵁ اقتداءً بسيد السّادات[4] عليه أفضلُ الصَّلوات وأكملُ التَّسليمات وعلى آله وصحبه أجمعين في الحروب، فسرقه منه الشيخُ سليمان الآبريّ، فتأثَّر ﵁ من ذلك كثيراً، وقال: قد حصل لي[5] بذلك السَّيف رابطةُ النبيّ صلَّى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم[6]؛ وذلك لأنه ﵁ تزَيَّا بذلك في زِيِّ الصَّحابة ﵃

(١) الناس جميعاً معاً، نسخة.

(٢) بيان كذلك.

(٣) في حاشية (أ): منهم، خ.

(٤) الكائنات، خ.

(٥) قوله: (لي) سقط في (ب).

(٦) في (ب): (صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم).

في الحروب، وقال: كنت أقول: إنَّا نصلّي في مسجد بلدة قرص التي سلبها الروسُ في محاربة سنة (١٢٩٣) أي: مائتين وثلاث وتسعين بعد الألف الهجرية من المسلمين، وحينما فقدتُ ذلك السَّيفُ الميمونُ؛ غاب عني تلك الرَّابطةُ العظمى، وكان قدس سره يكرِّرُ قولَه: سُرِقَ سيفُنا، وغابت تلك الرَّابطةُ العظمى، وفاتنا الاستيلاءُ على بلدة قرص، ونحن نعلم أنَّ الله تعالى ألقى في رُوعه أنَّ عسكرَ الإسلام تستولي على بلدة قرص في تلك المحاربة، وتأخذها في السَّاعة الفلانيَّة، فإنَّ فتحها وإن فات في تلك السَّاعة، لكن حصل بعد أيامٍ.

وأما وقائعه قدس سره في تلك المحاربة؛ فكثيرةٌ لا نحيطُ [١١٦] بها علماً، فلا نطوِّلُ الكلامَ عليها، فالعذرُ من النُّظَّار.

والبطلُ المغوارُ الشيخ محمد سعيد ومحمد أشرف أخو الحضرة قدس سره(١) استُشْهِدا في تلك المعركة رحمهما الله، ولا حرمنا وجميع المسلمين من أجرهما، ولا هما وإيانا من فيض وأجر الحضرة قدس سره، وسائر خلفائه قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ.

ولما استولى العدوُّ الغاشمُ الرّوسُ على بلدة موش وصحرائها؛ انتقل بيتُ الحضرة قدس سره كله إلى قرية شيخان، وبقي هنالك إلى قريبٍ من الربيع، وكان يقول شيخُنا الأجلُّ الشيخ محمد علاء الدين قدس سره: إنّ الروسَ لعنهم الله استولوا على أراضي موش ونورشين رأساً، وجاوز إلى صحراء رَحْوا، فذهبت إلى بتليس لاستنشاق الأخبار، فرأيتُ الوالي وأمراء العسكريّة،

(١) في (ب): (قدّس سرُّهم).

وسألتهم الكيفيَّةَ، فقالوا: إنَّ بلدةَ أرضروم بحالها، وأهلها يحاربون، ولم يَحُزْ بها العدوُّ(١)، ونحن هنا وعسكرُ العدو في رَحْوا، فلَنُحاربنَّهم ونخرجنَّهم من أرضنا، فرجعت من عندهم إلى السُّوق، ورأيتُ العالمَ النحريرَ الملا سعيد المشهور ببديع الزمان رحمه الله، فسأل عنّي: من أين؟ إلى أين؟ فقصصتُ عليه كلَّ ما سمعتُه من الوالي والأمراء الخونة، فقال: والله إنَّهم لكاذبون، وقد استولى العدوُّ على أرضروم، ونخاف من استيلائهم على بتليس، ولا قوّةَ ولا عسكرَ يثبتون في وجوههم يمنعونهم، وليجعلون الناسَ أسارى في أيدي العدوّ، وحلف لي بأنَّك لا تبيت في بتليس، بل اذهب إلى الحضرة قدس سره، فلينقل هو وأنتم بيتكم من الخيوط إلى أرضٍ أخرى(٢)، فلا يَذِلَّ الأطفالُ والنِّسوانُ في أيدي العدوّ، وأما أنا؛ فليس معي إلا فقيهان، فإذا جاء العدوُّ؛ نحارب قَدْرَ وُسْعنا، فإن استُشْهِدنا؛ فإلى أحسن المأوى، وإن بقينا؛ يفعل الله بنا ما يشاءُ.

وحقّاً دخل الروسُ بلدة بتليس، وحارب الأستاذُ ذلك رحمه الله حتى جُرِحَ وأسر، وذُهِبَ به إلى بلاد الروس، ويطول استقصاءُ حاله رحمه الله، مع أنَّا لا نعلمه بالتَّمام، فنتركه فليس علينا أيُّ ملامٍ، وليُطلَبْ تفصيله من «رسائل النُّور» رضي الله عنه وأعلى درجته.

ثم قال شيخنا الأجلُّ الشيخ محمد علاء الدين قدس سره: فبعد أن أكّد [١١٧] عليَّ أن لا أبيت في بتليس؛ جئتُ إلى الحضرة قدس سره في قرية شيخان،

(١) في (ب): (ولم يَخرُبْهَا العدو).

(٢) موضع آخر، نسخة.

وقصصتُ عليه (قدس سره) كلَّ ما سمعتُ من الوالي والأمراء الخونة، وما سمعتُ من الأستاذ بديع الزّمان (رحمه الله)، وحينما سمع الحضرة (قدس سره) الاستيلاء على أرضروم؛ لم يَنَمْ لا هو ولا نحن في تلك الليلة حزنًا وأسفًا على ذلك إلى الصَّباح، ثم قال لي الحضرةُ (قدس سره): فاذهب إلى برناشين، وأرسل قاصداً إلى بتليس، فليأتنا بحوادث الحال، فأرسلتُ قاصداً، فذهب إلى جبلٍ مسمّى بسري داري، إذا النّاسُ فوجًا فوجًا يهاجرون إلى أرض الموطكي، والوالي والرؤساء من العسكريَّة وغيرهم لم يجدوا طريقًا في وادي بتليس إلى موضعٍ آخر، وهم في النّاس يقصدون الموطكي، فرجع القاصدُ إلينا، فأرسلتُ الجوابَ إلى الحضرة (قدس سره)، وقلتُ: فالآن أخرجتُ البيتَ من برناشين، وأفرَغتُها للحضرة، فليأت بالبيت[١] والحرم إليها.

فقال الشيخُ (قدس سره): فذهبتُ مع البيت، وأبقيتُ الشيخ محمد جنيداً (رحمه الله) في برناشين، وقال هو: لما جاء الحضرة (قدس سره) إلى برناشين قال لي: إنّ حلقي متوجِّعٌ، فائت لي بماءٍ حارٍّ أشربه لإزالة ذلك، وكان لي في حجرتي تدبيرُ الشّاي وغيره مقدار ما يكفي لشخصٍ متوحّدٍ عن الأهل، فدعوتُ الحضرةَ (قدس سره) إليها، فلما جاء ورأى ما فيها من التَّدبير؛ سُرَّ بذلك، وصنعتُ له الشّايَ، فشربه، وزال عنه ذلك الوجعُ، وقلتُ له (قدس سره): فالآن نذهب إلى قرية كاشاغ، وهي كانت للأرمنيين، فأَجلوا عنها، وبقيت خاوية[٢]، فإن زرعنا فيها مزارعَ

(١) بالأهل، خ.

(٢) في متن (ب): (خالية)، وفي حاشيتها: (خاوية).

هل يمكننا حصادُها والأكلُ منها؟ فقال الحضرة (قدس سره): نعم، لا تتهاوَنْ ولا تقصَّرْ، يمكننا الأكلُ منها إن شاء الله تعالى، ولا نقطعُ أُميدَنا عن الله تعالى، وليكن مني كرامةً عندك أنَّ عسكر الإسلام ليصلون في مسجد بلدة قرص إن شاء الله تعالى. وقد حقّقَ الله ذلك الأملَ من بعدُ.

واستقرَّ بيتُ الحضرة ـ أي: الأستاذ الأعظم (قدس سرهما) وبيت الشيخ الأكبر (قدس سره) ـ في قرى موطكان، ورجع رجالُهم إلى مواجهة العدوّ، وبعد أن استُشْهِد البطلُ المغوارُ الشيخ محمد سعيد (رحمه الله)؛ سُلِّم أمرُ البيت ومدافعة العدوّ [١١٨] بالتَّمام في يدي الشيخ محمد معصوم (رحمه الله)، فانفرد هو لجمع العساكر وتدبير سائر الأمور المختصّة بالحرب مع الأعداء، وأبدى شجاعةً عظيمةً بحيث لم تُرَ من أيِّ بطلٍ مغوارٍ، حتى كان يُعَدُّ (رحمه الله) ثالثاً للشيخ جلال الدين بن الغوث الأعظم (قدس سرهما)، ولعمه الشيخ محمد سعيد الهِزَبْرَين الشجاعين الشهيدين السعيدين.

وكان شيخنا الأجلُّ الشيخ محمد علاء الدين (قدس سره) يحكي ويقول: كنا في الجبهة يوماً ونصلّي العصرَ في أرضٍ قريبةٍ من قرية كرب خلف بلدة بتليس، وكنت أنا إماماً، فرشَّ علينا العدوّ بالبنادق من الأسلحة الكبرى المسماة بالمدافع[١]، فلم أستعجلْ في صلاتي، بل صلّيْتُ بتؤدةٍ وهنيهةٍ[٢]

(١) أي: التوب.

(٢) في (ب): (وهنيئة).

حتى أتمَمْنا صلاتنا، فقال الحضرة قدس سره: استعجلوا إلى التَّفرُّق كيلا تصيب البنادقُ لجمعكم، وفرح قدس سره بصلاتنا بتلك التُّؤدة وعدم الإسراع بها.

وكان الحضرةُ يجعله إماماً دائماً عند حضوره قدس سرهما، ثم وفَّقهم الله تعالى لأن منعوا ذلك العدوَّ الغاشمَ من العبور إلى أرض موطكان، وردُّوهم إلى خلفهم القهقرى.

وبعد ذلك دام الحربُ، وسكن الحضرةُ قدس سره وعسكرُه في جبل شيخ عمر الحاجز بين الموطكان والخيوط، والعدوّ في جبل نبات مقابلاً لعسكر الإسلام، وكانت المحاربةُ بينهم في الدَّوام، وكان معسكرُ الإسلام في دوخانان الكائنة في وادي بتليس قريبةً منها.

وقال الشيخُ قدس سره: ذهبنا مع الحضرة قدس سره إلى رئيس العسكريَّة هنالك، وبقينا عندهم بضعةَ أيامٍ، فقال الرئيسُ: قوَّتُنا ماديّةٌ ومعنويّةٌ تامةٌ، نضرب في وجوههم، ونخرجهم من بتليس إن شاء الله تعالى، وكنت مترجماً بينهما، فسأل الحضرةُ قدس سره: ما القوّتان؟ فقال: أما الماديّةُ؛ فكثرةُ العساكر والأسلحة، وأما المعنويّةُ؛ فذات حضرة قدس سره. فقال قدس سره: سل عنه: هل هذا لتفريح قلوبنا وتطييبه[1] أم هو حقيقةٌ؟ فأجاب: بأنَّه حقيقةٌ، فقال الحضرةُ قدس سره: فما دام هو حقيقةٌ؛ فأدخلوني في بيتٍ، فلا أرى أحداً ولا يراني أحدٌ حتى أتضرَّعَ إلى المولى سبحانه وتعالى لنصرتكم على العدوّ، فإنّي منذ كنت

(١) في (ب): (وتطييبها).

ههنا لم أسمعْ صوتَ أذانٍ، ولم أرَ جماعةً، والحالُ أنَّهما من عظيم شعائر الإسلام، ولم يَعُجْ إليهما أحدٌ منهم، فقال القُمَنْدار: بل لنا مسجدٌ وإمامٌ وجماعةٌ خلف [١١٩] هذا التلّ ـ لتلٍّ كان هنالك ـ، فإن شئتم أُريكموه، فذهبنا إليه، إذا هو كحظيرةٍ صنعوا[1] لها محراباً يصلون فيها، فقال الأميرُ: فليؤذِّنْ من بعدُ المؤذنُ فوق التلّ ليُسمَعَ الأذانُ المحمديُّ في عسكر الإسلام، ثم وفَّقهم الله تعالى أن هجم العسكرُ على بتليس، فأجلَوا العدوّ عنها، وهجم عسكرُ الحضرة قدس سره على مَن على النبات، فأجلوهم عنها، وشتَّتوا شملهم.

وجُرِحَ الملا عمر أفندي الوانيّ رحمه الله خَتَن الشيخ الأكبر قدس سره في رجله في تلك المحاربة على النبات، واندمل ذلك الجرحُ، وعاش بعده إلى ثلاثين سنة تقريباً، ثم تفتّقَ ثانياً، واشتدَّ عليه، حتى توفي رحمة الله عليه بذلك الجرح، ونال شرفَ الغزاة وفضل الشَّهادة والحمد لله، كما كان كذلك لكثيرٍ من الصَّحابة والتَّابعين الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وبعد الانجلاء وخروج العدوّ من أراضي بتليس ونورشين؛ جاء الحضرةُ قدس سره وبعضٌ من عسكره الخواصّ، ونهضوا إلى نورشين، وأصيب هنالك بجرح عضده اليمنى نتيجة انفلاقِ بندقةٍ مدفعيّةٍ وإصابةِ قطعةٍ منها لعضده قدس سره، وجيء به إلى مستشفى بتليس[2]، ودام فيه مريضاً.

(١) عينوا، خ.

(٢) في (ب): (بدليس).

وقال شيخنا الشيخُ محمد علاء الدين ﷺ: قال الدكتورُ الكبيرُ لي ولابنه الملا فتح الله ﷺ: إن لم يقطع عضدَهُ؛ لا يرجى بُرْؤه؛ لأنّه صار داهية قَانْقِرَان[1]، ويسري إلى سائر العظام، فيموت منه، وإن قطع؛ فيرجى البرءُ والشفاءُ، والمهمُّ لنا ذاتُهُ، لا عملُه في الحرب، فصمّم القطع، فأجابه الشيخ ﷺ بأنّا لا نفعل هذا بدون أمر الحضرة وإجابته لذلك، فقلت له ﷺ ذلك، فأجابني بأنَّ الله تعالى جعلني إلى الآن تامَّ الخلقة والأعضاء، فالآن يريد أن يأخذ منّي يداً ويبقيَ لي الأخرى، وأنا مطيعٌ لأمر الله، وله الحمدُ على كلِّ حالٍ، فقطعت مِنَ المنكب، ومرض ﷺ بعد ذلك مرضاً شديداً خيف منه على حياته، وكان ﷺ قَد يُغمى عليه وقد يُفيق، فقال في بعض إفاقاته: لقد رأيتُ جمّاً غفيراً من المشائخ الكرام قد حضروا عندي، وكان فيهم الغوثُ الأعظمُ، والأستاذُ الأفخمُ، والشيخُ الأكبرُ الأكرمُ، قَدّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمُ الْعَلِيَّةَ، فتذاكروا كثيراً[2] في حقّ بقائي في الدُّنيا وانتقالي إلى العقبى، فقال [١٢٠] لهم الشيخ الأكبر ﷺ: إنَّ في بقائه خيراً كثيراً، وهدايةً تامّةً للنَّاس، فليَعِشْ إلى ثمان سنين من بعدُ، ثم قرّروا الأمرَ على ذلك، وتفرّقوا، وقال ﷺ: أنا الآن أجدُ راحةً في بدني.

ووقع وفاتُه في أوّل السَّنة التَّاسعة من تلك المحاورة المنامية، ودام في المستشفى مقداراً للتّداوي، ويزوره الخاصَّةُ والعامّةُ، وجاء مصطفى كمال

(١) هي داهية تسري في العظام وتفتتها.

(٢) قوله: (كثيراً) سقط في (ب).

أتاترك إلى المستشفى لعيادته، وكان المفتي الملا عمر أفندي الواني ختن الشيخ الأكبر ﷺ حينئذٍ في المستشفى متداوياً لجرحه السَّابق ذكره، فكان ترجماناً للحضرة ﷺ، فقال ﷺ للملا عمر أفندي: قل له: إنّي أرى في عينيه رياسةً كبيرةً، فإذا نالها؛ فليتنبّه لأمور دين الإسلام.

وانتقل بيتُ الأستاذ الأعظم ﷺ في ذلك الصَّيف إلى منتجعٍ صيفيٍّ في حدودٍ بين قرى موطكان وغرزان مسمى بإِسْطَور[1].

ثم بعد ظهور البرد الخريفيّ؛ نهضوا إلى قرية سِيَانِس، وبقي بيتُ الشَّيخ الأكبر ﷺ في ذلك الصَّيف في قرية أوروس.

وبدأ الشيخُ محمد جنيد بن الشيخ الأكبر ﷺ يزرع الذُّرَة[2] في قرية كاشاغ القريبة من قرية أوروس، فقيل له: إيش تفعل؟ فقال: هكذا أمرني شيخي الحضرةُ ﷺ، فحصل من زرعه ذلك تسعمائة قود، كما سمعه الملا معصوم الكوديشكيّ من الشيخ محمد جنيد ذلك نَفْسِه، نتيجةً لامتثال أمر الحضرة ﷺ.

ثم بعد ذلك الخريف انتقل أهلُ بيت الشيخ الأكبر ﷺ إلى قرية ورقانس قرية آبائهم وأجدادهم، وابنه الشيخ معروف مع أمه وأخويه سكنوا في قرية مادران، وفي الصَّيف كانوا يذهبون إلى زينان عند بيت الأستاذ

(١) في (ب): (بإِسْتَور).

(٢) الدُّخَن، خ.

الأعظم ﵁، وكان عريشُه بجنب عريش الشيخ محمد معصوم ﵀، وكان من كرمه أنَّه يقول لحرمه المحترمة: كلُّ ما يأتي في هذا العريش؛ فليقسمْ بينه وبين عريش الشيخ معروف.

وكان الملا زين العابدين بن الملا عمر أفندي الواني وابن بنت الشيخ الأكبر ﵁ يذهب كلَّ يومٍ بمندوبتهم في حقيبةٍ مملوءةٍ من الخبز والأُدْم من قرية أوروس إلى قرية كاشاغ، ومنها إلى جبل شيخ عمر.

وقال شيخنا الأجلُّ الشيخ محمد علاء الدين ﵁: أرسلَ الحكومةُ التركيَّةُ العثمانيَّةُ في تلك المحاربة عسكرَ الأتراك في الصَّيف إلى [١٢١] العراق، فمات كثيرٌ منهم هنالك من شدة الحرِّ، وجاء بعسكر العراق في الشِّتاء إلى مملكتنا، فمات أكثرهم من شدَّة البرد، لا جزى الله الفاعلين لذلك الغدر خيراً، وأراهم[1] بأساً وضَيراً من جهة الطَّرفين. وقال ﵁: صادفتُ إذ ذاك ضابطاً عراقيّاً، وقلت له: ما هذه الشَّناعةُ التي فعلته الحكومةُ؟ فقال: هذا تدبيرُ من لا دِينَ له ولا عقلَ، ولا رحمةَ بعباد الله.

وحينما كان في تلك المهاجرة بيتُ الأستاذ الأعظم ﵁ في غَرزان، كان مدبِّرُ البيت الملا فتح الله والشيخ محمد معصوم ﵀، ويرسلان البغالَ إلى عُرفا وسروج وحواليهما لمجيء الأرزاق من الحنطة وغيرها، ويذهب مع العير واحدٌ من الملا فتح الله والشيخ محمد معصوم ﵀، ويخبرون لزعيم بيت الشيخ الأكبر ﵁، فيُلحِق بغالَه ببغالهم.

(١) بل أراهم، خ.

وإذ ذاك كان في المملكة قحطٌ شديدٌ، لا يوجد القوتُ إلا بمحاولة ذلك التَّدبير، وفي شهر رمضان حين حضور عشائهم يقول الحضرة ﵁: فأوَّلاً ندعو لمعصومٍ، ثم نأكل؛ لأنَّه السببُ لهذا، ومع ذلك لم يُفرِّق الحضرة ﵁ الفقهاءَ والسالكينَ كما في وقت السَّعَة وكثرة القوت.

وكان ﵁ في تلك الحال يفعل ما كان يفعله من الإرشاد وإجراء الطَّريقة والشَّريعة بين الأنام، وكان بعضُ أتباع غيره ﵁ يقولون: إنَّ هذه الحركاتِ العجيبةَ منه بعد خروجه من مملكته وجيرانه ليستْ منه ﵁، بل من تدبير لَبِيبَين يكونان معه، الشيخ محمد علاء الدين والملا فتح الله قدَّس الله أَسرَارَهُمَا.

ودام الأمرُ كذلك إلى سبع سنين، وكان بيتُ الحضرة ﵁ يجيء في الصَّيف إلى زَينان من المنتجعات الصَّيفيَّة، ويأتي في الصَّيف في بعض السِّنين منها إلى نورشين، ويذهب في الخريف إلى غرزان. وفي سنة وفاته أتى بالبيت جميعاً إلى نورشين.

ووقع في بعض أسفاره ﵁ إلى قرية أوخين ومعه جمعٌ كثيرٌ من الخلفاء والعلماء وأكابر الأتباع وغيرهم أنَّ الشيخَ نوري[1] الضرير الأوخينيّ ﵀ كان حاضراً فيما بينهم، فسأل الحضرةُ ﵁ معنى حديثٍ من العلماء الذين كانوا في الحفلة المباركة، فتفكَّرَ كلٌّ في [١٢٢] معنى ذلك

(١) نوريا، خ.

الحديث، فقال الشيخ نوري ﵀: إنَّ لهم عيوناً يبصرون الوجوه، فيتحاشون من الإيضاح خجلاً، وأنا لا أبصرُ أحداً فأخجل، فأقول: أليس المعنى هكذا؟ فقال قُدِّس سِرُّه: نعم[1]، إنَّ معناه كذلك. ثم قالوا للحاجّ عبد الوهاب ﵀ خادمِ شيخنا الشيخ محمد علاء الدين قُدِّس سِرُّه وشاعرِه ـ وكان له صوتٌ حسنٌ طيبٌ ـ: اقرأ لنا قصيدةً، فقرأ قصيدةً للملا محمد أمين خليفة الحضرة قُدِّس سِرُّهما ـ أي: الملا الكبير ـ، ولم يكن الملا إذ ذاك حاضراً، فلما حضر قال له الحضرةُ قُدِّس سِرُّهما: لا تعلم أنَّ عبد الوهاب ما فعل بقصيدتك من الأُغلُوطات والزَّحافات، فأجابه الملا قُدِّس سِرُّهما: إنَّه يفعل بكلام الله ما يفعل، فأين كلامي؟

فتوجَّه الحضرةُ قُدِّس سِرُّه في أوخين إذ ذاك التَّوجُّهَ النَّقشبنديَّة قدَّس الله أسرار ساداتها العليَّة، وقصد الحاجّ جعفر أخو الملا محفوظ ﵀ ـ وكان بيتُه قريباً من قرية أوخين المحروسة ـ التّوجُّه، فلم ينل إلا بعد أن دخل الحضرةُ قُدِّس سِرُّه المسجدَ، وابتدأ بالتوجُّه، فجلس تُجاه الباب من الخارج، وأدَّى ما يلزم من الآداب هنالك، وانتظر حتى خرج قُدِّس سِرُّه إليه وتوجَّهه[2] إذ ذاك. ثم قال قُدِّس سِرُّه لبعض خواصِّه: كنت أجد في آنِ التَّوجُّه أنَّ النِّسبةَ تقصد إلى الخارج، ثم لَمَّا خرجت ورأيت جعفرَ بالباب؛ علمتُ أنَّ ذلك لأجله.

ثم ركب من أوخين قاصداً قرية بافوك، وكان فيها بيتُ الشيخ محمد

(١) الصحيح بلى.

(٢) لعل الصواب: (ووجَّهه).

جنيد بن الشيخ الأكبر قُدِّس سِرُّه، فلما جلس قُدِّس سِرُّه رأى كتاباً عند المِشْكاة، فنظر إليه قُدِّس سِرُّه إذا هو «المَثْنَويُّ المولويُّ»، فقال للشيخ محمد جنيد: هل تطالع «المثنويّ»؟ فأجابه بأنّي أنظر إليه وأطالعُه، ولكن لا أعلم منه شيئاً، فقال له الحضرةُ قُدِّس سِرُّه: ومهارتك في الفارسية مثلُنا، وتُركيَّتُك زائدةٌ على تلك المهارة، فأجاب بأنّي لا أعلمه حسب تلك المدائح التي مُدِحَ بها، وأعلم المفهومَ الظَّاهرَ، فقال قُدِّس سِرُّه: إنَّ تلك المدائحَ قليلةٌ له، حيث كنت أقرأه عند الشيخ الأكبر قُدِّس سِرُّه، فيلتذُّ به روحي، وجميع آرابي، بحيث يغلب علي الشَّوقُ والمحبَّة، حتى أحتلم من تلك اللَّذَّة القسريَّة التي لم يكن لي محيصٌ عن دفعها وأنا في حضرة الشيخ قُدِّس سِرُّه، وفي الدَّرس والمدائح التي ذكرناها [١٢٣] هي ما قاله مولانا الجامي قُدِّس سِرُّه السامي:

آنْ فريـــدون جِهَــان معنـــوي	بَـس بُـوَد بُرهَـان ذَاتَـش مثنـوي
مَنْ جه كويم وصف آن عالي جناب	نِيسـت بَيْغَمْـبر ولـي دارد كتـاب
مثنـــوي مولـــوي معنـــوي	هَسْـتِ قـرآن دَرْزُبَـان بَهْلَـوي

وما قاله أبو كمال ﵀[1] باللسان العربي:

إنّني أبصـرتُ في النّـوم الرسـول	بيديـه المثنـوي وهــو يقــول
صُـنِّفَت كتـبٌ كثيـرٌ معنـوي	لـيس فيهـا كالكتـاب المثنـوي

(١) في (ب): (أبي كمال).

وكان الحضرةُ (قدس سره) يحمد الله كثيراً في آنائه كلِّها، سيَّما أنَّ علائقَ الدُّنيا لم تتعلَّقْ به أصلاً، لا في وقت الأستاذ الأعظم (قدس سره) حتى علاقة فرسٍ واحدٍ، فإنَّه (قدس سره) قال: لم يكن في وقته (قدس سره) فرسٌ لي، وكلّما ذهبنا إلى قريةٍ يُستعارُ لي مركوبٌ من أهل القرية إلى قريةٍ أخرى، وهكذا؛ ولا في وقت الشيخ الأكبر (قدس سره)، فإنَّه لم يُبْقِ لي شيئاً من العلاقات، ويتكفَّلُ بكلِّ ما نحتاج إليه، ولا يُشغِلُني إلا بما هو بيني وبينه من الآداب. وكان على الأستاذ الأعظم (قدس سره) ديونٌ للجسر، فلما يجتمع عنده النُّقودُ؛ يعطيني لأُؤدّي أنا بنفسي، حتى يعلم النَّاسُ أنَّني المؤدِّي لديون أبي (قدس سرهما). وبعد الشَّيخ الأكبر (قدس سره)؛ كَبُرَ ونال أمرَ التَّدبير الشيخُ محمد سعيد، وسائر أولاد الأستاذ الأعظم (قدس سره)، وفعلوا محاويج البيت، وأخرجوها عن عنقي.

وعلى كل حالٍ يسَّرَ اللهُ تعالى لي أن لا أشتغلَ بشيءٍ من علاقات الدُّنيا، والحمد لله.

وبعد أن ارتفعت المَسْبَغةُ من المملكة، وجاء كلٌّ إلى قريته، وقد تُرِك إذ ذاك في تمام المملكة التَّدريسُ وتحصيلُ العلومِ، فاهتمَّ (قدس سره) بأمر القراءة والتَّدريس أكثرَ، وقال: إنْ تريدوا عزَّ الدُّنيا والآخرة؛ فاقرؤوا وكونوا علماءَ كرماءَ، فإنَّ أغنياءَ النَّاس وآغاواتهم لَمَّا هاجروا؛ ملؤوا حقائبهم من الدَّراهم والدَّنانير، وركبوا خيولهم، ثم سافروا، وفي عاقبة الأمر مات كلُّهم من الجوع. والملا ظاهر كان فقيرَ الحال، منكدرَ البال، ولم يكن له غيرُ حمارٍ،

فوضع عليه فراشَه للنَّوم وذهب، فصار إماماً لأمين بن بَريخان، وبقي هنالك سنين، ثم رجع بملء حقيبةٍ من الذَّهب الأحمر، فتأمَّلوا في ذلك.

وكان (قدس سره) يقول: إنَّ النَّاسَ لا يستحيون من الله تعالى كما يستحيون [١٢٤] من طفلٍ ذي رشدٍ وعقلٍ؛ لأنَّ من أراد أن يقترفَ ذنباً بحضور ذلك الطِّفل يقول: إنَّه يُفْشِي سرِّي، فأفتضح بين النَّاس، فيتحاشى عن ذلك، ولا يلاحظ أنَّ الله تعالى حاضرٌ ناظرٌ، ولا يخفى عليه شيءٌ.

وكان السَّيِّدُ عبد الله الملاكنديّ (رحمه الله) يقول: إنِّي بعد تلك الحرب العموميَّة اشتريتُ لي بضائعَ خفيفةً، وأطوفُ بها في القرى أتَّجرُ فيها تأميناً لرزقنا، حتى وصلنا إلى طرف أرضروم، ودخلتُ قريةً، فرأينا فيها اجتماعَ النَّاس، فسألنا: ما هذا الاجتماعُ؟ قالوا: إنَّ هنا الشيخ سعيداً البالويّ (رحمه الله)، فزُرْتُه وقبَّلْتُ يده، فسأل: مَن الرجلُ؟ فقلت: أنا فلانٌ من البيت الفلاني من القرية الفلانيَّة، فابتدأ يغتابُ الأستاذَ الأعظم (قدس سره) بما هو بريءٌ منه، وقال: أما ابنه الشيخ محمد ضياء الدين؛ فلا أقول في شأنه شيئاً يشينه، فإنَّه حين ابتدأ الحربُ أخذ سلاحَه مع رجال بيته، وحارَبَ في وجه العدوّ بجلادةٍ وشجاعةٍ حتى استُشْهِد أخواه البطلان المغواران، ونحن فَشِلْنا وفَرَرْنا من حرب العِدَى كلٌّ إلى زاويةٍ من المملكة، وهذا كما قال شاعرٌ في امرأةٍ نَحَت نحو هذا:

وَمَلِيحَـةٍ شَـهِدَتْ لَهَـا ضَـرَّاتُهَا   وَالفَضْـلُ مَـا شَـهِدَتْ بِـهِ الأَعْـدَاءُ

**   **   **

[مبحث وفاة الحضرة قدس سره][1]

وكان وفاته قُدِّسَ سِرُّهُ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد صلاة الصُّبح يوم الجمعة التاسع من شباط والسابع عشر من رجب من شهور سنة (١٣٤٢)، وسنة (١٣٤٠)، أي: ثلاثمائة واثنتين وأربعين بعد الألف الهجرية، وثلاثمائة وأربعين بعد الألف الشَّمسيَّة من الهجرة النبويَّة عليه أفضلُ الصلوات وأكملُ التَّحيات والتَّسليمات.

وكانت ولادتُه ـ على ما روي بخطّ والده الأمجد قدس سرهما ـ في قرية أوسب من إِسبَايرت، من قضاء هيزان، بعد ظهر يوم الإثنين، السّابع من جمادى الآخر والحادي والعشرين من الكانون الثاني سنة (١٢٧٣)، أي: مائتين وثلاث وسبعين بعد الألف من الهجرة.

وكانت مدَّةُ إرشاده بعد وفاة شيخه الأكبر قدس سرهما أربعًا وعشرين سنةً، وفي حياته عشرَ سنين.

وغسله قدس سره الملا عبد الله [١٢٥] البالكيّ والملا عبد الكريم التِّرتوبيّ رحمهما الله، بمعاونة آخرين من الأصحاب، ودفن ـ بإشارةٍ منه ـ في جنب والده الماجد قدس سرهما في حائط مرقده الشَّريف.

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

وتوفِّي ابنُه الملا فتح الله رحمه الله قبله في ليلة الخميس أول الشباط، وكان إذ توفّي إلى رحمة الله تعالى قد تكاملت أعمالُه النَّقشبنديَّة، ولم يُؤذَنْ بالخلافة، فتأسَّفَ الحضرةُ قدس سره على ذلك أسفًا كثيراً شديداً، حيث لم ينل الرِّياسةَ النَّقشبنديَّة بالتَّمام، ويقول: لو أُذِنَ بالخلافة؛ لاستفاد من السَّادات استفادةً أوفى وأكثرَ، وتوفِّي حفيدُه الأكبرُ جمال الدين رحمه الله بعده في يوم الخميس الثاني والعشرين منه، ولم يعقبْ رحمه الله، وبقي حفيداه ـ أي: الحضرة قدس سره الشيخ تقي الدين والشيخ ناصر قدس سرهما ـ، ولهما عقبٌ، حفظهم الله وبارك فيهم بخيرٍ وصلاحٍ، وفي سائر أولاد الأستاذ الأعظم قدس سره، وحماهم من كلِّ شنآن الدُّنيا والآخرة.

وبقيتْ منه قدس سره أيضًا بنتٌ مسمّاةٌ بعائشة رحمها الله، وكانت عند السُّلطان ولد ابن الشيخ محمد سعيد رحمه الله، وقيل في تاريخ وفاته قدس سره:

نورُ عَينَيَّ ضياءُ الدين قطب العارفين
مرشدُ الناس إلى الحقّ أمانُ الخائفين
شمسُ أربابِ الطَّريقةِ مُستَغاثُ العاشقين
عُمدَةُ أهل الحقيقة مستشارُ الصَّادقين
إذ سما نحو الجِنَان قلتُ في تاريخه
بعد أن أَسْقَطْتَ خمسًا[1]: نِعمَ[2] مثوى المتقين

(١) سبعًا، خ.

(٢) في حاشية (ب): (شمس).

ووقتُ وفاة الملا فتح الله رحمه الله لم يكن شيخنا الشيخ محمد علاء الدين قدس سره حاضراً في نورشين، ثم جاء أهل قرية شيخان، وذهبوا به على التّاخوك إلى نورشين، وكان أخوه الشيخ معروف حاضراً في نورشين، ويحكَى أنَّ الحضرةَ قدس سره كلّما نذهب إلى حضوره يقول: راح فتى، ونقول: فليَعِشْ لنا الحضرةُ، ولا نعلم سوى ذلك، فلما وصل الشيخُ محمد علاء الدين قدس سره إلى نورشين، ودخل على حضرة قدس سره، قلت أنا والملا باقي: فلنحضر المجلس العالي لنرى كيف يعزّي[1] الشّيخُ الحضرةَ قدس سرهما، فدخلنا معه الدِّيوان، فبعد تقبيل يديه والفرح بحضوره قال له أيضـًا: ذهب فتى، كما كان يقول لنا، [١٢٦] فعزّاه قدس سرهما التَّعزيةَ الشَّرعيَّةَ، ثم قال: إنَّ لحضرة[2] في ذلك أسوةً حسنةً بالنبيّ ﷺ، فاستبشر لذلك حضرة قدس سره، وقال: كيف ذلك؟ فقال شيخُنا: إنَّ الحضرة تَبعَ سنَّةَ وجميعَ ما يأمر به ﷺ ممَّا كان في وسعه، ويأتسي به ما أمكنه من الطّاعات والحركات والسَّكنات، وحصَّل اللهُ جلّ جلالُه له ما لم يكن في وسعه.

فحينما توفّي ﷺ خلّف بنتـًا ـ أي: فاطمة الزهراء ـ وحفيدين ـ أي: الحسن والحسين ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وخلّف الحضرة أيضـًا بنتـًا وحفيدين، فيسّر اللهُ للحضرة الأسوةَ بالنبيّ ﷺ اختياريّـًا وغيرَ اختياريٍّ،

(١) في (ب): (يعزِّ).

(٢) لعل الصواب: (للحضرة).

فقال لشيخنا قدس سرهما: هل يحتمل أن يتقبّل اللهُ ذلك لنا وجعله تبعيّة؟ فاستبشر بذلك غايةَ الاستبشار حتى رؤي المسرّةُ والابتهاجُ في وجهه المبارك.

وبعد وفاتهم جاء للتَّعزية جميعُ خلفائه وسائر الأتباع، أعزَّهم الله، وأعلى درجاتهم، ونشر نسبَتَهم في المسلمين. آمين.

** ** **

[مبحث خلفاء الحضرة قدس سره][1]

ثم لنَبدَأْ بذكر خلفائه الكرام قدَّس الله أسرارَه وأسرارَهم، وأضاء على قلوبنا أقمارَهم، وعلَّمنا آدابَهم وأطوارَهم، وهم ستّةَ عشرَ:

١- الملا محمد أمين المشهور بملاءِ مَزِن، أي: العالم الكبير، والحقُّ أنّه قدس سره كان كبيراً، وكان من قرية قُرْسِنْج من قرى شيروان، المتوفّى في سنة (١٣٥٢) أي: ثلاثمائة واثنتين وخمسين بعد الألف من الهجرة، المدفون في نورشين.

٢- والأستاذ الملا عبد الكريم السَّبَايرتيّ قدس سره من قرية جرونان، المتوفى في سنة (١٣٣٣) أي: ثلاثمائة وثلاث وثلاثين بعد الألف من الهجرة، وهو رحمه الله مدفونٌ في بتليس، في حائط الشَّيْخ الأكبر قدس سره.

٣- والشيخ محمد علاء الدين بن شيخه الشيخ الأكبر قدس سرهما، المتوفّى في سنة (١٣٦٩) أي: ثلاثمائةٍ وتسع وستين بعد الألف من الهجرة، المدفون في قرية أوخين خيوط.

٤- والشيخ محمود القره كوي قدس سره ثم الشّاميّ، المتوفّى في سنة (١٣٧٢) أي: ثلاثمائة واثنتين وسبعين بعد الألف الهجرية، المدفون في المحلَّة الصَّالحيَّة من الشّام الشّريفة سورية.

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

٥- والشيخ محمود [١٢٧] الذّوقيديّ قدس سره، المتوفّى في سنة (١٣٦٤) أي: ثلاثمائة وأربع وستين بعد الألف الهجرية، المدفون في قرية ذوقيد إسعرد.

٦- والشيخ أحمد الخزنويّ قدس سره، المتوفّى في سنة (١٣٦٩) أي: ثلاثمائة وتسع وستين بعد الألف الهجرية، المدفون في قرية تلّ معروف سورية.

٧- والشيخ عبد الرحمن الجوقرشيّ[1] قدس سره، المتوفّى في سنة (١٣٤٧هـ) (١٣٤٤ شمسي) أي: ثلاثمائة وسبع وأربعين الهجرية القمرية بعد الألف، وأربع وأربعين الشمسية الرومية أيضًا بعد الألف، المدفون في قرية جوقرشي قره جوبان.

٨- والشيخ محمد سليم الهزاني قدس سره، المتوفّى في سنة (١٣٥٠) أي: ثلاثمائة وخمسين بعد الألف من الهجرة، المتوفى في قرية هزان ليجة.

٩- والشيخ شهاب الدين التِّيليّ قدس سره أوّل الخلفاء، المتوفّى في سنة (١٣٢٦) أي: ثلاثمائة وست وعشرين بعد الألف الهجرية، المدفون في مركز تيل.

١٠- والملا عبيد الله قدس سره بن الشيخ شهاب الدين التيليّ آخر الخلفاء، المتوفّى في سنة (١٣٤٤) أي: ثلاثمائة وأربع وأربعين بعد الألف الهجرية،

(١) في (ب): (الجقرشي).

المدفون عند جسر سُلُخ[1] موش.

١١- والشيخ إبراهيم بن الشيخ طاهر الآبريّ قدس سرهما، المدفون في الأشكرد أرضروم[2].

١٢- والملا يوسف التكمانيّ قدس سره، المدفون في قرية قاباقلي قره يازي أرضروم.

١٣- والملا عباس الشُّوشَاريّ قدس سره، المُسْتَشْهَد في قرية سُولمز[3].

١٤- والملا خليل التيليّ قدس سره، المدفون في قرية شيخ وليان بلانق.

١٥- والملا خالد البُوغَويّ قدس سره من رشادية ططوان، المدفون في قرية سِيَانِس أسعرد.

١٦- والملا مصطفى الذُّوقيّ قدس سره.

وهؤلاء الخلفاءُ كلُّهم كرامٌ في حدِّ ذاتهم وكُمَّلٌ، سيَّما نشؤوا في حضانة قطب العارفين، وملجأ العاملين، وكهف أهل العلم والفقراء أجمعين، مولانا حضرة الشيخ محمد ضياء الدين قدس سره.

ولا نحيط بمناقب كلِّهم على سبيل الانفراد، ولكن نبيِّنُ نبذةً مما لنا به

---

(١) في (ب): (سُولُخ موش).

(٢) في (ب): (الاشكرت آغري)، وفي حاشيتها: أرضروم، نسخة.

(٣) في (ب): (سُوْيَلَمَز قره يازي).

علمٌ لبعضهم، ممن عاشوا بعد شيخهم الحضرة قدس سره، وهم سبعةٌ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ:

أما الملا محمد أمين المشهور المعروف بملاء مزن، أي: [العالم][1] الكبير قدس سره؛ فقد كان في صباه [١٢٨] رفيقًا للحضرة قدس سرهما، وملازمًا له في المدرسة، وإجازتُه العلميّةُ معه من الشّيخ الأكبر قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ[2]، وكان ختنًا للأستاذ الأعظم قدس سره، ولم يخرجْ من بيته ولم يفارِقْ إلى أيِّ موضعٍ بنية الافتراق، وكان إذ ذاك مرضُ الحمَّى كثيرةً، فيجيء المحمومون[3] إلى الملا قدس سره لعقد الخيوط للبُرْءِ منها وقطعها، وكان قدس سره مشتهراً بذلك، فمرض ـ أي: حمى ـ الحضرة قدس سره ثلاثة أيامٍ، فقال للملا قدس سره: لِمَ لا تعقدُ خيطًا لي[4]؟ فاستظرف الملا وقال: كم أيامًا حميتَ؟ فقال: ثلاثة أيام، فقال: إنَّك فعلت المشيخةَ كثيراً، فقليلٌ لك ثلاثةُ أيامٍ، فخذها ثلاثةً أخرى يكفيك، فصدّق اللهُ الملا، وانقطعتْ حُمَّاه قدس سره بعد الثلاثة الأخرى.

وقد كان له ثلاثةُ أبناءٍ علماءُ كرماءُ، فتوفّي كلُّهم قبله قدس سره، أعظم الله أجرَه، وأثابه من مصيبتهم الثّوابَ الجزيلَ.

---

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) في (ب): (قدِّس سرُّهم).

(٣) في (ب): (المحميون)، والصواب ما أثبتناه من (أ).

(٤) في (ب): (لي خيطًا).

وقال قدس سره: كنت ليلةً أتذكّر الأبناءَ الرّاحلين، وسهرتُ من ذلك، فقلقتُ نتيجةَ الذّكرى، فقالت أمُّهم بنتُ الأستاذ قدس سره: ما هذا السَّهَرُ والقلقُ؟ قلت لها: من تذكُّر الأبناء، وشدَّة ألم الفراق، فقالت: يرحمك الله، لو كان هذا الفراقُ أبديًّا؛ لاغتَمَمْنا[١] جميعًا، ولكن ذهبوا ونحن على إثرهم، ونلحق بهم غداً، فتسلَّيْتُ[٢] بقولها، أعلى الله درجتها.

وصار بعد الحضرة قدس سرهما بحيث لا يَسْلُو عن فراقه، ويبحث عنه، ويتأسَّفُ كثيراً على فراقه، ويتمنّى الموتَ، بحيث كان كلّما زاره أحدٌ من المسافرين يسأله: أليس يُبحَث عندكم عن موت الملا؟ وقد يقع النزاعُ بينه وبين زوجته بنت الأستاذ الأعظم قدس سرهما، فيقول: هو أنا أموت أوّلاً، وتقول هي: بل أنا أموت أوّلاً، فقال الملا قدس سره: ثم تصالحنا على أن تُتوفّى بنتُ الأستاذ قبلي، فأتمِّمُ جميعَ ما يلزم لها من الخيرات، ثم أموت بعدها، فحصل كذلك رحمهما الله تعالى رحمةً واسعةً تسعهما ومن بجوارهما.

وكان الحضرةُ قدس سره قد سَلَّم أهلَ بيت الأستاذ الأعظم قدس سره إلى الملّا، وفوَّضَ أمرهم إليه، فأَذِنَ لسالكيه الملا مصطفى الإسعرديّ والملا قاسم الكُلبيكي بالخلافة، ثم أذن الملا محمد باقي بن الملا عبد الله النورشيني خليفة الأستاذ الأعظم قدس سره، [١٢٩] والشيخ طه ابن الشيخ محمد سعيد أخي الحضرة قدس سره.

---

(١) في (أ) و(ب): (اغتمنا)، والصواب ما أثبتناه.

(٢) فتسلى، خ.

وله قدس سره أحوالٌ كثيرةٌ، ومقاماتٌ جليلةٌ، لا نستوفيها لضيق المقام، وعدم سَعَة نطاق الرّسالة عن التّطويل، لا لضِنَّةٍ بالكلام، فالعفوُ من شيمة الكرام.

وأما الشيخُ محمود الذُّوقيديّ قدس سره؛ فقد أسلفنا ما أراد التّسليم للشيخ أحمد الطاشكسانيّ، والمحاورة بينه وبين شيخنا الأجلّ الشيخ محمد علاء الدين قدس سره، حتى اختار الحضرةَ واستسلم له قدس سره، وكان عالمـاً نحريراً يلي الشيخَ محمد علاء الدين في رتبته العلميَّة[١] قدس سرهما.

وبلغ من المناقب والمراتب ما لا نقدرُ أن نَصِفه، بحيث كان يقول هو نفسه: كنت راكبـاً أقصد من دَمِرجي إلى بتليس، أسمع من وقع حافر الفرس كلّه كلمةَ (الله) جلّ جلالُه، فلم أستشعرْ من لذَّة تلك الحالة إلا أن رأيتني واصلاً إلى بتليس، وذلك من قوّة تصرُّفات الحضرة قدس سره في نفسي.

وأرشدَ الجمَّ الغفيرَ في مملكة غرزان، وفتح فتحـاً مبينـاً، ودرّس العلومَ لأولاده، ولكثيرٍ من الناس، وعلَّم الجميعَ كلَّ ما تعلم، واستفاد النّاسُ والعلماءُ منه كثيراً، وكان له قدس سره من التّأليفات كتبٌ ورسائل كثيرةٌ لم نُحِطْ بأساميها وعددها علمـاً.

وله من الأبناء ستّةٌ: الشيخ حيدر، والشيخ جنيد، والشيخ معصوم، والشيخ صلاح الدين، والشيخ فضيل، والشيخ يحيى، وكلُّهم علماءُ فضلاءُ،

---

(١) في (ب): (رتبة العلمية).

أكثرُهم مأذونون في الطَّريقة النَّقشبنديَّة، كما في العلوم الظَّاهريَّة، أعلى الله درجاتهم.

وأما الشيخُ محمد سليم الهزانيّ قدس سره؛ فهو ابنُ الشيخ عبد القادر الخليفة الأوّل للأستاذ الأعظم قدس سرهما، قد كان في قرية هَزان المتعلّقة بقضاء ليجة، وكان شيخاً جليلاً، ذا همّةٍ عاليةٍ، وأرشد في مملكته كثيراً، وخضع له النَّاسُ كما لأبيه قدس سرهما.

وكان جميعُ مريديه مشهورين بحسن الأدب، ولطف الجانب.

وقال السلطانُ ولد حفيد الأستاذ الأعظم قدس سره: كنت يوماً عنده في قرية نورشين المحروسة بعد صلاة الصُّبح، فرأيته يأكل شيئاً، فسألته: ما الذي تأكله[1]؟ قال: دواءٌ آكلُه لإزالة وجع البطن، فها أنت كُلْهُ، فتناولته منه، فإذا هو [١٣٠] نواةُ اللوز المسحوق بالسُّكَّر، فرويته للحضرة قدس سره، فقال: كيف كان هو يفرش لي في بعض الأوقات سجّادته، فأشُم منها النِّسبةَ.

وكان له قدس سره خمسةٌ من البنين، وهم: محمد معصوم، وإسماعيل حقي، والشيخ محمد سالم، وعبد الباقي، ومحمد حافظ، رحمهم الله، ولكلِّهم عقبٌ سوى معصوم أنبتهم اللهُ نباتاً حسناً.

والآن له حفيدٌ عالمٌ موسومٌ بالشيخ جلال، مأذونٌ في الطَّريقة النَّقشبنديَّة، والحمد لله على إحسانه.

(١) في (أ): ما هو تأكله؟ وفي (ب): ما هو تأكل، والصواب ما أثبتناه.

وأما الشيخُ عبد الرحمن بن الملا إبراهيم الجوقرشيّ خليفة الأستاذ الأعظم قدس سره، توفّي سنة (١٣٤٧)؛ فهو قد أرشدَ الناسَ كثيراً في مملكته، وعمل في الطَّريقة النَّقشبنديَّة، وأذن لعدّةٍ من الخلفاء للإرشاد، منهم ابنَا عمِّيه: الشيخ عبد الكريم بن الشيخ خليل خليفة الأستاذ الأعظم قدس سره، والملا يحيى بن الملا محمد أمين. وهو عمَّر كثيراً طويلاً، وتوفِّي في سنة (١٣٨٣) أي: ثلاثمائة وثلاث وثمانين بعد الألف الهجرية، مدفونٌ في قرية جوقرشي، رحمه الله رحمةً واسعةً.

وكان يُقرِئ الفقهاءَ كثيراً، ولا يقبل من أهل بيت الجوقرشيّ عدمَ تحصيل العلوم الظَّاهريَّة، ولا تَركَهم للآداب النَّقشبنديَّة، وكان بذلك الاهتمام مذ بقي قدس سره، ورحمه الله رحمةً واسعةً تشمله وإيانا بحقِّه.

وله[1] خلفاءُ: أحدهم: الملا عبد الباقي بن شيخه الشيخ عبد الرحمن قدس سره، وثانيهم: ابنُه الملا عبد الرحيم، وكذا الملا رشيد الترتوبيّ، وكذا الملا عصمة الله [الديار بكري][2] من أقاربه، وكذا وكذا، ولا نعرف الجميعَ.

وقال الشيخ محمد ناصر حفيد الحضرة قدس سرهما: جاء الشيخُ يحيى هذا يوماً إلى قرية دَمِرجي، فقال: يغلبني عيناي من النَّوم، ففرشنا له فراشاً في العريش، فنام، ثم جاء درويشٌ ومعه دَفُّه، فقلت له: اضرب الدُّفَّ لنا، ولم

(١) في حاشية (ب): (أي: الشيخ يحيى).

(٢) ما بين معقوفتين من (ب).

أبال بأن نام الشّيخُ يحيى في العريش، فدقّ[1] الدّرويشُ دَفَّه بنشاطه، وكثر اللّغطُ، فاستيقظ الشيخُ يحيى، وأسرع إلى طرف غربيِّ المسجد من الخارج، ووضع يداً على يدٍ، وسكن هنالك مراقباً، إلى أن قضى الدّرويشُ إربَتَه من دقّ[2] دَفِّه، فقلت له: ما هذا الذي فعلتَ؟ فلم يَجِدْ منّي بُدّاً للإلحاح الشّديد عليه، فقال: إنّي كنت في هذا المكان الذي وقفتَ فيه جاءني رجلٌ، ولا أقول مَنْ [١٣١] هو كائناً ما كان، وقال لي: ما هذا التّذلُّل منكم للحضرة، وأنتم كلُّكم علماءُ فضلاءُ، ذَوُو الأنساب الكريمة الحسيبة؟ فوقع في قلبي منه شيءٌ، وَوُسْوِسْتُ منه. ثم بعد أن خرج الحضرةُ ﵁ من البيت قال لي: لقد حَبِط ما فعلت أوّلاً، فاستأنِفْ في الآداب والأعمال، فلما سمعتُ من الدّرويش ما سمعتُ؛ هاج شوقي إلى أن أجيء إلى موضعِ أخذِ الله تعالى منّي معارفي رغبةً في أن يهبني الله تعالى مرّةً أخرى في ذلك الموضع ما أخذه مني فيه.

وقال الشيخ محمد مظهر بن الشيخ محمد علاء الدين ﵄: ذهبنا إلى الحجّ ومعنا الشيخ يحيى، وكنا في الباخرة، وكان هو مريضاً، فذهبتُ إليه أعودُه، فقال: جاءني رجلٌ جليلٌ، وقال: ليست الباخرةُ تجري بهذه الآلات، بل بنظر الباري تعالى إلى هذا الموضع، وأشار إلى موضع، وقال: إنَّ مثل هذا لا يقال لكلِّ أحدٍ، ولكنَّك ابنُ الشيخ الأجلّ ﵁، فقلت لك وحدك.

---

(١) في حاشية (أ): (فضرب)، وهي المثبتة في متن (ب).

(٢) في (ب): (من ضرب).

وله مآثرُ كثيرةٌ[1]، ولا عِلْمَ لنا بجميعها، قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُ.

وكان لهمْ عمٌّ اسمُه الشيخ أسعد بن الملا عبد الرحمن الملاكنديّ ﵀، وكان عالماً كبيراً مجازاً من الشيخ الأكبر ﵁، وتسلسل منه إجازة الجُوقرشيين[2].

وكان مجازاً في الطّريقة النّقشبنديّة من أخيه الشّيخ خليل خليفة الأستاذ الأعظم قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ.

وكانت وفاتُه[3] سنة (١٣١٨) ثلاثمائة وثمانية عشر الهجرية بعد الألف، ودفن بقرية جوقرشي قره جوبان.

وقال شيخنا الأجلُّ الشيخ محمد علاء الدين ﵁: ذهبنا مع الحضرة إلى قرية جوقرشي، [و]كان يريني العبارات الصّعبة من الكتب، وكلّما أوضحتُ عبارةً يُقَبِّل جبهتي، ويقول: الحمد لله، موضعُ أستاذي عامرٌ من أولاده لا غامر.

وكان رجلٌ أنهى كتبه إلى قريبٍ من الانتهاء عند الشيخ الأكبر ﵁، فبعد وفاته ذهب إلى آخَرَ، وأخذ الإجازةَ منه، فغضب عليه الشيخُ أسعد، وقال: لم يَبْقَ أحدٌ من مجازي أستاذنا الأجلّ الشيخ الأكبر ﵁، فذهبتَ إلى الغرباء وإن لم تتأهّلْ للإجازة منه ﵁.

---

(١) في (ب): (كثيرٌ).

(٢) في (ب): (الجقرشيين).

(٣) في حاشية (أ): (أي: الشيخ أسعد).

ولأهل بيت الجوقرشيين والكِينكَاريين عقبٌ علماءُ صلحاءُ أصلحهم الله وإيَّانا، وعمر بهم البلاد، وهدى [١٣٢] بهم العبادَ، زِيدوا فضلاً ونُبْلاً، ولا نزل بهم ما يوجب ذُلًّا.

وأما الشَّيخُ أحمد الخزنويُّ ﷺ المشهور بِبَرِيفاني؛ فكان قراءتُه العلومَ الظَّاهريَّةَ عند الأستاذ العلامة الملا حسين الكجك ﷺ في ميافارقين، وأجازه الأستاذُ في العلوم الظَّاهريَّة إجازةً خاصَّةً.

وكان[١] رجلاً صافياً حليماً فطيناً غيرَ فخورٍ، فلما آن أن يجيزَه أستاذُه؛ استأذن منه أن يجيء إلى قرية هزان، ويطلب الحضورَ لتلك الحفلة[٢] من الشيخ عبد القادر خليفة الأستاذ الأعظم ﷺ، فإن حضر فنِعْم، وإلا؛ فليُدْعَ له في يوم الاجتماع، فقال أستاذه الملا حسين ﷺ: ولَأَنَّ تلميذي هذا أيقظُ منّي.

وبعد أن أجيز ابتدأ بالآداب النَّقشبنديَّة والأعمال التَّصوُّفيَّة عند الشيخ عبد القادر ذلك ﷺ، وقال الشيخ أحمد ﷺ: لَمَّا علَّمني أوَّلَ الآداب ـ أي: ذِكْرَ الجلال على القلب بالتفصيل ـ قال: يأتي بعد هذا الآداب الفلانيَّة، ثم بعدها الفلانيَّة، وهكذا إجمالاً، إشارةً إلى أنَّ الله تعالى سيُيَسِّرُها لي كلَّها.

وبعد وفاته تمسَّك بالحضرة ﷺ، وكان يتعب من بعئذٍ تعباً كثيراً في

(١) في حاشية (ب): (أي: الشيخ أحمد الخزنوي ﷺ).

(٢) في حاشية (ب): (أي: الاجتماع).

التَّردُّد بين تركيا وسوريا لتلك المهمَّة العظيمة، إلى أن تيسَّرَ له الوصولُ، ومن الله القبولُ.

وكان الناس في مملكته يسألونه: إلى أين تذهب؟ فيقول: إلى الحضرة، فيقول ابنُ الأستاذ الأعظم: ويقولون: مَن الأستاذُ الأعظمُ؟ فيقول: هو خليفةُ الغوث الأعظم، ويقولون: مَن هو؟ فيقول: هو أبو الشيخ جلال الدين البطل الهِزَبر في محاربة الرُّوس الأولى، ثم يعرفونه بعض المعرفة لما كانوا قد عرفوا الشيخ جلال الدين في تلك المعركة.

وبعد أن قاسى التَّعَبَ والمشقَّةَ، وأذن له الحضرةُ ﷺ بالخلافة؛ رجع إلى مملكته، ووفَّى الوظيفةَ على أكمل وجهٍ وأتمّه.

وكان أهلُ تلك المملكة قبله في غاية الجهالة ونهاية العطالة، فبحمد الله روَّضهم من حسن تدبيره وهِمَم السادات ترويضاً تامّاً لا ملامَ فيه، وأدَّبهم بآداب النَّقشبنديَّة، وأكملهم حسب زمانه ومكانه، والآن كلُّهم متأدِّبون بالغاية.

وكان [١٣٣] له أربعةُ أبناءٍ كرامٍ متأدِّبون بآدابه علماً وطريقةً، ومأذونون في الطَّريقة النَّقشبنديَّة، وهم: الشيخ معصوم، والشيخ علاء الدين، والشيخ عز الدين، فهؤلاء الثَّلاثةُ من حرمه الكبرى، والشيخ عبد الغني، وهو من بنت الأستاذ الملا محمد باقي النورشينيّ، ولكلٍّ منهم ذريَّةٌ، زادهم الله نفراً وشرفاً وقدراً.

وله ﷺ خلفاءُ أجلّاءُ علماءُ، والتّقدُّمُ الآن لستّةٍ منهم، والبواقي أيضاً كانوا في الإرشاد، ونشر الطّريقة، وأجبَرَنا ضيقُ المقام إلى اقتصار الكلام، وأولئك السِّتَّةُ الكرام: الشيخ محمد معشوق بن الشيخ محمد معصوم، وابنه الكبيرُ الشيخ محمد معصوم، والملا عبد اللطيف العاموديّ، والشيخ عبد الحكيم البلوانسيّ، والشيخ عبد الرزاق القِزْلِتَبَئِيّ، والشيخ أحمد[1] الحسي جائي ﷺ.

ولكلٍّ منهم أتباعٌ وخلفاءُ، جعل الله لنا ولهم كلَّ ما نبديه حقيقةً لا رياءً وسمعةً.

** ** **

(١) وهو شيخ ابنه الشيخ عبد الغني.

[مبحث الشّيخ الأجلِّ الشّيخ محمّد علاء الدّين ﷺ][1]

وأما شيخُنا الأجلُّ الشيخ محمد علاء الدين بن الشيخ الأكبر الفاروقيّ ﷺ؛ فولادتُه في قرية نورشين المحروسة في سنة (١٢٩٩) أي: مائتين وتسع وتسعين بعد الألف من الهجرة النبويَّة عليه الصلاة والسلام، وكانت ولادتُه[2] فرحةً عظيمةً لأهل بيت الشَّيخ الأكبر والأستاذ الأعظم ﷺ؛ لأنَّه لم يكنْ حتى إذٍ للشيخ الأكبر ﷺ ولدٌ ذكرٌ يرث علمَه ورياستَه في العِلمَين، فأراد الله تعالى وقدَّر أن ظَفِرَ هو ببركة أدعية الأكابر قدَّس الله أرواحهم بالرِّياسة والتَّفوُّق في تَينِكَ المقصودتين المهمتين، وكان في صباه نجيباً ذكياً أديباً محبوباً عند الكلِّ.

وذكر أخوه الشيخُ معروف ﷺ: أنَّه سأل عنه يوماً أبوه الشيخ الأكبر ﷺ: هل تَعْهَدُ[3] الأستاذَ الأعظمَ ﷺ؟ وما كان يفعله؟ فأجاب بأن نعم، وسرد بعض ما رآه وحفظه من الأستاذ الأعظم[4] ﷺ.

ومنه أنَّه قال: إنِّي كنت ألعب كالأطفال، وعلَّقتُ بعض الأشياء ببعضٍ وأجُرُّه خلفي، وكان فيها ذَنَبُ مُسْحى مُكَسَّرٍ، وكان عند المرقد موضعٌ نَدِيٌّ

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) في حاشية (ب): (أي: الشيخ علاء الدين).

(٣) في حاشية (ب): (أي: تعرفه وتذكره).

(٤) قوله: (الأعظم) سقط في (ب).

قد حفره الأستاذ قدس سره يجري منه الماءُ كنابعٍ صغيرٍ، فقال لي الأستاذ قدس سره: يا بني، هل تعطيني هذا الذَّنَب [١٣٤] أجعله ميزاباً لعيننا هذه؟ قلت: نعم، فأعطيتُه إياه، وجعله ميزاباً لها.

ومنه أنَّ الأستاذ قدس سره لما كان مريضاً، وأتوا به على التاخوك إلى نورشين، والوقتُ شتاءٌ، والثلجُ موجودٌ على الأرض، فذهب الناسُ أمامه لقدومه، وأنا أيضاً في الناس، فلما رآني فرح بي، وقال: أَوَجِئْتَ أنت أيضاً يا بني[١]؟ فأخذني عنده على التاخوك.

ومنه أنَّه قدس سره كان مريضاً في مرضه الأخير، فذهبتُ أنا إلى حجرته قدس سره، ورأيتُ الباب مفتوحاً، فدخلتها، فلما رآني فرح بي وقال: تعالَ يا ابني، فأجلسني على فراشه، وقال لحرمه المحترمة: فتّنَّ لي الرمانَ؟ فأتينَ به، وأعطينَه منه، فقالت: بل نجيء له برُمّانٍ آخر، فقال: لا، بل مما فتنه لي، فأتتْ به وأعطتني.

وذكرَ غير ما ذكرناه، ولا نتذكَّرُه، فاعذرونا.

فقال له أبوه الشيخ الأكبر قدس سره: فديتُ رأسي برأس ابني، فلا تَنْسَ ما سمعتَه من الأستاذ الأعظم قدس سره، وإنَّ الصِّبيانَ الذين رأوا الأستاذ قدس سره لا يكونون كالذين لم يروه قدس سره.

(١) ابني، خ.

وقالت حرمُه[١] الكريمةُ بنت الأستاذ قدس سره: قد كنت أشتكي في بعض الأحيان عند الشيخ الأكبر قدس سره من بعض أهل البيت كما هو العادةُ في العامَّة والخاصَّة، فيوماً اشتكيتُ من الشيخ محمد علاء الدين قدس سره، فقال الشيخ قدس سره: أمَّا هو؛ فلا تشتكي منه، ولا تبغضيه في عيني، وافعلي في حقِّ غيره ما شِئْتِ.

وكان حالُه قدس سره هكذا من المهد إلى اللَّحد، فلا نطوِّلُ على هذا كثيراً.

ولَمَّا أن شبَّ وجَلَد؛ دام في تدريسه وتأليفه وسلوكه على يد شيخه قدس سره، وإصلاح من يريد الفساد، ولم يتهاوَنْ في شيءٍ من تلك المستحسنات، حتى برع في الكلِّ، وخضع له النَّاسُ، سيّما العلماء بالكلِّ أو الجُلِّ، وكان قدس سره يعمل في تلك الكُتَل العظيمة الشأن معاً في مكانٍ وزمانٍ لا يمكن أحداً واحدةٌ منها في المملكة لفساد الزمان والمكان من وقوع[٢] المحاربة الدَّاهية الممحِّصَة للأموال والرجال، وفساد قلوب النَّاس من ذلك البأس.

وكان من تأليفاته نظم «جلاء العين» في الفقه، ونظم رسالة في المصطلحات الحديثيَّة، ونظم «هداية الصبيان» في التجويد، و«خُلَاصة الوضع» في علم الوضع، و«خلاصة البيان» في علم الاستعارة[٣]، [١٣٥]

(١) في حاشية (ب): (أي: حرم الشيخ الأكبر).

(٢) حدوث، خ.

(٣) البيان، خ.

و«ملخّص الآداب» في المناظرة، و«تذهيب التهذيب» في المنطق، و«تعريب ألفاظ الكفر والكبائر» لأبيه قدس سرهما باللِّسان الكرديّ، وحواشٍ كشرحٍ على أحزاب الأستاذ الملا حسن أفندي الموشيّ الأنصاريّ رضي الله عنه.

وألَّف أكثرَ متونه في عنفوان شبابه لخصوص ذاته وحفظها قدس سره، ثم انتفع منها الخاصُّ والعامُّ كثيراً، جزاه الله عن الكلِّ خيراً، ولا أراه تبعيَّةً على الكلّ ولا ضيراً.

وقد أجاز الأستاذُ العلامةُ الملا عبد الكريم الإسبايرتيّ رحمه الله المار ذكره لشيخنا هذا ولشيخنا الكامل الشيخ محمود القره كوي قدس سرهما في يومٍ واحدٍ ببتليس المحروسة، وكان يوماً مشهوداً، وبجمعٍ كثيرٍ غير معدّدٍ، وقال هذا الأستاذُ في ناديه يوماً: لو تقبّل اللهُ لي هاتين الإجازتين؛ لحسبتهما زُلْفى، وكفتاني عن كلِّ سالفة الحسنات لي، جزاه الله عن الكلِّ خيراً.

وكانت محبَّةُ الحضرة له قدس سرهما بغايةٍ لا يعبَّرُ عنها باللِّسان، ولا يُدْرِكُها كلُّ جَنَانٍ.

وقال الأستاذُ الملا محمد باقي النورشينيّ قدس سره: كان لَمّا يجيء بعضٌ من الخلفاء إلى نورشين، ونخبر الحضرةَ قدس سره بأن جاء فلانٌ، يقول: جاء بالخير والسلامة، ولا يقوم إلا بعد مجيء وقته إلى الديوان، ولما يجيء شيخنا الأجلُّ الشيخ محمد علاء الدين قدس سره ونخبرُه قدس سره بأن جاء الشيخ محمد علاء الدين كان يبتهجُ منه، ويقول: جاء بالخير، وينهض قدس سره حالاً إلى

الديوان، وكان الحضرةُ قدس سره لما جاءه بعضٌ من الذين لا يحسنون غيرَ اللغة التُّركية، ولم يكن شيخنا قدس سره حاضراً هنالك، فيتحدَّث معهم بعضٌ لا يوفي بالمرام، فيقول[1] قدس سره: ماذا أفعل ولم يكن معي[2] لساني؟ يريد: الشيخَ قدس سرهما.

ووقع يوماً بينه[3] وبين واحدٍ من إخوته مناقشةٌ عاديةٌ كما تقع بين الإخوان والأقارب، فذهب أخوه الشيخُ قطب الدين رحمه الله إلى الحضرة قدس سره، فسأل قدس سره عنه: كيف كانت تلك المناقشةُ؟ فقال مجيباً: نحن إذا نستمع إلى أخيه نقول: إنَّ الحقَّ معه، وإذا نستمع إلى الشيخ الأجل قدس سره نقول: بل الحقُّ معه، فانقبض الحضرةُ قدس سره من ذلك المقال، وانمعط لونُه، فقال متضجِّراً: كيف تَحْسَبون الشيخ محمد علاء الدين على غير الحقّ؟ ولَإِن كان هو على غير الحق؛ كنت أنا [١٣٦] أيضاً على غير الحقِّ، وإذا كنت كذا؛ كان الشيخُ الأكبرُ قدس سره أيضاً كذا، وإذا كان هو كذا؛ كان الأستاذ الأعظم قدس سره أيضاً كذا، وهكذا وهكذا، فقام الشيخُ قطب الدين، وقبَّل يد الحضرة قدس سره، واعتذر منه، وتاب عن مثل ذلك.

وفي زمنه[4] يجيء النَّاسُ إليه قدس سره ببطاقات الأسئلة والفتاوى، وحينما لم يحضر شيخنا الأجلّ قدس سره يقول بعد التَّفتيش: فليحضر الشيخُ علاء الدين،

---

(١) في حاشية (ب): (أي: الحضرة قدس سره).
(٢) وليس معي، خ.
(٣) في حاشية (ب): (أي: الشيخ علاء الدين).
(٤) في حاشية (ب): (أي: الحضرة قدس سره).

ثم نقول: أو نكتب شيئـًا، وكان معاملة الحضرة (قدس سره) معه هكذا، وبمزيد الاهتمام به والألطاف له إلى غايةٍ لا نقدر أن نشرحه.

وكان اعتقادُ خلفاء الحضرة لذلك الشيخ الأجلّ قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ كثيراً ومحبَّتُهم له زائدةً، ويعترفون بفضله ونيله إلى قصب السَّبْق من بينهم.

وقال أستاذنا الشيخُ محمود القره كوي (قدس سره) لبعض أولاد الشَّيخ (قدس سره): كما كان الشيخ محمد علاء الدين (قدس سره) فائقـًا على أقرانه في العلوم الظَّاهريَّة بحيث لا نجد أحداً يقول: أنا مثله ونحو ذلك؛ كذلك كان في العلوم الباطنيَّة، لكنَّها خَفِيَتْ تحت أستار الظَّاهريَّة، ولا يراها كلُّ أحدٍ.

وكان الشيخ محمود هذا (قدس سره) يقول أيضـًا: كلّما كان الشيخُ محمد علاء الدين مع الحضرة (قدس سرهما) في صحبةٍ من صُحُبَاتِهِ؛ تكون إليه مواجهةُ الحضرة (قدس سره)، ويظنُّ الناسُ أنَّ ذلك لِـمَا أنَّه ابنُ شيخه (قدس سرهما)، ولكن لم تكن لهذا فحسب، بل كان معه أمران آخران، أحدهما: أنَّ الصُّحبةَ تكون وفق قابليَّة المخاطب، والآخر: أنَّ الشيخ (قدس سره) يذكر في تلك المواجهة ومكالمة الحضرة شيئـًا مناسبـًا للمقام يكون سببـًا لفرح الحضرة، والانتشار في دقائق الألطاف والإلهامات، وبثّ المعارف على الحاضرين.

وقال الأستاذ الشيخ المذكور (قدس سره) أيضـًا: قلتُ للشيخ الأجلّ بعد وفاة الحضرة (قدس سره): إنَّ الحضرةَ (قدس سره) عَلَّقَ هذه القلادةَ ـ أي: التّوجُّه النَّقشبنديَّة ـ في نحورنا، وأين نحن من ذلك التَّوجُّه المعروف؟ فأجابني (قدس سره): ونحن لا نُعَدُّ من أبطال ذلك الميدان، بل ولا شيئـًا في البين، ولكن كيف يأمروننا ـ أي:

السادات ـ نحن نفعلُ كذلك امتثالاً لأمرهم، وتَبَعـًا لهم قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ.

وقال الشيخ أحمد الخزنويُّ (قدس سره) لبعض أولاد شيخنا الأجلّ (قدس سره): نحن بعد وفاة الحضرة (قدس سره) كنا على المرقد الشَّريف، فأخذت بيد الشَّيخ [١٣٧] علاء الدين (قدس سره) وقبَّلتُها، وقلت له: إنِّي سلَّمْتُ نفسي إليك بعد الحضرة (قدس سره)، والآن تكون منا تقصيراتٌ وخطيئاتٌ، ونريد أن يوقِظَنا، فلا يتركنا حَيَارى.

وقال (قدس سره) أيضـًا: سمعنا أنَّ الشيخَ الأجلَّ (قدس سره) يقول: إنَّ في الليرات زكاةٌ، وفيها حكمُ النَّقدين، ونحن نقبل ذلك ونقنع به، وأما غيرنا؛ فيناقشوننا في ذلك، ويطلبون منا الدَّليلَ من الكتب المعتمدة أو الأحاديث أو غيرهما، وليبيِّن الشيخُ لنا دليلاً إقناعيّـًا نسكتهم، وبتقدير الباري تعالى توفِّي في أول ذلك الشِّتاء شيخُنا المفضالُ العلامةُ، وفي أوَّل الربيع الشيخ أحمد ذو الكمال (قدس سرهما)، فلم تكن المراسلةُ بينهما، ولم يكن جوابٌ، فيا خسارتنا من عدم حلِّ ذلك المشكل، اللهم اجعل لهم الدَّرجات العالية، ولا تحرمنا من فيوضاتهم وبركاتهم، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾[1].

وأما الشيخ محمود الذوقيديّ (قدس سره)؛ فقد قال في حقِّ شيخنا الأجل (قدس سره): إن استبدل لي أيَّ شيءٍ له استَبْدلتُه، فإنَّه يراه أعلى كعبـًا من الكلِّ في الكلِّ.

وقيل في مجلسه يومـًا: أيٌّ أعلى كعبـًا وعلمـًا ـ أي: من ابنه الشيخ جنيد والشيخ خالد بن الشيخ علاء الدين (قدس سره) ـ؟ فأجاب بأن لا يماثله جنيد، ولا لأبيه أبو جنيد، ولا لجدّه جد جنيد قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ، ومثلُ هذا يدلُّ

(١) سورة الدخان: ٤٤/ ٤١.

على أنّه منصفٌ، ويسلّم الفضلَ كلَّ الفضل لهم.

وقد كان بينه وبين الشيخ محمود هذا محبَّةٌ باهرةٌ وصداقةٌ، وتدوم تلك الصَّداقةُ والمحبَّةُ بين أولادهما وأحفادهما (قدس سرهما)، والحمد لله.

وأما الشيخُ محمد سليم الهزانيّ (قدس سره)؛ فقد كان مخلصاً له (قدس سره)، ومسلِّماً له، وشاهداً بفضله، حتى إنَّه سمع يوماً من المشايخ الأخر أنَّهم قالوا بعد وفاة الحضرة (قدس سره): إنَّما كان الكاملُ فيهم الحضرة، وهو قد ذهب، فأجابهم بأنَّ الحضرةَ (قدس سره) قد توفّي، فما فُعِلَ بالشيخ علاء الدين (قدس سره)؟! فإنَّه حيٌّ باقٍ بحمده تعالى.

ويعلم من جميع ما أسلفناه أنَّه كان بين خلفاء الحضرة (قدس سره) المودَّةُ والإخاءُ كثيراً، ونقل شيخُنا الشيخُ تقي الدين حفيد الحضرة (قدس سرهما) أنَّ الشيخ محمد معصوماً (قدس سره) لم يسترِحْ في سنة وفاةِ شيخنا الأجلّ (قدس سره) بالاً، ولا طاب حالاً، ولم يزل حزيناً في ذلك الشِّتاء، ويبحث عنه دائماً، ويتأسَّفُ على فراقه، ويقول: كنت أنا وهو رفيقين متلازمين في الحرب وسائر [١٣٨] الشَّدائد من طرف الحكومة، كالنَّفي[1] من الأوطان والحبس وجميع الآلام، وفي الأفراح كالأعياد والأعراس وسائر الفرحات، ولم أر أنَّه تبدَّل حالاً، ولا تغيَّرَ بالاً، بل كان طبعُه الكريمُ بحالةٍ لا تقبل التَّغيُّر، ولم أسمعْ بمثله (قدس سره)، ولم أر أحداً كذلك.

(١) كالتغريب، خ.

[مبحث بعضٌ من أحوال الشَّيخ الأجلِّ الشَّيخ محمَّد علاء الدِّين (قدس سره)][1]

وأما أحوالُه ـ أي: شيخنا الأجلّ والفاضل الأكمل الشيخ محمد علاء الدين قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ، وأعلى في الدارين قدرَه بعد وفاة شيخه ـ أنَّه لَمّا مُنِعَ المدارسُ العربيةُ، والخانِقَاهَات، والتكيات، نقل بيته من بتليس إلى قرية أوخين، ودام فيما كان يفعله أوّلاً من التَّدريسات والتَّأليفات والإرشاد خُفيَةً.

وكان يقول (قدس سره): إنَّ أموالَ الإنسان ثلاثةُ أقسامٍ: قسمٌ الأراضي من العقارات والبساتين والدُّور والحيوانات وما شابهها، وقسمٌ أثاثُ البيت من البُسُطِ والزرابي والمفروشات وما شابهها، وقسمٌ الكتب، وهي أحبُّ إليَّ من جميع أنواع المال.

وكانت كتبي إذا بأيدي الطلبة يستعملونها خلافَ ما نَوَدُّ من الحفظ وعدم إلقائها على الأرض بلا مبالاةٍ، ولا يوجد الكتبُ العربيّةُ إذا بسبب ضغط الحكومة على العلوم العربيّة، ومع ذلك لم أمنعهم عن تلك الاستعمالات اللَّاأُبالية؛ لقوله جلّ وعلا: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[2]، وأقول: هذه أحبُّ، فليكن هكذا.

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) سورة آل عمران: ٣/ ٩٢.

وكان الشيخُ محمد معصوم ﷺ في محروسة نورشين يفعل ما كان أمره الحضرة ﷺ من إيواء وإقراء الفقهاء وأولاد الأستاذ الأعظم ﷺ، حتى إنَّ مُدَرِّسَهُ الملا محمد باقي قال له ﷺ في بعض أيامِ تشديدات المنع: أنت فرّق الفقهاءَ مرَّةً إلى أن يفعل اللهُ ما يشاء، ويفتح للأمر باباً، فقال: بل أنتم داوِمُوا على التَّحصيل والإقراء والتَّدريس، ولا يُسأل عن ذلك إلا أنا ما دمت حيّاً، فإذا شنقوني؛ فإذاً افعلوا ما يبدو لكم.

وكان شيخنا الأجلُّ ﷺ ينصح الناسَ ويشجِّعُهم كالشيخ معصوم، ويتعاونان في أمر التَّدريس والإرشاد، ولا يخافان لومةَ لائمٍ، ولا تبكيتَ ظالمٍ، ويقول الشيخُ للفقهاء: اقرؤوا، وللعلماء: أَقْرِؤوا، وإنَّما شرفُ الدَّارين والنَّجاةُ من عذاب الله في العلم، وما سواه؛ فلا فائدة فيه إلا عاجلاً، ويبيّن لهم الآياتِ والأحاديثَ [١٣٩] في فضل العلم، ويذكر لهم حكايةَ السلطان محمد[1] بن سُبُكْتكين الغزنويّ ﷺ إذ كان له ثلاثُ تمنيَّاتٍ، هي أنَّه يتمنّى أن يعلم أنَّه من صلب أبيه أم لا؟ ويعلم أنّ الحديثَ المشهورَ ـ أي: قول: «**العلماءُ ورثةُ الأنبياء**» هل هو صحيحٌ أم لا؟ وأن يعلم أنَّه هل [هو] من أهل الجنَّة أم من أهل النار؟ فاتَّفق أنَّه تبدَّل هو ووزيرُه لباسهُما، وخرجا ليلاً مقمراً إلى تفتيش ما في حيازته من أهل بلدته، فرأى أحداً ينظر في كتابه ويطالعُ فيه في ضوء القمر، فقال: من أنت؟ ولِمَ تفعل هكذا؟ قال: أنا فقيهٌ فقيرٌ لا مصباحَ

(١) في (ب): محمود.

لي، وإنِّي أقرأُ وأنظرُ في كتابي في ضوء مصباح الله، فتحرَّك له رحمُه، وعرَّف له نفسَه، وقال: أنا السُّلطانُ، فاقرأ درسك في مدرستك، وعليّ مؤنتك كلُّها، وعيَّن له حجرةً متَّصلةً بداره، وهيَّأ له الأسبابَ كلَّها، فبعد ثلاث ليالٍ من إيوائه رأى السُّلطانُ ﷺ النبي ﷺ في المنام، فقال ﷺ له: يا ابن سُبُكْتكين، قد أعنتَ واحدا من ورثتي، فقد وجبتْ لك الجنَّةُ، فببركة معاونته ثلاثةَ أيامٍ لأهل العلم علم أنَّه وصل إلى ما كان يتمنَّاه، حيث قال: يا ابن سُبُكْتكين، علم أنَّه من أبيه، وعلم من قوله: واحداً من ورثتي أنَّ العلماءَ من ورثة الأنبياء حقّاً، وعلم من قوله: وجبت لك الجنَّة أنَّه من أهل الجنَّة. فببركة الشَّيخين الشيخ محمد علاء الدين ﷺ والشيخ محمد معصوم ﷺ[1] تشجَّع مَن كان أهلاً للتَّدريس، وأعانهم النَّاسُ، فدام سراجُ العلم في المملكة.

وهكذا كلُّ خلفاء الحضرة ﷺ أخذوا الغيرةَ، وداموا في إقراء الفقهاء.

قال الشيخُ معشوق بن الشيخ محمد معصوم ﷺ: قصدتُ غيداءَ يوماً لزيارة المرقد الشَّريف، وفي الطَّريق لحقنا بالشيخ محمد رشيد والسيد عبد الله حفيدي الغوث الأعظم ﷺ، فقال الشيخ محمد رشيد: كيف كان الهيتميّ ـ يريد شيخنا الشيخ محمد علاء الدين ﷺ ـ؟ وكان يسمّيه كذلك، فأجبته بأنَّه سالمٌ صحيحٌ والحمد لله.

ثم قال: إنّ هيتمينًا هذا أكثرُ علماً من الهيتميّ الأوَّل، فقال السيدُ عبد

(١) في (ب): (قدِّس سرُّهما).

الله: بل قل: هو هيتميُّ زمانه، وصمَّم الشيخُ محمد رشيد مقاله، ولم يتنزَّلْ منه، فقال[1]: سألا[2] عني: ماذا تقول أنت؟ فقلت: إنَّ القرارَ منكما، فأقِرَّا أنتما على شيءٍ، وأصرّ الشيخُ محمد رشيد رحمه الله على قوله الأوَّل.

وكان شيخُنا [١٤٠] الأجلُّ الشيخ محمد علاء الدين قدس سره بعد إجلاء العدوّ الغاشم الروس والأَرَمَنيين[3] عن المملكة وبقاء قرى الأرمنيين خاويةً، وسكنها المسلمون؛ يهتمُّ كثيرَ الاهتمام ببناء المساجد، وتعيين الأئمة فيها في قرى بيداء موش وبلانق وكُوصور والخيوط والمُوطكي، وما كان في حوزته حتى حولها إلى الإسلاميَّة، وجعلها قرى للإسلام، ودام على هذا المنوال أولادُه[4] وأحفادُه،، أنالهم الله بغيتهم ومناهم، وأدام فيهم تلك السَّجِيَّةَ الحسنةَ.

** ** **

(١) في حاشية (ب): (أي: الشيخ معشوق).

(٢) في (ب): (سئلا).

(٣) في (ب): (الايرمنيين).

(٤) أبناؤه، خ.

[مبحث مبحث تغريبهم إلى بلدة إزمير قدس سرهم][1]

وبعد أن استقرَّت الجمهوريَّةُ، وأُلغيت السلطانيّةُ العثمانيّةُ من البين؛ وقع الشِّقاقُ بين الحكومة ورؤساء المملكة من المترفين والنافذين حكمهم على سائر الرعايا، وسيئت المعاملةُ بين الطرفين، فأخذ الحكومةُ في تنحية[2] سبيلها من أولئك الأشواك، وضغطتْ على كلِّ من يريد المخالفة، وأشركتْ معهم كلَّ وجيهٍ، ولم تفرّق بين ممارسٍ وبريءٍ، ولا عالمٍ ولا مرشدٍ، ولا غيرهم، وحصدت الكلَّ بمنجلٍ واحدٍ، وساقَتْهم بقضيبٍ واحدٍ إلى وادٍ واحدٍ، ومنعت كلًّا عما كان يشتغلُ به حسنًا أو قبيحًا، فنفاه الحكومة ونفي من بيت الغوث الأعظم قدس سره السيدُ عبد الله وابنُه السيد أحمد، ومن بيت الأستاذ الأعظم قدس سره الشيخ محمد معصوم وسلطان ولد، ومن بيت الشيخ الحزين الفرساني قدس سره الشيخ عبد الله، رحمه الله كلّهم ورضي عنهم وأرضاهم مع رفقتهم أجمعين.

وكان رفيقه الخاصُّ الملا محفوظ البِتليسيُّ رحمه الله معه في هذه وفي سائر المواطن الصعبة إلى بلدة أزمير، وبقوا هنالك سنتين، واكتروا داراً كبيرةً تسعهم كلَّهم، وسكنوا فيها.

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) في (ب): (نتيجة).

وكان اشتغالُ شيخنا الأجلّ ﵁ هنالك أيضاً بالدّرْس، ويقرأ عنده الملا محفوظ والسلطان ولد، واشتهر أمره ﵁ وفضله بين العلماء هنالك، ويجتمعون عنده بالكثرة.

وقال الملا محفوظ ﵀: كان واحدٌ منهم يُرِي الشيخَ ﵁ المغاليقَ من عبارات الكتب كثيراً، فقال ﵁: أتمتحننا بهذا؟ فقال: أستغفر الله، بل أستفيد منك، فقال ﵁: كيف تعلم أنّي أهلٌ لذلك؟ فقال: إنّي أعرفك منذ أتيت مع جمعٍ من العلماء إلى القاهرة، وأتاكم أساتيذتنا بإشكالاتٍ، فبعضاً أنت أجبتَ عنه، وبعضاً أستاذك [١٤١] كما سبق قبل هذا.

وقال السيدُ أحمد ﵀: لَمّا كنا في أزمير كان الرّفقةُ يذهبون إلى السُّوق للنُّزهة، وأبقى أنا والشيخُ الأجلّ ﵁ في البيت لعدم ميلنا الإثنين إلى السوق، فيقول لي: يا [سيد][1] أحمد، فلنشتغل نحن أيضاً بشيءٍ، فنشتري آلات تعمير الكتب، ونأتي بمصاحف مجزآتٍ[2] في المسجد، فيصحِّفها ويعمِّرها[3] الشيخ ﵁، وأنا أعينه، واحداً بعد واحدٍ، ونضعها في المسجد.

وكان والي أزمير إذ ذاك كاظم باشا، وكان قبلُ والياً في بتليس، فنقلوه إلى أزمير، ثم نُفِي الشيوخُ إليها، وكان يقول: لو كان هذا الأمرُ وقت ما كنتُ

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (أ).

(٢) في حاشية (ب): (أي: اليابسات).

(٣) ويرمِّمُها، خ.

في بتليس؛ علمتُ أنّ المستحقّ للنّفْي والتّغريب مَن هو، ولكن الله تعالى أراد هكذا.

ثم ذهب الشيخُ ﵁ والسيد عبد الله والملا محفوظ إلى إستانبول بالإذن الرسميّ من الحكومة، وكانوا هنالك ضيوف أحمد آغا الورقانسيّ، القاطن إذاً في استانبول، فقال حين تلقّاهم: إنّي أحبُّ أن تكونوا كلّكم ضيوفنا، ولكنّ هذا الأخَ هيزاني يودُّ أن يكون السيدُ عبد الله ضيفَه، فالأمرُ مفوَّضٌ إليكم، فذهب السيدُ عبد الله إلى بيته، والشيخ ﵁ والملا محفوظ إلى بيت أحمد آغا، فقال أحمد آغا لشيخنا الأجل ﵁: إنّي أرجو منك أن تُرْسِلَ الهمّةَ وتدعوَ لي كي لا أعمل المعاصي من بعدُ، فأتوب على يديك، فأجاب ﵁ بأنّك لا تفعلها من بعدُ إن شاء الله تعالى، فتاب توبةً نصوحاً، وبعد أيامٍ قتل ﵀ بيد خادمٍ له مِرْيانِسي، وكان السيد عبد الله ﵀ يقول للشيخ ﵁ على سبيل الاستظراف والفكاهة: إنّ أحمد آغا مع أنّه كان رجلاً كريماً قَتَلتَه كيلا يذنب من بعدُ.

وكان في أزمير جميعُ ما يدبَّر به في أمرهم بيد الشيخ محمد معصوم، وكان لهم في ذلك زعيماً، وكان شيخنا الأجلُّ ﵁ يقول في حق الشيخ محمد معصوم كثيراً: إنّ الله تعالى خلقه قويّاً شجيعاً في كلِّ أموره، وييسِّرُ الله له كلَّ ما يريده، ولا يتخلَّفُ عن فعله.

وقد قيل مرّةً للملا محفوظ: كيف كنتم في أزمير وحُقَّ أن لا يضيق

هنالك صدرُكم؛ لأنَّكم كنتم علماءَ في مشربٍ واحدٍ وطبعٍ سليمٍ؟ فأجاب بأنّا لو عَلِمْنا أنَّ تغريبَنا في نيتك السَّنتين فقط؛ لحسبناهما عيداً لنا، ولكنا كنَّا نعلم أنَّ ذلك إلى انقضاء عمرنا، ومن ذلك كنَّا نجد في صدورنا بعضَ الضِّيقة والعجز.

[١٤٢] وبعد بقائهم في أزمير سنةً ونصفًا أمر الحكومةُ بنفي وتغريب الأهل والأولاد، فمن يقدر على نقل أهله؛ فذاك، ومن لا؛ فينقله الحكومةُ جبراً، فانتقل أهلُ بيت الأستاذ الأعظم والشيخ الأكبر قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ بلا إجبارٍ إلى ديار بكر، وبقوا مقداراً قليلاً هنالك، ثم بدَّلت الحكومةُ القانون في حقِّ أهل المستغربين إلى أن يرجعوا إلى أوطانهم بصورة العفو عنهم، فرجعوا.

وكان لشيخنا الأجلّ ﷺ مريدٌ خالصٌ بتليسيٌّ اسمه الحاج عُزَير، وحينما راح أهلُ البيتين العظيمين إلى ديار بكر؛ ذهب الحاجّ ذلك[١] إلى دكانه في الخيوط، وكان في نهاية الحزن والأسى، ولقي الأستاذَ الملا محيي الدين الكوديشكي ﷺ إمام قرية كُوسْفَارْك، وهو تلميذُ الشيخ الأكبر ﷺ، ومن أحد منتخبيه من الخيوط، فرآه ذلك الملا محزونـًا بالغاية، فسأله عن السبب، فأجاب بأنّي كيف لا أحزن؟ فإنا إلى الآن نأمُلُ أن يرجع الشيخُ ﷺ إلينا مرَّةً أخرى، والآن نقلوا أهلَ بيته وبيت الأستاذ الأعظم ﷺ إلى

(١) قوله: (ذلك) سقط في (ب).

التَّغريب، فقطعنا الأملَ عن لقائهم مرَّةً أخرى، فقال الملا محيي الدين: لا تجزع على ذلك، فليرجع بيتُ الشيخ ونفسه إلى المملكة مرَّةً أخرى سالمين، فوقع الأمرُ كما قال، فصار هذا كرامةً للملا، وله كراماتٌ أخرى، ولكن لا نطوِّلُ الكلامَ على ذلك، فإنَّنا لسنا في صَدَدِ ذلك، فليقبلوا[١] منا أعلى الله درجاتهم، وأفاض علينا من بركاتهم، ولا نقدرُ تفصيلَ أحوالهم كلِّها، فليُقبَل منا ما كتبناه، ولا ينظر إلى قصورنا.

وكان الملا محفوظ ﷺ رفيقـًا لشيخنا الأجلّ ﷺ في أكثر الأسفار، وصاحب سرِّه واستشارته، وكان ذا علمٍ وافرٍ، وعقلٍ متكاثرٍ، وله شجاعةٌ تامَّةٌ، ولا نَقْصَ في شيءٍ من أوصافه، بل كلُّها كاملةٌ، وأخذ منه إجازته العلميَّةَ، وكان سالكـًا له في الطَّريقة النَّقشبنديَّة بأمر الحضرة ﷺ، واسم أبيه الملا عبد الحميد بن الخواجه الملا عبد الله البتليسيّ الموظَّف بالإمامة في المسجد الأحمر ببتليس ـ أي: قِزِلْ مسجد ـ، وكان ذلك المسجد بأيدي آبائهم، وكان كالمحصور في أيديهم.

وله ابنُ عمّ اسمه الملا عبد الهادي [١٤٣] ابن الملا مصطفى، وكان هو أيضـًا كالملا محفوظ ملازما لشيخنا، ولم يَفْرُقْ عنه إلى أن توفّي إلى رحمة الله تعالى، وكان خطَّاطـًا ماهراً، وقهرمانـًا عريفـًا، وذا تدبيرٍ على بيت الشيخ ﷺ، وأستاذاً لأولاده إلى أن صاروا مستعيدين.

(١) في (ب): (فليقبل).

وفي سفرةٍ من أسفار شيخنا الأجلّ قدس سره إلى نورشين؛ كان الملا محفوظ هذا معه، قال: وصادَفَ أن لم يكن غيرُنا ضيفٌ، فقال الحضرةُ قدس سره: نحن نأكل طعامَ الغداة في حجرتنا، فذهبنا إليها، فلقينا الملا الكبير الملا محمد أمين قدس سره عند باب الحجرة، فدخل الحضرة والشيخ قدس سرهما الحجرةَ، وقال الملا للملا محفوظ: ونحن نجلس هنا، فنتكلّم، فدعانا الحضرة قدس سره: أَلَا تدخلان تشربا الشّاي؟ فقال الملا الكبير قدس سره: لو تُكرِمُوا به نقدر أن نشربه هنا، فسأل عنّي: هل لك أولادٌ؟ فقلت: لا، فقال: لِمَ لَمْ تشعرني به حتى أعطيك ابنـًا؟ ثم قلت ذلك للشيخ قدس سره، فذهب الشيخُ إلى الملا قدس سرهما، وقال له: هل قلتَ شيئـًا كذا للملا محفوظ؟ فقال: نعم، ولا يليقُ أن يبقى مثلُه بلا ابنٍ، فجاء الملا بتُفّاحٍ، وقال: اقطعْه نصفين، فليأكلْ كلٌّ منك ومن زوجتك نصفـًا، ففعلنا كذلك، فرزقنا الله بمحمد باقي، وكان ضعيفَ البنية جداً، ثم رأيتُ الملا قدس سره، فسألني: كيف كان الأمر؟ فقلت: رزقنا الله بابن[1] ولكنه ضعيفٌ جداً، فقال: والابن الذي أعطاه الملا إنّما يكون كذلك.

وتوفّي الملا محفوظ إلى رحمة الله في قرية سِرْوَنْك من قرى موش، وجيء بجنازته إلى قرية أوخين بجنب حِبِّه الشيخ الأجلّ قدس سره بوصيةٍ منه، عليه من الله تعالى رحمةٌ واسعةٌ.

ومن أقاربهم الملا عبد العزيز بن الملا عبد الكريم البتليسيّ رحمه الله،

(١) ابنًا، خ.

وكان عالمـًا متقنـًا من أكابر العلماء، وكان تلميذاً للشّيخ الأكبر الفاروقيّ قدس سره، مجازاً في العلوم الظّاهريّة، وشاعراً مجيداً بليغـًا في غاية البلاغة، وكان له محبّةٌ تامّةٌ، وعشقٌ قسريٌّ، بحيث لا يَفْتُرُ عن كتب العُشّاق، وله ديوانٌ حافلٌ جامعٌ للقوافي على الحروف الهجائيّة، شاملٌ للغات العربيّة والفارسيّة والتركيّة والكرديّة، وأكثرُ مقاصد ذلك الديوان في مدائح المشائخ الكبار النّقشبنديّة قدس سرهم، وقال في قصيدة له:

بَسـي بيـري طريقـت دَرْجِهـان بُودَنـد أي عاقـل

جُو فتحُ الله [١٤٤] فاروقي شهي شِيرِين نَخُواهَد شُد

اَكَرْجه طَالِبَش بُسْيَار بودند درهوا داري كسى جُون حضرة سَيْدَا ضياء الدين نَخُواهَد شُد:

جُنَان دَرْدَام كَيسويش بَسى مُرْغانِ زِيرَك شُد

ولي جُون نَجْلِ فاروقي علاء الدين نخواهد شد

اكرْجه خادمان حضرة شان بِيشُمَار بودند جوشيدا درغم ايشان بَخُون رنكين نخواهد شد

وتوفي إلى رحمة الله تعالى في بلدة بتليس، ودفن هنالك، ولم يعقبْ، وعقبُه آثارُه وأشعارُه، جعل اللهُ الجنّةَ مثواه.

وكان للملا محفوظ المذكور أخٌ صالحٌ اسمه جعفر، مريدٌ لشيخنا

الأجلّ ﷺ، أراد الذهابَ إلى الحرمين الشريفين لأداء النُّسكين، فجاء إلى الشيخ ﷺ في قرية أوخين العليا، وقرأ عنده كتاب «مناسك الحج» للشيخ الأكبر ﷺ، وقال للشّيخ عند الوداع: أودُّ أن تضع اسمي على كلبٍ من كلاب بيت الشيخ ﷺ كي لا تنساني، فقال الشيخُ ﷺ: لا أضع اسمك على الكلب، ولكن أضعُ اسمك على إوزّة[1] كما وضع الشيخُ الأكبرُ ﷺ اسم خليفته الملا عمر الخوروسي ﷺ[2] على الحمامة، وقال شيخنا الأجل ﷺ له[3]: إني لا أنساك، وأنت لا تَنْسَنِي، وكان قد يحلف الحاجّ جعفر ذلك ﷺ: إنّي أينما توجَّهْتُ لم أفقد الشيخَ ﷺ، بل كان دائماً أمامي.

وبعد أن رجعوا من ذلك النّفي والتّغريب؛ سطا عليهم الحكومةُ بشبهة مما تفعله الآغاوات من الإغواءات، فحبسته في غازي عينتاب، وكان معه ﷺ أخوه العلامة الشيخ محمد جنيد، ورفيقه الخاص الملا محفوظ المحظوظ، وابن عمه الأستاذ الملا عبد الهادي، ومن بيت الأستاذ الأعظم الشيخ محمد معصوم، والأستاذ الملا محمد باقي، وبعضٌ من العلماء ووجوه الناس، وحُبِسُوا هنالك حبساً رسميّاً، وكان دوامهم فيه سنةً وثلاثة أشهرٍ، ويدوم الشيخُ ﷺ في ذلك الحبس تدريسُه، وما كان يفعله قبل، ويقرأ

(١) أي: قاز، بطة خ، أي: وردك.

(٢) في (ب): (الخُورسي).

(٣) في (ب): (لجعفر).

عليه الشيخُ فتى الشيخاني ﷺ كتاب «نور الأبصار»، فلما تمَّ قال ﷺ: وحقّ أن يُطْلِقونا ويخلوا سبيلنا من الآن، فأطلقوهم إذ ذاك تحقيقاً لأمنيته.

وكان منه ﷺ في آونة ذلك الحبس إرشادٌ كثيرين [١٤٥] مِن شتّى الجهات والقرى، حتى من سورية، بواسطة العلماء الذين راحوا إليها من مملكتنا في الملحمة الكبرى الروسيَّة، ومن يجيء منهم إلى الحبس زائراً له ﷺ كان يجيء معه كثيرٌ من أحبَّتهم من العوامِّ أو الخواصِّ[1]، ويتوبون على يديه ﷺ.

وبعد أن خلصوا من ذلك الحبس؛ دام الضَّغطُ والنَّظارة عليهم، والمنعُ لهم من مسالكهم المقدَّسة، إلى أن أخذت زمرةُ دموقراط قوانين الحكومة بيدها، وفعلت على حسب إرادته.

وتوفّي ﷺ قبل ذلك بثلاثة أشهر تقريباً، وقد تحقَّق بتلك المتاعب المذكورة ما قاله له أبوه الشيخُ الأكبر ﷺ: إنَّكم لا تستريحون بعد السُّلطان عبد الحميد ﷺ كما أسلفنا، وتلك المتاعبُ التي رأوها من التَّغريب والحبس وسائر أنواع المحن كلّها كانتْ لهم لا عليهم في الآخرة، كما كتب الإمامُ الربانيُّ ﷺ في أوّل حاله لشيخه الشيخ محمد باقي ﷺ: كانت لطائفي تعرج آناً فآناً، حتى رأيتُ مقامات الأولياء والصَّحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ورأيتُ بعضاً أعلى من بعضٍ، فسألتُ: هذه

(١) في (ب): (والخواص).

المقاماتُ الأعلى والأرفع لمَنْ؟ فقالوا: هذه لأهل المتاعب والمصائب، ولا تنال بغيرهما من سائر العبادات من الأذكار وغيرها، ومختصَّةٌ بهم.

ففي زمن من عمره أخذه الحكومةُ، وسلَّمه إلى العسكرية، فبقي تحت ضغطهم ستّ سنين، وكان [الإمامُ الربانيّ ﷺ][1] يقول ﷺ: إذا هذه صارت درجة ونافعة لي؛ فلا يتأثّرُ بها أحدٌ من الأتباع، كما لا أتأثَّرُ بها، فهؤلاء المشايخ الكرام كانوا على قدم الإمام الربانيّ ﷺ، وحازوا تلك الفضيلةَ، والحمد لله.

وكان [شيخنا الأجلُّ][2] ﷺ مع تلك التَّضييقات يشرح الكتبَ ويصحِّحُها، ويبيِّنُ المشكلاتِ التي فيها، بحيث لو لم يكن يصحِّحُها هو ﷺ كذلك؛ لبقيتْ مجملاتٍ.

ومن ينظره إلى كتاب «الفنون» لحفيده صفوة الله، أحسن الله إليه في كلّ الشؤون، وأسكنه الله في بحبوحة الجنان، وأكثر عليه الرَّوح والرَّيحان ـ؛ يصدِّق بما ذكرنا.

وبيد من كانت كتبه ﷺ المصحّحة بيده المباركة كانت له كأستاذٍ ماهرٍ باهرٍ، جزاه الله عنا جزاء الأساتيذة الكرام الهمام، وقد كان ﷺ سنداً للعلماء والأفاضل، وشهيراً بذلك [١٤٦] بين الأماثل[3]، ومركزاً للعلماء، ومرجعاً

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) ما بين معقوفتين من متن (ب)، وهي في حاشية (أ).

(٣) في (ب): (بين الأنامل).

للفتاوى، بحيث يُقرَأ في السِّلسلة النَّقشبنديَّة وصفُه بأنَّه مركزٌ للعلماء.

وكان ﷺ يقول: ليس في شيءٍ من هذه الدُّنيا الدَّنيَّة الفانية ما يلتذُّ[1] به الإنسانُ حقَّ الالتذاذ سوى اجتماع بعضٍ من العلماء الصُّلحاء في ساحةٍ، فيشتغلوا بمذاكرة العلوم، ويسيروا بذلك على سيرة الأكابر، وذلك لا يمكن لأحدٍ في زماننا هذا.

وقال بعض طلبته: كنت معه في سفرٍ إلى قضاء موطكان، فأراد ﷺ أن يتوضَّأ، فأخذت الإبريقَ لأصبَّ الماء على يديه، فجاء المفتي الملا أحمد الأُوجُومي ﷺ، وأخذ الإبريقَ عن يدي، وقال: كنت خادمَ أبيه، وأكون خادمَه أيضاً ﷺ، فإنَّه كان فقيهَ الشيخ الأكبر ﷺ، وخادمَهُ في الأسفار.

فقال شيخنا ﷺ: إنَّ خادمَ الأب يكون أميراً على الابن، وقال بعضُ تلامذته في ذلك المبنى ـ أي: كونه سنداً للعلماء، وأعلى كعباً من جميع الأقران ـ، وانتشر في أفواه الطلاب، يقرؤونه ويتمثلون به هكذا:

بشتِ أحمد غيرِ فتحي هَمْ علاء الدين بحر
كس نزا نت قاضي ومنهج وهَم ابنَ الحجر

وكان اهتمامه بأمر الشَّريعة الغرَّاء بغايةٍ لا يعبَّر عنها، ويُجري أمرَها حسب قوَّته وإطاعة الناس له، ومن لَوَى جيدَه عن أمره العالي؛ يرى بالآخرة بلاءً يزيله عن شأن الإنسانيَّة.

(١) في (أ) و(ب): (تلتذ)، والصواب ما أثبتناه.

ولقد وقع في بعض قرى [من][1] صحراء موش عُرسان في قريتين قد شَهَّرُوا فيهما المزاميرُ المحرَّمةُ، وما نهى عنه الشَّريعةُ الغرَّاء، من لعب الرِّجال مختلطين بالنساء، فسمع قدس سره ذلك المنكرَ، فتضجَّر عن ذلك، وغضب غضباً شديداً، فأرسل إليهم بعض الملامات، وشتمهم على فعلهم الخبيث، وقال: منعنا نحن وأسلافنا مثل ذلك المنكر بأشدِّ تعبٍ من مملكتنا، أَوَتأتون به مرَّةً أخرى؟! فدعا عليهم، فلم يَدُمْ أحدُ العروسين مع عروسته إلا قليلاً، فبقي مراده في عينه[2] ومات، وابتلى الله الآخر بمرضٍ مزمنٍ، ولم يَعِشْ معافىً في بدنه، ودامت الداهيةُ فيه سنين، ثم مات هو أيضاً، ولم يَصِلْ إلى بغيته وصولاً تامّاً بقبول دعائه قدس سره عليهما، وهذا هو الذي في الدُّنيا، والذي في العقبى هو أشدُّ وأبقى.

وفي قرية من قرى [١٤٧] صحراء موش أيضاً نقب بعض الفُسَّاق جدارَ رجلٍ وهو لم يكن في بيته، ففرُّوا بزوجته جبراً، ثم بعد ذلك أخذ أخوها وزوجُها إياها، وقتلا الغاصبَ الفاسقَ، فلما أراد أقاربُ القاتل تسليمَه للحكومة؛ جاؤوا إلى الشيخ قدس سره، وطلبوا منه الدُّعاءَ له، فدعا قدس سره له ولهم، وقال: نجاه الله من الحبس في قريبٍ من الزَّمان، فلم يَبْقَ فيه ولا سنة، فخرج بعد أشهر.

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) في (ب): (عينيه).

وقد وقع أمثالُ هذا كثيراً، ولا نطيق استقصاءها في نطاق هذه النّبذة القليلة. وإشاراتُه إلى وفاته، وبعضُ كلماته[1] القدسيَّة، وأحوالُه وآدابُه السَّنية قدس سره؛ قد خُصَّتْ بالتَّأليف الحافل، فلا نتكلَّمُ عليها.

وقد فُتِحَ يوماً المحكمةُ العرفيّةُ في بتليس، وهي محكمةٌ غدّارةٌ لا ينجو منها ومن تبعتها غالباً من دخل فيها، فدعي الشيخُ قدس سره والملا محفوظ رحمه الله إليها، فجاء بعضٌ[2] محبٌّ له من أتباعه ليراه قدس سره، فحتى جاء ذهب الشيخ قدس سره، فلم يره هو، فصاح صيحةً عظيمةً، وألقى نفسه في المسجد، فقال: اللهم خَلِّص الشَّيخَ من هذه الورطة، واجعلني فداءً له قدس سره، فمرض بعد ذلك فجأةً، وتوفّي إلى رحمة الله، ولم يَصِلْ إلى قريته[3] كوسفارك، ودفن في قرية أوخين، وسَّع الله له في رَمْسِه.

وبعد أربعين يوماً نجا الشَّيخُ قدس سره من تلك الدَّاهية، ونقل كثيرٌ من الثِّقات أنّ الشّيخ قدس سره كان ينشد كثيراً في سنة وفاته قولَ أم المؤمنين عائشة الصِّدِّيقة رضي الله عنها:

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ ... وَبَقِي الَّذِينَ حَيَاتُهُمْ لَا تَنْفَعُ

وهذا صريحٌ في أنَّه يشير إلى وفاته، بل منطوقُه يصرِّحُ بذلك.

(١) في (ب): (كليماته).

(٢) وهو عيسى بن حَسُو الكوسفاركي رحمه الله.

(٣) في (ب): (قرية).

وكان ﷺ يقول في مرضه الأخير: أنا مرضتُ كثيراً من المرات، ولم أرَ شدَّةَ الوجع مثل[1] الوجع في مرضي هذا، ومع ذلك لم يدخل في الفراش، ولم يتركْ ما كان يفعله قبلُ، ويدرّس ما كان يدرّسه أيضاً.

وجاء لعيادته ﷺ الشيخ فتى الشيخاني ﷺ، فبعد صلاة المغرب مَدَّ ﷺ رجله، وقال: إنّي في أيّ وقتٍ لا في المرض ولا في غيره لم أَمُدَّ رجلي في المجالس، فقال الشيخ فتى: فمُدَّه[2] على عيني، وأفرح بذلك، فقال ﷺ: إنّي أقول هذا عن حالي بالنِّسبة إليَّ، لا بالنِّسبة إلى غيري.

وقال ﷺ إذا للشّيخ فتى ﷺ: رأيتُ كثيراً [١٤٨] انتقلوا من قريةٍ إلى قريةٍ، وبلدةٍ إلى بلدةٍ، لأغراضٍ دنيويةٍ لهم، ولم أر أحداً انتقل لمهامَّ دينيةٍ وأغراضٍ أخرويّةٍ، حتى أشهدَ له بذلك عند الله تعالى.

وقد دُوِّن أحوالُه في مرضه ووفاته ومناقبه، فلا نطيلُ الكلامَ بها، وقد مرّ من الكانون الأوّل بالحساب العتيق ستّةُ أيامٍ.

وفي ظهر ذلك اليوم السّادس في سنة (١٣٦٥) أي: ثلاثمائة وخمس وستين بعد الألف من الشمسي الرومي؛ ناداه ﷺ منادي الملِكِ القادر إلى حضرة قدسِه، فأجابه بالتَّرحيب والرِّضا، وكان يوم الإثنين الثامن والعشرين من شهر صفر الخير، من شهور سنة (١٣٦٩) أي: ثلاثمائة وتسع وستين

(١) وجعي في هذه المرة، خ.

(٢) فمدّها، خ.

بعد الألف من الهجرة النبوية القمريَّة، اللهم اجلهم بجلالك كما أكملتهم بكمالك، واكتب لهم الدَّرجات العاليات، ولا تحرمنا وجميع أمَّة الإجابة من تلكم المقامات، وزِدْ أولادهم وذريَّاتهم شرفاً ونُبْلاً وعلماً وفيضاً من ينابيعهم المتزايدات، ولجميع أتباعهم في تلك الدَّرجات.

وقال بعضٌ من أتباعه في تاريخ ارتحاله إلى المثوى الأخير بحساب الجُمَّل الكبير هكذا:

أَيـنَ مَـنْ بِـهِ اهْتَـدَيْنَا؟ أَيْـنَ كَهْـفُ الغُرَبَـا؟

أَيْـنَ مَـنْ يَـأْوِي إِلَيْـهِ الكُبَـرَاءُ الأُدَبَـا؟

سَـادِسَ الكَـانُونِ الأَوَّلِ وَدَّعَ الأَتْبَـاعَ[1]

فِي ظُهْرِ إِثْنَيْنِ[2] مَضَى مِنَ صَفَرَ الخَيْرِ كَهَبَا

ذهـبَ اللَّـذَّاتُ طُـرّاً وكـذا العـيْشُ

كما كان تأريخ الوفاة: (أين مَلجَا الغربا؟)[3]

وقال الملا حسيب الذوقيدي ﷺ في تعزيته ومَرْثيته وتاريخ وفاته ﷺ:

إِنَّـا نُعَـزِّيكُمْ وَحُـقَّ التَّعْزِيَـة ... لِجَمِيعِنَـا وَجَمِيـعِ أَهْـلِ الـدِّينِ

وَتَخُصُّـهُ بِهُبُوطِـهِ مُتَسَـفِّلاً ... بِسُـقُوطِ رُكْـنٍ بِعَـلَاءِ الـدِّينِ

(١) المسكين، خ.

(٢) الإثنين، خ.

(٣) سنة ١٣٦٩.

قَمَراً لِأَهْلِ الدِّينِ كَانَ قَدْ غَرَب ... فَتَبَارَكَ اللهُ فِـي تَـا الأوخـين

فَلْيَبْكِهِ[1] أَهْلُ الحَقِيقَةِ بَعْدَهُ ... وَطُلَّابُ أَهْلِ العِلْمِ بِالعَيْنَيْنِ

لَا زَالَتِ الأَنْجَالُ فِي عَيْشٍ رَغد ... مَحْمُودَةَ الخِصَالِ فِي الدَّارَيْنِ

تَأْرِيخُهُ[2] جَزَلٌ بِأَنْ تَحْذِفَهُ ... مِن عَدِ حَضْرَتَا[3] قُطبُنَا النُّورشين

وكتب كثيرٌ من العلماء بهذا المنوال تاريخَ وفاته ﷺ، ونكتفي بهذين المذكورين، ومن يُرِدْ أن يرى الكلَّ؛ فليراجع إلى مراثِيهِ ﷺ.

** ** **

(١) في (ب): (فليُبكِيه).

(٢) في (ب): (تاريخه).

(٣) سنة ١٤٠٩.

[مبحث أولاد شيخنا الأجلِّ الشَّيخ محمَّد علاء الدِّين ﷺ][1]

ولقد خلف ﷺ أبناء ثلاثةً وابنتين، ولكلٍّ منهم عقبٌ، وكلُّهم أكارمُ وعلماءُ وفضلاءُ، وهم: الشيخ محمد مظهر وهو أكبرُهم، [١٤٩] والشيخ محمد خالد وهو أوسطُهم، والشيخ محمد عاصم وهو أصغرُهم، وكتب أبوهم الشيخُ الأجلّ ﷺ: قد مَنَّ الله علينا بولادة أبي البقاء محمد مظهر في أواخر التشرين الأول سنة (١٣٣١) (١٣٢٩) أي: ثلاثمائة وإحدى وثلاثين بعد الألف الهجرية، وثلاثمائة وتسع وعشرين بعد الألف الشمسية الرومية، وبولادة أبي الفضل محمد خالد في شباط من سنة (١٣٣٤) (١٣٣٢) أي: ثلاثمائة وأربع وثلاثين بعد الألف الهجرية، وثلاثمائة واثنتين وثلاثين بعد الألف الشمسية الرومية، وبولادة أبي الفتح محمد عاصم في آذار من سنة (١٣٤١) (١٣٣٩) أي: ثلاثمائة وإحدى وأربعين بعد الألف الهجرية، وثلاثمائة وتسع وثلاثين بعد الألف الشمسية الرومية. ولكلٍّ منهم مآثرُ ومناقبُ وسجايا محمودةٌ.

أما الشيخ محمد مظهر ﷺ؛ فقد كان عالمـاً ماهراً، وله تأليفاتٌ فائقةٌ[2]، وفتاوى كثيرةٌ يستفيد منها النَّاسُ كثيراً والمسلمون الراغبون في الدِّين.

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) فاخرة، خ.

وما من مشكلٍ إلا وله في حلِّه أناملُ[1]، ومقبولةٌ[2] عند العلماء، وكان صابراً على المشاقِّ، وحليماً حِلْماً طبيعيّاً، وحقّ أن يمثل به في الحِلْم ﷺ، وألّف كتاباً طويلاً في المشائخ النَّقشبنديَّة وبعضٍ آخرين، وبيَّن فيه آداب الطَّريقة النَّقشبنديَّة البيضاء، وأشبع القولَ فيها.

وكانت قراءتُه كلُّها عند أبيه الأجلّ ﷺ، وأجازه إجازةً حافلةً باستعمال تمام الكتب من النَّقليَّات والعقليَّات، ومشتملة على إجازته في الفتاوى الفقهيَّة، وأجاز هو كثيراً من العلماء، جزاه الله خير العاملين.

وكان تمامُ أعماله في الطَّريقة النَّقشبنديَّة ومشاقِّها وتَعَباتها[3] عند أبيه الشيخ الأجلِّ ﷺ، وأجاز كثيراً في الخلافة في الطَّريقة النَّقشبنديَّة.

وله أبناءٌ أربعةٌ: رحمة الله، وحكمة الله، وعطاء الله، وصفوة الله؛ أنبتهم الله نباتاً حسناً.

وكان حكمةُ الله وصفوةُ الله عالِمَين ماهِرَين كبيرَين، سيَّما صفوة الله، فقد كان مدقِّقاً تدقيقاً عميقاً[4]، وقد ألَّف عدَّةَ تأليفاتٍ فائقةٍ شائعةٍ[5] بين العلماء والمحصِّلين من الفقهاء، ولكن حسب قضاء الله وقدره لم يَعِشْ بعد

(١) في (ب): (أناميل).

(٢) في (ب): (ومقبوله).

(٣) في (ب): (وتعابها).

(٤) عظيماً، خ.

(٥) شاعت، خ.

أبيه إلَّا أقلَّ من سنةٍ، أفاض الله عليه شآبيبَ رحمته، وميازيبَ غفرانه، وأحاطه بسُحُبِ رضاه [١٥٠] ورضوانه، حتى يستريحَ[1] في غرف جِنَانه، وقيل في تاريخ وفاته ﷺ:

در هزارُ وجار صدوده[2] ته لِدِلي مه دَايَه تيغ

تيـغ[3] تاريخَـا فِرَاقَـه لَـو دِكِـنْ بُرْنَالَـه نَـالْ

وأنجب ابناً عالماً فاضلاً اسمُه: صبر الله، جعله الله تعالى صبراً لذويه في مقام أبيه عن الحسرات والكآبة له، وأناله مراتبَ آبائه وأجداده قَدَّسَ الله أَسْرَارَهُمْ، وحرسه من شنآن الدَّهْر.

وأما ابنُه الثاني الشيخ محمد خالد قَدَّسَ الله أَسْرَارَهُمَا؛ فقد كان عالماً كبيراً، وأستاذاً شهيراً، وكان علَّامةَ زمانه، يستفيد منه طبقاتُ النَّاس، سيما العلماءُ الفضلاءُ المهرةُ، فيغترفون من بحره مياه العلم والعُلَى، ويُعَبِّرون عنه ﷺ في بعض المرَّات بالخالد الثالث لمولانا ذي الجناحين، وللشيخ خالد الأُولَكِي، قَدَّسَ الله أَسْرَارَهُمْ.

وكان أشجعَ النَّاس وأقواهم في الصُّلْح بين العشائر الكبيرة ذوي البأس الشَّديد، وردِّهم إلى صوب الطريق السَّوِيّ السَّديد، ورَدْعِهم عن مخالفة الشَّريعة الغرَّاء.

(١) في (ب): (يسترح).

(٢) في (ب): (صدده).

(٣) سنة ١٤١٠.

وكان ذا هيبةٍ ورثها من جدّه الأقرب الشيخ الأكبر ﷺ، كما ورثها هو من جدّه الأقصى مولانا أمير المؤمنين عمر الفاروق[1] رضي الله عنه.

وكان أكملَ الرِّجال على تدبير بيت الشَّيخ الأكبر ﷺ، حتى كان كثيراً ما يحتاج إليه بنو أعمامه مع مهارتهم في الشُّؤون والمشاغل من بين الأماثل والأفاضل.

وكان ﷺ في كلِّ ما ذكرناه أعجوبةَ زمانه في طيلة أوانه، وكان قراءتُه كلَّ العلوم ـ عربيّةً وفارسية وكرديّةً، بل وتركيّةً ـ مثلَ أخويه الأكبر والأصغر عند أبيه شيخ الشُّيوخ في الألطاف والفتوح، قدَّس الله أسرارهم.

وعمل هو أيضاً ـ كأخيه الأكبر ـ بين مشاغله المفوَّضة إليه عند أبيه ﷺ، حتى أكمَلَ وكَمُلَ، وأجاز في العلوم كثيراً، وكذا في الطَّريقة النَّقشبنديَّة قدَّس الله أسرارَهُ وأسرارَ ساداتها الكرام، ولم يقعدْ عن التَّدريس أصلاً، لا في صحَّته، ولا في مرضه، ولا في حَضَرِه، ولا في سفره، جزاه الله خيراً، ولا أراه بائساً ولا ضيراً.

وله ﷺ مناقبُ وآثارٌ كثيرةٌ حسنةٌ، فلنكتفِ بهذا القليل، وجزاه الله عن المسلمين الخيرَ الجزيلَ، وأضاء له السَّبيلَ، ولا أبقاه متوحِّشاً في البرزخ الطَّويل.

[١٥١] وله أبناءٌ خمسةٌ فضلاءُ علماءُ كرماءُ في شأنهم، وعظماءُ في

---

(١) في (ب): (عمر الفارق).

زمانهم، يُعْرَفون من بعيدٍ في مكانهم، ويُشارُ إليهم بالبَنَان من بين أقرانهم، وهم: محمد باقر، ونعمة الله، وفتح الله، ومنصور، وضياء الدين، أنبتهم الله نباتاً حسناً، وجعلهم أعلاماً في شوامخ أكابر زمانهم.

وتوفِّي من أولاد شيخنا الأجلّ ﷺ أوّلاً الشيخ محمد خالد[1] ﷺ بعد مقاساة الأمراض الشَّديدة السَّرطانيَّة في العظام، مع كونه ﷺ مِمْرَاضاً[2] قبل ذلك، جعل الله تلك الأمراضَ له كفارةً ورفعةَ الدَّرجات والقربة والزُّلفى.

وتوفِّي في أنقرة في المستشفى الكبير في جانقايا، وأُتِيَ بجسمانه الشَّريف إلى قرية أوخين جنب أبويه وبعض أقاربه وذويه، أعلى الله درجة الجميع، وقدَّس أسرارهم، ورفع[3] شموسهم وأقمارهم.

وحزن عليه أخواه وسائر أهل بيت الشيخ الأكبر قدَّس الله سِرَّهُ كُلَّهُم، بل كلُّ أهل المملكة من الأتباع وغيرهم، والعارفون به من سائر الممالك القاصية والدَّانية، ويجيؤون لتعزيته أفواجاً أفواجاً إلى قريبٍ من سنةٍ.

وكانت وفاته ﷺ في الثاني عشر من الكانون الثاني بالحساب القديم في سنة (١٤٠٦) أي: أربعمائة وست بعد الألف الهجرية القمريَّة.

وقيل في تاريخ وفاته ﷺ بالجُمَّل الكبير:

---

(١) في (ب): (الشيخ خالد).

(٢) في (ب): (مِمْرَاداً).

(٣) وأضاء، خ.

لَفِـي الجِنَـانِ خالـدٌ ثـواى أتـى تاريخُـه

بعد (يدٍ)[1] أُولى الجُمَادى[2] الفِراق يا للفراق

وبالرومية الشمسية (١٤٠١) أي: أربعمائة وواحدةٍ بعد الألف.

ثم توفّي بعده بثلاث سنين تقريباً أخوه الأكبرُ الشيخُ محمد مظهر (قدس سره)، أي: في سنة (١٤٠٩) أي: أربعمائة وتسع بعد الألف من الهجرة، وقيل في تاريخه:

تأريخُـهُ رَبـح بالنَّعمَـاءِ شـيخي سـيِّدي

في ثـامِنِ كـانونِ ثـانٍ غـابَ ذَا الوجـهُ الحسـنْ

وقيل أيضـاً:

لَمَّـا سـرى إلـى الجِنـانِ مَظهَـرُ   تأريخُـه جَـا فَبِرِضْـوانٍ سـرى

والتاريخان كلاهما بالهجرية القمرية، وأما بالرومية الشمسية ففي سنة (١٤٠٤) أي: أربعمائة وأربع بعد الألف، وكان مرضه (قدس سره) داءً قلبيّاً كامناً في جوانحه، فاجأه[3] في قضاء بايكان، وقد ذهب إليها لإصلاحٍ بين أقاربه الورقانسيين، [١٥٢] فدعاه قبيل[4] تمام الصُّلح داعي المَنُون بـ: ﴿يَا أَيَّتُهَا

(١) ١٤.

(٢) في (ي): (بعد يدِ أولى الجمادى أولى الجمادى... إلخ).

(٣) في (ب): (فجاءه).

(٤) في حاشية (أ): قبل، خ.

النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[1]، فأجابه (قدس سره) في وقت الظُّهر رحمه الله رحمةً واسعةً لروحه وجسمه، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ونُقل جسمانُه الكريمُ بنعش رَوْحٍ ورَيْحانٍ من الرَّحيم الرَّحمن إلى قرية أوخين مغرب شموس الأكرمين، إلى جنب أبويه المحترمين وأخيه وسائر ذويه المحترمين قدَّس الله أَسْرَارَهُمْ، وأفاض علينا بركاتِهم وأنوارَهم، آمين بجاه النَّبي الأمين، عليه وعلى آله وعلى سائر الأنبياء والمرسلين الصَّلاة والسَّلام الأتمَّين، وجعلنا من المتَّقين.

ويقول كاتبُ العُجالة محمد نور الله الكوديشكيّ خادم عتبة أهل[2] بيت الشَّيخ الأكبر (قدس سره):

وأمَّا ابنُ شيخنا الأجلّ (قدس سره) الأصغر منهما الشيخ محمد عاصم عصمه الله من البليَّات الدِّينيَّة والدُّنيويَّة بحقِّ الأكارم؛ فإنَّه حيٌّ بالحياتين والحمد لله، فهو أيضاً عالمٌ فاضلٌ كاملٌ ومُكمِّلٌ، ومجازٌ بالإجازتين، ومجيزٌ لهما: العلميَّة من والده العلَّامة البحر أعجوبة أهل العصر مولانا الشيخ محمد علاء الدين علامة الدهر (قدس سره)، والنَّقشبنديَّة من مولانا وفي كلِّ شيءٍ أولانا الشيخ محمد تقي الدين حفيد الحضرة (قدس سره) خليفة الشَّيخ محمود القره كوي ثم الشامي (قدس سره) السَّابق ذكرُهم، وسيجيء ذكرُه مستوفىً إن شاء الله تعالى.

(١) سورة الفجر: ٨٩/ ٢٧- ٣٠.

(٢) في حاشية (أ) و(ب) فوق كلمة (أهل) نسخة.

وللشيخ [محمد][1] عاصم هذا ثلاثةُ أبناءٍ كرامٍ علماءُ فضلاءُ عاملون في الحُسْنَيين، رزقهم الله العلي العظيم إيَّاهما بفضله العميم، وأنالهم بكرمه أريكة أسلافهم، وجعلهم قبلةً وملجأً لمن يأوي إليهم ولمن يليهم، إنَّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاءُ من أهله زادهم الله، وهم: محمد زاهد، ومحمد مسعود، ونور محمد، حرسهم الله من نكبات الدَّارين، وجعلهم من فضله الكثير موافقين لأساميهم، آمين يا أكرم الأكرمين.

هذا، وأسلَك شيخُنَا الأجلُّ الشيخ محمد علاء الدين قدس سره كثيراً من السَّالكين، وأما الذين انتهتْ أعمالهم الرِّياضيَّةُ؛ فهم: الشيخُ تقي الدين حفيد الحضرة قدس سرهما وأبناؤُه، والشيخُ جنيدٌ بن الشيخ محمود الذوقيديّ قدس سرهما، والشيخ الملَّا سيف الدين حفيد الشيخ [١٥٣] موسى أخي الشيخ الأكبر قدس سره، وهؤلاء ذهبوا بإشارته إلى الشيخ محمود القره كوي ثمَّ الشاميّ قدس سره، وظفروا بالخلافة منه قدس سره، سوى ابن شيخنا الأجلّ قدس سره الشيخ محمد عاصم، فمنَ الشيخ تقي الدين قدس سرهما الآتي ذكره، والملَّا رشيد ابن الملَّا عبد الكريم التِّرتُوبي، فمن الشيخ يحيى الجُوقْرَشيّ قدس سره.

ولم يأذنْ شيخُنا الأجلُّ قدس سره لأحدٍ بالخلافة لحكمةٍ إلهيَّةٍ لا نعلمها ولا السِّرَّ فيها، بل قال الشيخُ محمود القره كوي قدس سره بعد ذهاب أولئك السَّالكين إليه: كنتُ رجلاً فقيراً لم أُعرَفْ، فأرسلكم الشيخُ الأجلُّ قدس سره إليَّ من وفائه الكثير لأُعرَف أنا، وإلَّا؛ فلا حاجةَ لمثلكم إلى السُّلوك من بعدُ.

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

وكان يقول الشيخُ تقي الدين بعد وفاة الشيخ الأجلّ قدس سرهما لأبنائه: إن أنتم ذهبتم إلى أيِّ أحدٍ قريباً أو غريباً؛ فأنا معكم ولا أفارقكم، وذلك من كثرة وفائه ومحبَّته لهم ولأبيهم، ورسوخ تلك المحبَّة في روحه قدس سره، فذهب هو وهم إليه قدس سره، فأجازهم أسلكهم الله سبيلَ السَّداد. وهذا الذي ذكرناه كان من أحوال بيت الشَّيخ الأكبر قدس سره وأولاده وأحفاده.

وأما أحوالُ بيت الأستاذ الأعظم قدس سره؛ فقد جاد الشيخ محمد معصوم ﵀ فيهم بعد الحضرة قدس سره وأحسن وأكرم، بأن جعل ابنيه الشيخ أحمد والشيخ نجم الدين ﵀ قَهْرَمَانَين على نظام البيت، وأشغل سائر أحفاد الأستاذ الأعظم قدس سره بالعلم والعمل والتَّدريس والدَّرس، ولم يهملهم سُدىً، حتى نالوا الفضلَ والعُلى من الحُسنَيين، وأخذوا إربتهم بكمالها.

وقال الحضرةُ قدس سره في حقِّ الشيخ محمد معصوم رحمة الله عليه رحمةً واسعةً: إنَّه وإن لم يكن أعلى كعباً من سائر أولاد وأحفاد الأستاذ الأعظم قدس سره، لكنَّ روحَ بيت الأستاذ قدس سره كان به، فإنَّه إذا كان في البيت لا يُسْمَعُ من أيِّ أحدٍ شيءٌ ولا خلافٌ، ولكن خلافُ ذلك عند غيابه.

وكان الحضرةُ قدس سره يوماً جالساً على حوض قرية دِمْرجي، إذ فاجأه كتلةٌ من الفرسان من تلِّ مقابلٍ للقرية، فسأل الحضرةُ قدس سره: مَن هؤلاء؟ فأجابوه: بأنَّه الشيخُ معصوم ومعه رجالٌ فرسانٌ، فقال الحضرةُ قدس سره بعد هُنَيهَةِ تأملٍ: إنَّ ابن أخي هذا وإن لم يَنَلْ ما نلناه من العلم، ولكن له محبَّةٌ

تامَّةٌ، ويخدم لبيت الأستاذ الأعظم قُدِّس سرُّه خدمةً صادقةً، [١٥٤] يرجى أن يَنال بها درجةً عاليةً، وقد حقّق الله تعالى أمنيةَ الحضرة قُدِّس سرُّه فيه، والحمد لله.

والذين أشغلهم الشيخُ محمد معصوم ﵀ بالعلم والعمل هم: الشَّيخُ طه، والشيخُ تقي الدين، والشيخُ معشوق، والشيخُ ناصر، فأخذوا إجازةَ علمهم الظَّاهر من الملَّا محمد باقي، وهو من الملَّا محمد أمين الشهير بملَّاء مَزِن - أي: الكبير -، وهو من الشَّيخ الأكبر شيخ الشَّريعة الشيخ فتح الله الورقانسيّ قُدِّس سرُّه.

وأخذ الملَّا باقي والشيخ طه الخلافةَ من الملَّا الكبير المذكور قُدِّس سرُّه، والشيخُ معشوق من الشيخ أحمد الخزنويّ قُدِّس سرُّهما، والشيخُ ناصر من الشيخ عبد الحكيم البلوانسيّ ثم المنزليّ قُدِّس سرُّهما، والشيخ تقيّ الدين من كعبة الآمال شيخنا المفضال الشيخ محمود القره كويّ ثم الشامي قُدِّس سرُّهما، وسيجيء تفصيلُ أحواله إن شاء الله تعالى. وكلُّ هؤلاء المذكورين [من][1] أحفاد الأستاذ الأعظم أحيَوا عهدَ الأستاذ الأعظم والحضرة قدَّس الله أَسرَارَهُم بعدهما، ودَرَّسوا وأقرَؤُوا الفقهاءَ، وأحيَوا مواتَ العلوم، وأظهروا متروكاتها، وأسلكوا السَّالكين، وجادوا وأجادوا، وأجازوا كثيراً من العلماء في العلوم الظَّاهريَّة، وأذنوا كثيراً بالخلافة، أعلى الله درجاتهم، ونفعنا بنفحاتهم بعد مماتهم كما في حياتهم. ولكلٍّ منهم عقبٌ وذريّةٌ، أنالهم الله مراتبَ آبائهم وأجدادهم.

(١) ما بين معقوفتين من متن (ب)، وهي في حاشية (أ): خ.

وتوفّي الشيخُ محمد معصوم ﵀ في سنة (١٣٩٠) (١٣٨٧) ثلاثمائة وتسعين بعد الألف الهجرية القمرية، وسبع وثمانين بعد الألف الشمسية.

وكان له من حَرَمِه الأولى المحترمة ثلاثةُ أبناءٍ: الشيخ أحمد، وتوفّي قبله بثلاث سنينَ، والشيخُ نجم الدين، والشيخُ معشوق. ومن الثانية المحترمة: الشيخُ نور الدين، والشيخُ محيي الدين، وصفوةُ الله، ومحمد حسين، ولكلّهم عقبٌ، أصلحهم الله، وأسلكهم سبيلَ الرَّشاد.

وتوفي الملَّا محمد باقي ﵀ في سنة (١٣٨٨)[1]، أي: ثلاثمائةٍ وثمانٍ وثمانين بعد الألف من الهجرة النبوية ﷺ. والشيخُ معشوق ﵀ في سنة (١٣٩٥هـ) (١٣٩١شمسي) أي: ثلاثمائة وخمس وتسعين بعد الألف الهجرية القمرية، وثلاثمائة وإحدى وتسعين بعد الألف الشمسية. والشيخ طه ﵀ في سنة (١٤٠٠هـ) (١٣٩٦شمسي) أي: أربعمائة بعد الألف الهجرية [١٥٥] القمَريَّة، وثلاثمائة وستٍّ وتسعين بعد الألف الشَّمسية. وتوفي الشَّيخ نجم الدِّين ﵀ قبله بكم أيامٍ. والشَّيخ ناصر ﵀ في سنة (١٣٨٧هـ) (١٣٨٣شمسي) أي: ثلاثمائةٍ وسبعٍ وثمانين بعد الألف بالهجريَّة[2]، وثلاثمائة وثلاث وثمانين بعد الألف بالشَّمسيَّة.

وكان ممَّن بقي بعد الحضرة من أحفاد الأستاذ الأعظم قُدِّس سرُّهما السُّلطانُ

(١) في حاشية (أ) و(ب): (الشمسية).

(٢) في (ب): (بالهجرة).

ولَد بن الشَّيخ محمَّد سعيد بن الأستاذ الأعظم (قدس سره)، وكان عالمـاً عاملاً[1] عارفـاً عاقلاً أديبـاً، وأسفـاً لم يَدُمْ بعد الحضرة (قدس سره) كثيراً، وتوفي (رحمه الله) في سنة (١٣٥٢) أي: ثلاثمائة واثنتين وخمسين بعد الألف من الهجرة.

وقال شيخنا الأجلُّ الشَّيخ محمَّد علاء الدِّين (قدس سره): جميعُ أولاد وأحفاد الأستاذ الأعظم (قدس سره) أكثرُ عقلاً وأشدُّ فطانةً من أكثر النَّاس، ولكنَّ الملَّا فتح الله والسُّلطان وَلَد (رحمهما الله) أعلى كعبـاً فيهما، وكلُّهم مدفونون[2] في روضة الجنَّة الدُّنيويَّة[3] الدَّانيةِ القطوف - أي: النُّورشين المعمورة بقبور الأقطاب -، الحافِّين بشمس العارفين الأستاذ الأعظم الشَّيخ عبد الرَّحمن التَّاغي قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُ وَأَسْرَارَهُمْ، سوى السَّيِّد المحبوب مولانا الشَّيخ محمَّد معشوق ابن الشيخ محمَّد معصوم، فإنَّه توفِّي في مكَّة المكرَّمة، وبقي هنالك في جنَّة المُعَلَّى[4]، وهو سفيرُنا هنالك، ويقودنا إلى المحشر بإذن الله تعالى، أعلى الله درجاتهم، آمين.

** ** **

(١) نسخة .

(٢) في (ب): (مدفون).

(٣) في حاشية (أ): الرُّوحية، خ.

(٤) في حاشية (أ): (أي: قبور مكة المكرمة العتيقة)، وفي حاشية (ب): (العتيبيَّة).

[مبحث أحوال شيخنا الكامل المكمَّل الشَّيخ محمود القره كوي (قدس سره)][1]

وأمَّا خليفةُ الحضرة الشَّيخ محمود القره كوي (قدس سرهما)؛ فقد كان وفاتُه بعد جميع خلفاء الحضرة (قدس سره) كلِّهم، وآثارُ الكمال والتَّكميل تُرى فيه بالبداهة، ولا يرتابُ أحدٌ في أنَّه من أجلِّ أولياء الله تعالى.

وقد يحكي (قدس سره) عن نفسه: أنَّه كان يحبُّ الشَّلوار المنقوشة في آنِ أن كان فقيهـاً، وقال (قدس سره): قد اشتريت لي شَلواراً كذلك، فلمَّا رآني أستاذي الشَّيخُ الأكبرُ (قدس سره) نصحني وقال: يا محمود، لا تنظرْ أنت إلى من سواك من الطُّلَّاب، ولكن إذا نالتْ يدُك بشيءٍ من النُّقود؛ فاشتر به الكتبَ، والبس الأرخصَ من هذا، فبعتُ ذلك الشَّلوارَ، وجعلتُ نصحَه (قدس سره) أدبـاً وسجيَّةً.

ويقول: كنت فقيهـاً في ملاكند، فجاء الحضرة (قدس سره) إليها وكان معه جمعٌ كثيرٌ، فلمَّا قام ليذهب شيَّعه النَّاسُ والفقهاءُ [١٥٦] وأنا فيهم، ورجع النَّاسُ فوجـاً فوجـاً، ولكن لم أفارقه أنا واثنان من رفقائي، وذهبنا معه إلى أن رجع النَّاسُ كلُّهم، فجئنا للوداع، فقال لي: إنَّ أباك الملَّا أحمد كان حِصَّةً للشَّيخ الأكبر (قدس سرهما)، وأخاك الملَّا محمَّد كان حِصَّةً للشَّيخ أحمد الطَّاشكساني (قدس سرهما)، وأمَّا أنت؛ فمن حِصَّتي.

(١) ما بين معقوفتين من (ب) .

ويقول قدس سره أيضاً: كنت فقيهاً في بتليس في مدرسة الشَّيخ الأكبر قدس سره، فنزلَتْ علينا داهيةٌ كبرى ـ أي: مرض الوباء ـ ولم يبقَ في بيت الشَّيخ الأكبر قدس سره أحدٌ سالماً سوى حرَمِهِ الكبرى وخادمةٍ لها، وتَلِفَ بها كثيرٌ من النَّاس من صغيرٍ أو كبيرٍ، وكنت أنا أيضاً في شدَّة المرض، فرأيت أحداً منوَّراً جاء في تلك الحال إليَّ، وقال: أتخاف من فَوْتِك؟ فقلت: لا، فقال: لا تخفْ، إنَّك لتُعمَّرَنَّ عُمُراً طويلاً، ولتكوننَّ الشَّيخ محموداً المعنويَّ، وتسميَتُه بالشَّيخ المعنويِّ مبنيَّةٌ على ذلك، فيُقرَأُ في السِّلسلة في التَّوجُّهات والختمات، وكان قدس سره يقول بعد أن شاخ ويَعجُز[1] من التَّحرُّك: إلى متى يطول الحياةُ؟ بس، فقد كفاني ما جفاني.

وهذه التَّبشيراتُ المذكورةُ قد كانت له في عنفوان شبابه.

وقد كانت إجازتُه[2] وإجازةُ الشَّيخ الأجلِّ الشَّيخ محمَّد علاء الدِّين قدس سرهما معاً في بلدة بتليس المحروسة من الفتن المدسوسة عند الأستاذ العلَّامة الملَّا عبد الكريم رحمه الله كما ذكرنا.

وبعد أن قضى إِرْبَهُ من العلوم الظَّاهريَّة، وأَخَذَ إجازتَه؛ أقبل على العمل في الطَّريقة النَّقشبنديَّة عند الحضرة قدس سرهما، ودام عنده في الرِّياضات والآداب، والانتقال من مقامٍ إلى مقامٍ، وعلا إلى أن وصل إلى ذروة

(١) في حاشية (أ) و(ب): يتعجَّز، خ. وفي متن (ب): وتعجّز.

(٢) أي: العلمية الظاهرية.

الكمال، وصار من أكمل الرِّجال، وأُذِنَ بالخلافة، وحين كونِهِ سالكاً عند الحضرة قدس سرهما في قرية دَمِرْجي جاء الحضرةُ قدس سره إلى البيت، وسأل عن حرمه المحترمة: ما المأكل حاضراً؟ فقالت: لا شيء غيرُ الخبز والمخيض والرَّائب، وكان الحضرةُ قدس سره يمشي ويتردَّدُ في البيت شوقاً ومحبَّةً، فقال: وادي دمرجي ممتلئٌ من العلماء والطُّلَّاب والسَّالكين، وفي بيت الأستاذ الأعظم قدس سره واحدٌ مثلُ الشَّيخ محمود القره كوي، فيجب علينا [١٥٧] أن نشكر هذه النِّعمةَ العظمى[1].

وقد ذكر يوماً في ديوان نُورشين خلفاء الحضرة قدس سره وسرُّهم، وكان شيخُنا الأجلُّ الشَّيخُ محمَّد علاء الدِّين قدس سره حاضراً، فقال: كان الشَّيخُ محمود عند الحضرة قدس سرهما أعلى منزلةً وأوفر محبَّةً.

وقال الشَّيخُ معصوم رحمه الله: كنت في البيت وأحسَسْتُ قبل الفجر بأنَّ على السَّقف شيئاً يجول، فخرجتُ، فإذا هو الحضرة قدس سره يجول على السَّقف كجَوَلان الفقهاء عند حفظ المتون، فلمَّا رآني وعَرَفَني دعاني، وقال: لُفَّ لي سيكارةً، فلفَفْتُها له، فقال: إنِّي أستنشقُ من هنا رائحةَ الشَّيخ محمود في قرية مَارْنِيك، وأفرحُ به، وكان بين مَارْنِيك التي كان فيها بيت الشَّيخ محمود وبين نُورشين مسافة ساعتين أو ثلاث ساعات تقريباً.

ولَمَّا رجع من الحجِّ مع الحضرة وبعض خلفائه قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ،

(١) الكبرى، خ.

ووصلوا إلى الشَّام، قال: أريد المقامَ هنا، فلم يقبل الحضرةُ قدس سره، وجاء معه إلى المملكة حسب الأمر، ثمَّ أراد الله تعالى أن أذهبه إلى الشَّام في آخر عمره، وتوفّي هنالك، جعل الله الجنَّةَ مثواه.

وكان قدس سره كم مرارٍ يقول: إنَّ اللَّذاذةَ وذوقَ الحياة إنَّما كانت في وقت الحضرة قدس سره، ونحن نجول في البين مُسْتَرِحين قلوبنا، ومستروحين أبداننا، فذهب هو، وأذهب معه الكلَّ من الرَّاحة والصَّفا، وأبقى لنا النِّقمَةَ والجفا قدس سره.

وسببُ تركه قدس سره المملكةَ وذهابه إلى سوريَّة: أنَّ الحكومةَ لَمَّا اشتدَّت على رؤساء الأكراد كان عند نوح بك رجلٌ يسمَّى بالملَّا محمود[1]، فطَلَبَتْهُ الحكومةُ، وكان شيخُنَا هذا أيضاً يدعى بالملَّا محمود، فاتَّهمته الحكومةُ بتهمة الملَّا محمود الأوَّل؛ لاشتراكهما في الاسم، فراح إلى سوريَّة، وفيها استراح، ونجا من أيدي الخاصَّة والعامَّة، وفاز بالفلاح، واشتُهِرَ هنالك أمره قدس سره، وكالمسك العبيق فاح. نَعَمْ، لا يُستر المسك تحت الأستار، وفَوحَتُه تدُلُّ عليه بكلّ غاية الاستخبار.

فاجتمع عليه هنالك العلماءُ الفُضلاءُ، والسَّالكون العاملون، والفقهاء المحصِّلون، أعلاه اللهُ قدراً، وزاده أجراً، وأجاز كثيراً من الطَّلبة في العلوم الظَّاهريَّة، وأذن كثيراً من السَّالكين في الطَّريقة العليَّة النَّقشبندية، قدَّس الله أسرارَه وأسرارَ [١٥٨] ساداتها الكرام.

(١) وهو أخو الحاج عبد الوهاب رحمه الله.

وكان قدس سره هذا[1] قد انتقل من قرية تِلّيلُون إلى الشَّام الشَّريف، وسكن في المحلَّة الصَّالحية مقداراً من الزَّمن، ثم رجع إلى تِلّيلُون، ثمَّ نقل بيته من هنالك[2] إلى المدينة المنوَّرة على منوِّرها أفضلُ الصلاة وأكملُ التَّحيات المفتخرة، ثمَّ رجع إلى قريته[3] تِلّيلُون، والسَّببُ في أولئك التَّجوال: زيادةُ شوقه، وجذبُ اشتياقه إلى المَلِكِ المتعال، ووصولُه إلى مبتغاه بغاية الكمال.

** ** **

(١) قوله: (هذا) سقط في (ب).

(٢) قوله: (من هنالك) سقط في (ب).

(٣) في (ب): (إلى قرية).

[مبحث اجتماع سالكي الشَّيخ الأجلّ على عتبة الشَّيخ محمود قدس سره][1]

وبعد أن مضى سنةٌ من وفاة شيخنا الأجلّ الشيخ محمد علاء الدين ﵀؛ ذهب إليه سالكوه ـ أي: الشيخ تقي الدين ورفقته ـ وإذا كان بيته في تِلّيلُون، وجاء إذ ذاك إليه، وسلك لديه الشيخُ ناصر حفيد الحضرة قدس سره، والملّا عصمة الله بن الأستاذ الأجل الملّا عبد الكريم ﵀؛ وحين قصد أولادُ الشيخ الأجلّ ﵀ الذَّهابَ إليه ﵀؛ أخذوا الجوازات، وراحوا إلى بلدة ماردين للعبور من هنالك إلى قرية تِلّيلُون، أرسلوا الجوازات إلى السفير السوري في بلدة مرسين، وكان معهم قربان أفندي الجركز الرجل الصالح اليُزْغَاتيُّ، الكافي وَسْمُه عن اسمِه، وصيتُه عن رسمه، ولم يكن له جوازٌ، فأرسلوه إلى تِلّيلُون، وهم انتظروا لإتمام معاملة الجوازات من إمضاء سفير سورية في البلدة المذكورة، وبعد مضي يومين رجع قربان أفندي إليهم، وأخبرهم بأنَّ الشيخَ ﵀ يأمر بأمره العالي أن يجيؤوا ولا ينتظروا الجوازات، ثمَّ ليجئ الجوازات، وذلك من علمه بإلقاء الله تعالى في روعه أنَّه لا تَبِعَةَ لهم في المجيء قبل المجيء، وهذا من بعض استشرافاته على المغيَّبات. واستشرافاتُه كانت كثيرةً، ولكنَّ نطاقَ الرِّسالة ضيقةٌ عن عدِّها وتفصيلاتها، فالعذر.

---

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

وقالوا: بعد أن وصلنا إلى دولة الحضور؛ عزّانا أوّلاً في أبينا الرّاحل إلى رحمة الله ربِّه الملك الرحيم الشيخِ الأجلِّ الكريمِ قدس سره التَّعزية الشَّرعيَّة، ثمَّ قال: ودِدْتُ أن أموتَ ويعيشَ المرحومُ ﵀ بعدي ثلاث سنين، فيدعوَ لي ويطلبَ لِيَ الغفرانَ من الملك المنَّان الرحيم الرحمن، ولكنَّ تقديرَ الله تعالى لي كان هكذا، ورضينا به، وهذا من بعض الملهمات على قلبه، أي: كان يعلم أنَّه لا يعيش بعد شيخنا الأجلّ قدس سره إلَّا ثلاث سنين فقط، [١٥٩] ويودُّ أن يتقدَّم هو في تلك الثلاث سنين، ويُؤْثِرَ الشيخَ قدس سره بالحياة على نفسه[1]، وذلك من عادة الصَّحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم فمَن بعدَهُم من الصُّلَحاء وأكابر الأمة الغرّاء الإسلاميَّة، رزقنا الله تعالى ذلك الإيثارَ، كما وقع ذلك في أتباع رئيس طائفة جنيدٍ البغداديِّ ﵀ حين دُسَّ عليه وعلى جميع أتباعه عند السُّلطان [صدورُ][2] بعضِ الشَّطحات عنهم، فأمر السُّلطانُ بالقبض عليهم جميعاً، فلم يظفروا بشيخ الطَّائفة الجنيد ﵀ لعدم حضوره إذ ذاك، فقبضوا على الأتباع، وأُقِرَّ على إعدامهم، وذهبوا بهم إلى الجلّاد، فأرسلوا قاضياً إليهم ليسألهم: ماذا يوصون به في آخر حياتهم؟ وكان الشَّيخ أبو الحسن النُّوريُّ ﵀ منهم في الصَّفِّ الأخير، فتقدَّم عليهم، وجاء إلى الصَّفِّ الأول تُجاه القاضي، فقال له القاضي: لمَ تقدَّمتَ وكنت في الصَّفِّ الأخير؟ فأجابه بقوله: نحن طائفةُ التَّصوُّف يحصل لنا في أنفاسنا

---

(١) كما كان ذلك، آ هـ خ م.

(٢) ما بين معقوفتين من متن (ب) نسخة، وهي في حاشية (أ) خ.

الأخيرة مثلُ ما حصل لنا في جميع عُمُرنا من الدّرجات والمقامات العاليات، فآثرتُ أصحابي على نفسي بالفوز بتلك الدّرجات والمقامات، فتحاور القاضي معه، إذا هو بحرٌ ذاخرٌ من الدُّرَر الفاخرة، فذهب القاضي إلى السُّلطان، وقال: لئن لم يكن هؤلاء مسلمون؛ لم يوجد مسلمٌ في الدُّنيا، فعفا عنهم، فببركة تلك المقالة فيهم[1] ونجاتهم من الهلاك دامت رتبةُ القضاء في أولاد وأحفاد ذلك القاضي إلى أربعمائة سنةٍ.

وقال محمَّد عاصم بن الشَّيخ الأجلِّ ﷺ: وفي السَّنة الأولى من ذهابنا إلى تِلّيلُون كان الشَّيخ ﷺ قد زاد في رياضاته[2]، حيث قالت حرمُه المحترمةُ: كان ﷺ في هذه السَّنة أكثرَ رياضةً، ويُتْعِب نفسه أكثرَ من عادته في ماضية السِّنين، ولا ينامُ، بل يدوم في المراقبة والعبادات إلى الصَّباح.

وكانت عادتُه ﷺ أنّه يفعل التَّوجُّه النَّقشبنديَّة في السِّنينِ المتقدِّمة في الأسبوع مرَّةً في يوم الخميس، فطلب الشَّيخُ خالد بن الشَّيخ الأجلِّ الشَّيخِ محمَّد علاء الدِّين والشَّيخُ ناصر حفيد الحضرة ﷺ أن يتوجَّه في يوم الإثنين أيضـاً، فقبل ملتمَسَهم، وفعل كذلك ﷺ.

وفي ذلك الشِّتاء حصل لكلِّ المجتمعين هنالك شوقٌ ومحبَّةٌ زائِدَين، وأجريت حقيقةُ الطَّريقة النَّقشبنديَّة مثلَ سالفة الأزمنة الجارية [١٦٠] من السَّادات الكرام.

---

(١) في حقّهم، خ.

(٢) في (أ) و(ب): (رياضياته)، والصواب ما أثبتناه.

وقال يوماً للملاَّ عصمة الله ﷺ: إنَّ همَّة السَّادات عليك كثيرةٌ، سيّما همَّة خالك الشَّيخ محمد علاء الدين ﷺ، وكان ذهابُ الشيخ مظهر إليه ﷺ في خريف هذه السَّنَة، وبقي عنده شهرين، فأذن له بالخلافة، وقال: إنَّ مصباحكم امتلأت زيتا ـ أي: بلغتم إلى كمالكم ـ، فأوقدتُه بكلمةٍ.

وفي شتاء تلك السَّنة أذن للشيخ خالد والشيخ تقي الدين ﷺ معـاً، وكـان دوامُهمـا عنده مُـدّة شـهرين ونصـف، ففـي أوَّل الربيـع رجعـا إلـى مملكتهما.

وكان[1] ﷺ ذا استشرافاتٍ عجيبةٍ يعلم بذلك جميع السَّالكين، ومن هنالك فبناءً عليها كان ﷺ ينقل سجَّادته لأداء سنَّة راتبة المغرب، ويضعها أمامي دائماً؛ لعلمه ﷺ ـ بحكم استشرافه عليَّ ـ أنّي راغبٌ في ذلك كلَّ الرَّغبة، وفي ليلةٍ أخذ بعضُ السَّالكين سجادته ﷺ، ووضعها أمامه، فذهب ﷺ إليها وأراد الصَّلاة، ثمَّ وقع في قلبي شعرٌ من قصيدة في مدح أبي الشيخ الأجلّ ﷺ لبعض أتباعه المحبّ له، وهو هذا:

اكـر هَـاتي بخيرهـاتي بسـر جهـف مراهـاتي

نِثَـار مَقـدِم بايَـتْ بِلاجـانِ مِبـت جانـا

فاستشرف لذلك ﷺ وقال: أين محمد عاصم؟ ونقل سجَّادته، وبسطها أمامي، فانفعلتُ من ذلك، واعتراني خجلٌ عظيمٌ، وندمتُ على ما

---

(١) هذا من كلام محمد عاصم.

خَطَرتُ في قلبي من إجراء ذلك الشَّعْر في نفسي ما لا يعبَّر عنه؛ لأنَّه كان من إساءة الأدب عنده (قدس سره).

ومن آداب الشيخ جنيد بن الشيخ محمود الذُّوقَيدِيّ (قدس سره) ووفائه: أنَّه لم يذهبْ مع أبناء الشيخ الأجلّ (قدس سره) وسائر السالكين إلى تِلّيلُون، وتأخَّر مقدارَ سنةٍ ونصف، ثمَّ جاء إلى قرية أوخين لزيارة مرقد الشيخ ورؤية أبنائه، فقال له واحدٌ من أبناء الشيخ الأجلّ (قدس سره) في الجماعة: لِمَ لمْ تفعل شيئاً وبقيتَ متقاعداً؟ فلم يُجِبْه بشيءٍ، ثمَّ بعد انفضاض الجميع وخروجهم إلى الخارج قال لذلك القائل: لمَ لا تسأل عن حالي؟ قال: لقد سألتك ولم تجبني، فقال: بل افحصْ عن حالي وَارْأ الدَّواء لعضالي، فقال له: لنذهب إلى الشيخ مظهر، وهو يذهب إلى [١٦١] تِلّيلُون، فَرَافِقْه إلى هنالك، فأوّلاً خُذ الجوازَ، وأحضره حتى يحضر هو.

وأدبُه ذلك كان[1] بمثابةٍ لا يفعل شيئاً بدون مَشْوَرَتِهم ورضاهم، وذلك غايةُ الوفاء، فصار هو والملَّا طيفور الدياربكري رفيقين للشَّيخ مظهر في ذلك السَّفَر، وقال الشيخ محمد مظهر هذا ـ أي: ابن الشيخ محمد علاء الدين (قدس سرهما) ـ: حينما زُرْتُ الشيخَ (قدس سره) في قرية تِلّيلُون في هذه السَّفرة الثانية كنتُ أسمعُ من أهل بيته وسائر خواصِّه (قدس سره) أنَّهم يقولون: إنَّه (قدس سره) يُبْدِي رضاه من جميع السَّالكين في هذه السَّنَة عموماً وخصوصاً، يقول في حقِّ الشيخ

(١) قوله: (كان) سقط في (ب).

محمد عاصم: إنَّه يشبه الملائكة خَلْقاً وخُلُقاً، والشيخ جنيد هذا في مرضه الأخير قدِّس سرُّه ورحمه الله رحمةً واسعةً كان عنده الشيخُ تقيّ الدين والشيخ خالد (قدس سرهما)، فقرأ الشيخ تقي الدين (قدس سره) خُفيةً السِّلسلةَ النَّقشبنديَّة، فقال رحمة الله عليه في تلك الحالة ـ أي: الاحتضار ـ: من الذي يتعب السَّادات الكرام؟ فقال الشيخ تقي الدين خطاباً له وإسماعاً للجماعة: [و]لقد[1] علمت أنَّك من الذَّوات الكرام الأكابر، ولكن لَمْ أعلم هذا المقدارَ، وكان الشيخ خالد إذ ذاك جالساً عند قدميه، فأمر (رحمه الله) أن يحوِّلوا وجهه من القبلة، فقالوا له: لِمَ تُحَوِّلُ وجهك؟ وكان لا يقدر على إفصاح الكلام، فأشار إلى السَّبب، فقام الشيخ خالد من تلك الجهة.

وكانت محبَّتُه لأهل بيت الشيخ الأجلّ (قدس سرهما) ومحبَّتُهم له بغاية أنَّه يستنتج منه النَّتيجةُ الحسنةُ.

وقال الشيخُ محمد عاصم بن الشيخ الأجلّ (قدس سره): كنَّا قد سمعنا أنَّه كان مريضاً في المستشفى الطِّبِّيَّة في إسعرد، وكنَّا نسأل عنه ما أمكن، فجاء واحدٌ من نورشين، فسَأَلْنَا منه عن مرضه وكيفيَّته، فقال: قالوا: إنَّه بخيرٍ، وجاء إلى بيته.

وقال الشيخُ محمد عاصم أيضاً: كنتُ نائماً قبل الظُّهر إذ سمعت صوتاً قال: إنَّ الشيخ جنيداً تُوفِّي إلى رحمة الله تعالى، فاستيقظتُ وقُمْتُ

(١) ما بين معقوفتين من متن (ب)، وهي في حاشية (أ): خ.

سريعـًا، ولم أرَ أحداً، فتوضّأتُ وذهبتُ لذلك إلى المَرْقَد، ودعوتُ مِنَ الله تعالى: إن كان حيّـًا؛ فزِدْ في عمره، وإن كان ميّتـًا؛ فاعْفُ عنه، واغفرْ له، وأعلّ درجته في مثواه [١٦٢] الأخير، فلمّا رجع الشيخُ خالد من عندهم قال: إنّه تُوفِّي في ذلك اليوم وفي تلك السّاعة.

وكان شيخُنا الشيخُ محمود القره كوي قدس سره قد أذنه والشيخ سيف الدين بن الشيخ صنع الله الورقانسيّ معـًا بالخلافة في سنة وفاته، وكان قدس سره قد أَذِنَ بالخلافة للملّا عبد القادر الكِرْحَرِيني وللملّا محمد علي الخِرْخِيري قبل الذين أسلفناهم وكتبنا أساميهم.

وقال الشيخُ عاصم المذكور: ذهبنا في السّنة الثانية من ذهابنا إليه إذا هو قدس سره نقل بيتَه من تِلّيلُون إلى الشّام إلى المحلّة الصّالحيّة، وفي ثاني يومِ وصولنا إلى حضرته والتبرُّك برؤيته؛ ذهبنا إلى السُّوق بإذنٍ منه لشراء بعض المحاويج، فلمّا رجعنا رأينا الشيخَ قدس سره مُشيِّعـًا للشيخ أحمد كفتارو، وكان رجلاً كبيراً شهيمـًا في أتباعه، شهيراً عند رجال الدّولة، وكان معتقداً للشيخ قدس سره، وقد زاره مستشيراً له[1] قدس سره في شراء إحدى قريتين: إحداهما جدباءُ بلا ماءٍ للسّقي، والأخرى ذاتُ ماءٍ وقناةٍ وجداول، بأن أشتريها أم لا؟ وإن اشتريت فأيّتهما أشتريها؟ قال الشيخ قدس سره: وقد سَمِعَ بأنّكم هنا؛ فانتظركم كثيراً، فلما أبطأتم قام، فشيّعته، فاستودع هو وذهب، وقال: انتظر الجوابَ

(١) في (أ) و(ب): (به)، والصواب ما أثبتناه.

بعد أسبوعٍ. وبقينا في ذلك الشتاء هنالك وكنّا جمعـًا كثيراً، ونحن كنّا أربعةً: الشيخ محمد خالد والملّا عصمة الله وأنا ـ أي: الشيخ محمد عاصم ـ والملّا طيفور الديار بكري، ثمّ جاء الشيخُ ناصر، ثمّ الملّا عبد الله الدِّيبُوي، ثمّ الملّا خالد أخي الشيخ محمود قدس سره، والملّا محيي الدين الجاجان، وكان له قدس سره في المحلّة أتباعٌ قديمٌ وجديدٌ، وكان سكنُه وختمتُه مع أتباعه في مسجد الملّا قاسم القريب من بيته، وتوجهُه في بيتنا الذي اكتريناه لسُكنانا.

ونحن كنّا اعتدنا زيارةَ مرقد مولانا خالد قدس سره كلَّ يومٍ بعد صلاةِ العصر والختمة النَّقشبنديَّة قدس سره، وكان قدس سره حين نخرج من المسجد لنذهب للزِّيارة يخرج معنا إلى الباب، ويقول: فاذهبوا أثابكم الله تعالى، وادعوا لي ونحن شركاء في الثّواب؛ إذ كان مريضـًا [١٦٣] لا يقدر على الذهاب معنا، وكنّا في غاية الفرحة ونهاية المسرَّة في ذلك الشِّتاء المبارك، ليله ونهاره، والميمون غُرَّتُه، ويأخذ كلٌّ منّا حِصَّته من دُرَر صحبته، وإربَتَه من درر بهاء طلعته.

وكان معنا من أهل بيته قدس سره ابنُه الشيخُ محمد عيسى وابن أخيه الشيخ عبد الباقي يتبركان بصحبته، ويأخذان النِّسبةَ والحظَّ الوافرَ من نفحاته قدس سره، وتكاملا الاثنان من كبريت تربيته، والحمد لله، اللهمَّ اجعلهما وإيَّانا من ورثة علومه وفيوضاته، ومن شواربي[1] خمور محبَّته، ومحبَّة السَّادات المُكَمِّلين لأمثاله قدَّس الله أَسْرَارَهُمْ. وكنّا فرحين كثيراً بصُحبتهما، ومُتلَذِّذين

(١) شاربي، خ.

بفرحتهما. وفي آن[1] تَذْبير[2] هذه العُجالة هما حَيَّان أطال الله بقاءهما، ونفع الكثيرين بهما وبأعقابهما.

وابنه محمد باقي كان إذا شابّاً جَلْداً بقي في بيته في تِلَّيلُون، وابنه محمد أشرف كان مُلازِماً للمكتب في الصِّنف الأول في الشَّام، أصلحهما الله بالتَّمام.

** ** **

(١) الآن أي، خ.

(٢) تزبير، نسخة.

[مبحث ذهاب شيخنا الكامل الشَّيخ محمود قُدِّسَ سِرُّهُ إلى زيارة القدس الشَّريف][1]

وفي آخر الشِّتاء اشتاق قُدِّسَ سِرُّهُ إلى زيارة بيت المقدس، وأراد السَّفرَ، وكان رفقته الشَّيخ ناصر والشيخ خالد والملَّا عصمة الله وابنه الشيخ محمد عيسى والشيخ عاصم، وقال: والحمد لله تعالى لقد كانت سفرتنا في غاية الفَيْض ونهاية البركة بواسطته قُدِّسَ سِرُّهُ؛ لأنَّه كان أَمَامَنا، وفي كلِّ فُرْجَةٍ إمَامَنا، ويَتنزَّل الفيضُ عليه قُدِّسَ سِرُّهُ، ونستفيد نحن أيضاً منه، وبعد أن زُرنا ما كنَّا نزوره وصلَّينا ظُهرنا في المسجد الأقصى، وفعلنا ما فعلنا؛ جلستُ أنا والملَّا عصمة الله مع الشيخ قُدِّسَ سِرُّهُ بباب مقهى كان هنالك، وذهب البواقي لأخذِ مَوْضعٍ في فُنْدُقٍ للمَنام، فقال الشيخ قُدِّسَ سِرُّهُ: لولا تكليفُ الشَّاي منهم لا نبغي شيئاً، وكان في المَقْهَى ناسٌ يلعبون فيه كما هو عادةُ الزَّمان، فإذا جاء[2] الصَّبَّابُ، ووضع أَمَامَنا أقداحَ الشَّاي، فقال لي الملَّا عصمة الله رحمه الله خُفيةً: كيف نشرب هذا الشايَ ونرى النَّاس يلعبون في المقهى؟ فقلت له: اصبر، فإنَّ الشيخ أَمَامَنا وإمَامُنا، نفعل نحن كما يفعل هو، فتأمَّل قُدِّسَ سِرُّهُ بعضَ التَّأمُّل، ورفع القدح فقال: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم نشرب أوَّلاً من تَبرُّك القُدسِ الشَّريفِ شايها،

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

(٢) فجائية.

فعلَّمنا أنَّ في [١٦٤] كلِّ شيءٍ نيَّةً حسنةً، كي[١] نقتديَ به في الفعل. وبقينا هنالك مقدارَ أسبوعٍ، وتشرَّفنا بزيارة مراقد الأنبياء الكرام على نبيِّنا وعليهم أفضلُ الصَّلاة وأكملُ السَّلام في تلك النَّواحي، ثمَّ رجعنا معه إلى الشَّام، فأذِنَ لنا في الرُّجوع إلى مملكتنا.

وفي اليوم الذي قبل رجوعنا إلى المملكة؛ جاء بنا إلى مرقد مولانا خالد ﵋، وصلَّينا هنالك صلاةَ العصر، وفعلنا الختمةَ النَّقشبنديَّةَ قدَّس الله أسرارَ ساداتها، وفرح بنا كثيراً خادمُه أبو الفارس ﵀، وقال للشَّيخ ﵋: هذا موضعٌ مثلك ينبغي أن تجيء وتروح كثيراً، فقال له: أنا شيخٌ كبيرٌ انقطعت عن قوَّتي، وزالت سَوْدَتي، فلا أقدرُ الزِّيارة دائماً، وإذا قال ﵋ لي ـ ولم يكن عنده غيري ـ: أوَيحتمل أن لا يرى بعضُنا البعضَ مرَّةً أخرى؟ ثمَّ بدا له الأمرُ، فقال: إن شاء الله تعالى سيرى بعضُنا البعضُ مرَّةً أخرى، فتقبَّل الله رجاءه، وكان الأمرُ كما قال ﵋.

ولَمَّا ودَّعناه كان معنا الملَّا طيفور الدِّيار بكري والملَّا محيي الدِّين الجاجان بلا جوازٍ، وفُتِّشنا عند تفتيش الجوازات، فأريناهم الجوازَ، ولم يسألوا عنهما، فكأنَّهما مستثنيان من منع المانعين[٢]، ولم يشكُّوا في أنَّهما غريبان.

(١) في حاشية (أ): (حتى).

(٢) في حاشية (أ): الممنوعين، خ.

[مبحث بدء مرضه ﵋ ووفاته][١]

وكان ﵋ وقتاً مريضاً مرضاً[٢] مزمناً، وذهب إليه الملَّا محمَّد سري ﵀ أحدُ سالكيه لعيادته، فأوصى له: إن أنا متُّ؛ فاغسلني أنت، فصاح الملَّا من مِلء رأسه، وقال: إنِّي فديتُ نفسي لنفسك، فلم يَمْضِ عليه كثيرٌ حتَّى شُفيَ الشَّيخُ ﵋، وتُوفِّي هو رحمة الله عليه.

وقال [الشيخ عاصم][٣] أيضاً: لَمَّا ذهبتُ إليه في سفرتي الثَّالثة، وكانت أوَّل الخريف بإشارةٍ منه ﵋، ولم يكن معي غير الملَّا طيفور، وتشرَّفنا بلقائه كما أشار إلى ذلك قبل؛ بدأ به وجعُه ومرضُه الأخيرُ، وازداد يوماً فيوماً، وألحُّوا عليه مراراً أن نأتي إليك بطبيبٍ، فلم يقبل، وردَّهم، حتى قالوا له: إنَّ حفيدَ ابنِ عابدين الحنفيّ المشهور طبيبٌ نأتي به، فرضيَ، وقال: إنَّه مباركٌ على كلِّ حالٍ، ولمَّا جاء الطَّبيبُ نظر إليه، قال: أخرجوا فيلُمَه[٤]، فلمَّا عرضوا عليه قوله لم يقبل، ثم قالوا له: إنَّ الذي يُخرج الفيلم ابنُ طبيب الحضرة ﵋ في مستشفى بتليس وقت قَطعِ عَضُدِه [المبارك][٥]

(١) ما بين معقوفتين من حاشية (ب).

(٢) قوله: (مرضاً) سقط في (ب).

(٣) ما بين معقوفتين من متن (ب)، وهي في حاشية (أ).

(٤) في (ب): (فيلِمَه).

(٥) ما بين معقوفتين من (ب).

قدس سره، [١٦٥] فقَبِل، وأخرج فيلمُه، ولم يفد شيئاً؛ إذ لا يردُّ القَدَرَ شيءٌ، وكان في ذلك المرض يقول: لنذهبْ إلى المدينة المنوَّرة، ويزيد المرضُ آناً فآناً، ويتعلَّلون له بأمورٍ إقناعيَّةٍ ليترك أمر الذَّهاب، فلا يقنعُ، وهو مصرٌّ عليه، ولم يقدروا بأيِّ وجهٍ إبطالَ ذلك الأمر، فذهب محمد عيسى إلى حلب ليجيء بالنُّقود للمصاريف، فازداد المرضُ بحيث قُطع الأميدُ من بقائه إلى أن يصل إلى المدينة المنوَّرة، فأخبروا محمد عيسى بالهاتف، فجاء، فوجده حيّاً قدس سره، ولم يكلِّفْهم الذهابَ به إلى المدينة المنوَّرة على منوِّرها الصَّلاة والسَّلام.

وممَّن دام عنده في ذلك المرض من أهل مملكته السُّوريَّة من الأكابر: الشَّيخُ علاء الدِّين بن الشيخ أحمد الخزنويّ قدس سرهما والملَّا عبد العزيز المِشْكاني والملَّا عبد العليم والشَّيخ علي التَّاغي الخيوطيّ والملَّا محمَّد سعيد، والغادون والرَّائحون كانوا كثيراً.

قال الشَّيخ عاصم أيضاً: وبعد صلاة العشاء كنَّا نعوده كلَّ ليلةٍ، ثمَّ نرجع إلى محلِّنا.

وقال الملَّا طيفور: لقد عُدناه قدس سره في مرضه الذي توفِّي فيه في ليلةٍ، فقال قدس سره للشَّيخ محمَّد عاصم: روحي فداك، وإكرامُ الله تعالى إليك كثيرٌ، وكرَّره ثلاثَ مرَّاتٍ.

وقال الشَّيخ محمَّد عاصم أيضاً: صمَّمتُ ليلةً أن لا أرجعَ، وأمرِّضَه إلى الصَّباح؛ لِـمَا رأيت أنَّ به غايةَ القلق، وكنت أنا والملَّا عبد الباقي، وبعد

أن رجعت في الصَّباح أقبل على ذويه يلومهم: لمَ أبقيتموه هنا؟ ولا يسُرُّني خدمته، وقبل وفاته بليلةٍ عُدناه بعد صلاة العشاء أيضاً، فإذا عيناه مغموضتان، وبقينا تجاهه قائمين، فقال قدس سره: السَّلام عليكم، فقلتُ لابنه الشَّيخ محمَّد عيسى: سل عنه: على من سلَّم؟ فسأل عنه، فقال ولم يفتح عينيه: سلَّمت على الملائكة، وقلت: سَلْ عنه: هل مع الملائكة غيرُهم من السَّادات الكرام؟ فسأل، فقال: نعم، أستاذي الشَّيخُ الأكبرُ والحضرةُ قدس سرهما ذوَا الوفاء وحاضران عندي، فقال ابنه الشَّيخ محمَّد عيسى: هل معهما غيرهما؟ فقال: نعم كثيرون، فسأل: مَن هم؟ ففتح عينيه، ونظر إلينا، ولم يتكلَّم، وكنَّا نظنُّ أنَّ وفاته قد قَرُب، وكان في بيته حجرةٌ صغيرةٌ، فدخلناها منتظرين ماذا يفعل الله تعالى.

[١٦٦] وتحسَّرَ الشيخُ علاء الدين بن الشيخ أحمد قدس سره على عدم إتمامي العملَ وعدم الإذن بالخلافة، وقد أشار الشيخُ قدس سره قبلُ بتسليمي للشَّيخ تقي الدين قدس سره، ولم يكن له علمٌ بتلك الإشارة، وكان الشيخُ محمد عيسى يجيء إلينا ويذهب إليه، وقال لي: إنَّه قدس سره بعد تلك المحاورة يبحث عن الشيخ تقي الدين قدس سره وعنك لاستشرافه عليها، ولم يَقْدِرْ على إيضاح المسألة بتمامها لشدَّة ما به، فقلت: تريد تسليمَ الشيخ محمد عاصم للشَّيخ[1] تقي الدين؟ فقال: نعم، وبعد طلوع الشَّمس ووقت الضُّحى قال

(١) قوله: (للشيخ) سقط في (ب).

الشيخ محمد عيسى: إنَّه قال ﷺ: لله أقيموني لأنّ الشاهَ جاء، فقلت له: شاه نقشبند ﷺ؟ فقال: إي، الشيخ محمد الأويسيّ البخاريّ ﷺ.

وكان ﷺ في شدَّة ذلك المرض كثيراً ما يشير إلى التَّهليل، ويمسح بسبَّابته من سرَّته إلى الجبهة، فمنها إلى المنكب الأيمن، فمنه إلى القلب.

وقال الشيخ محمد عاصم أيضـًا: قعدنا في تلك الحجرة الصَّغيرة التي ذكرناها قبلُ، ولم نلبثْ كثيراً، فدعانا الشيخُ محمد عيسى، فذهبنا إليه سريعـًا إذ انقلبت حدقتاه، فشرعنا في قراءة سورة ﴿يس﴾، فأتممناها، أوّلاً عُرج بروحه المباركة إلى حظيرة قُدْس مولاه، وغمضتُ أنا عينَه اليسرى، وغمض اليمنى الشيخُ علي، ولم نرَ منه إذا أنيناً ولا تشكّياً رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وجعله ذخراً وفرطـًا للأمة الإسلاميَّة، سيَّما للأتباع وسائر المهتدين به، ولأهل بيته، ولم يُرِهم بعدُ من فجعةٍ أو وجعةٍ. آمين.

وفي ذلك المرض الأخير أُذِنَ ابنُه الشّيخ محمد عيسى وابن أخيه الشيخ عبد الباقي بالخلافة، وقال: فليَبْقَ الشيخ محمد عاصم، فإنَّ التَّأخيرَ له أوفقُ وأَوْلى، بل أليقُ، والتَّحقيقُ أنَّ له فيه غرضـًا إنَّما يعلمه هو ﷺ.

وكانت وفاتُه ﷺ يوم الأحد الحادي والعشرين من صفر الخير من شهور سنة (١٣٧٢) أي: ثلاثمائة واثنتين وسبعين بعد الألف من هجرة من له العزُّ والشرفُ ﷺ، والسّابع والعشرين من التشرين الأول من شهور سنة

(١٣٦٨) أي: ثلاثمائة وثمان وستين بعد الألف بالشمسية، جعله الله تعالى في بحبوحة الجنان بالرَّوح والرَّيحان.

وقال ﷺ في مرضه في حقّ قبره: أن لا سَعَةَ لقبرٍ في قرب مولانا خالد ﷺ، ولكن عَيَّنْتُ لي موضعـًا خلف [١٦٧] مرقده بعيداً عنه في ساحة مقبرةٍ تحت جبل قاسيون.

وبعد أن توفّي إلى رحمة الله تعالى اجتمع على جنازته جمعٌ كثيرٌ من أهالي المحلَّة والشَّام، وفيهم من أكابر أهل الشام: الشيخُ محمد جَزو، والشيخ محمد كفتارو، وحفروا له بجنب بيته حفرةً، فبعد صلاة العصر سلَّموه[١] إلى رَمسِه، لا أراه اللهُ فيه من بأسه، ودفنوه في تلك الحفرة المحفورة[٢] في ساحةٍ بجنب بيته، جعلها الله له جنَّةً دانيةً قطوفُها، وأدام له النَّعيمَ في تلك البرازخ، وفي بساتين هُيِّئَتْ له في الجنَّة العالية.

وله ثلاثةُ أبناءٍ أنجابٍ كرامٍ: الشيخ محمد عيسى، ومحمد باقي، ومحمد أشرف، ولكلِّهم عقبٌ أنبتهم الله نباتـًا حسنـًا لا زاغوا.

وله ﷺ تسعةُ خلفاء: الشيخ تقي الدين، والشيخ مظهر، والشيخ خالد، والشيخ جنيد، والملا سيف الدين، والشيخ محمد عيسى، والشيخ عبد الباقي، والملا عبد القادر الكرحرينيّ، والملا محمد علي الخِرْخِريّ، قَدَّسَ

---

(١) نقلوه، خ.

(٢) أي المحفورة، خ.

الله أَسْرَارَهُمْ، وجعلهم موافقين لطلبهم ورضاهم، ومطابقين لعلم شيخهم بهم وظنِّه منهم، وأكثرَ نسبَتَهم فيمن يلونهم. آمين.

** ** **

[مبحث أحوال شيخنا الشَّيخ محمَّد تقيِّ الدِّين قدس سره](١)

ولنبحثْ عن خليفته شيخنا الشيخ تقيّ الدين حفيد شيخه الحضرة قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُمْ وَأَفَاضَ عَلَيْنَا أَنْوَارَهُمْ وَبِرَّهُمْ، وقد سبق أنَّ الشيخ محمد معصوماً ﷺ تكفَّله وسائرَ أحفاد الأستاذ الأعظم قدس سره، حتى قرؤوا وأتمُّوا وأُجيزوا، فالآن نتكلَّمُ على شروعه في الآداب النَّقشبنديَّة قدس سره.

وقال هو نفسُه: لَمَّا أردتُ أن أشرع فيها بإلقاء الله تعالى ذلك في قلبي؛ انتظرتُ الشيخَ الأجلَّ الشيخ محمد علاء الدين قدس سره حتى جاء إلى نورشين لزيارة أهل بيت الأستاذ الأعظم ومرقده قدس سره، فأبديتُ له ما أضمرْتُه في قلبي من تلك الإرادة المباركة الميمونة، فقال لي: استخِرْ، فقلت له: لا أعلمُ آدابَ الاستخارة، فقال متبسِّماً: وأنا أيضاً لا أعلمها بالتمام، ولكن نَمْ على تلك النِّيَّة، فاستخرْتُ ولم أرَ بالليل شيئاً، وبعد صلاة الصبح نِمْتُ، فرأيت في تلك الهجعة كأنَّ الشيخ قدس سره يصلي إماماً وأنا في يساره، والملا رشيد الترتوبي في يمينه، وكان قبل ذلك سالكاً عنده، فحوَّلني في الصَّلاة إلى اليمين، وحوَّله إلى اليسار، فاستيقظتُ [١٦٨] إذا الشيخ قدس سره يهبط من المرقد، فذهبتُ إليه لقدومه عليَّ، وقصصتُ له رؤياي، فاستخبر عني: كيف تعلمني أنت؟ فقلت: إن رزقني اللهُ الهدايةَ يكفينا علمُك، فظننتُ أنَّه لم يستعذِبْ

---

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

جوابي، ولم يَرْضَ به، فقال ﵋: سوف يسهلُ الأمرُ إن شاء الله تعالى، فلما جلس في الديوان؛ أرسل إليَّ ودعاني إلى حضرته، فذهبتُ إذا هو وحده جالسٌ في الدِّيوان، فأمرني بالجلوس، فجلستُ ورأيتُ إذا حلقة من النُّور أحدقتْ بمحيَّاه كهالةٍ حول القمر، وانتشر من ذلك ضوءٌ في الدِّيوان، فعلمني ﵋ ما هو العادة في تعليمه للسَّالكين، فدام[1] ﵋ على رياضاته وأوراده، وكان محبَّتُه للشيخ قدس سرهما كلَّ يومٍ في ازديادٍ وترقٍّ.

وقال يومًا حين تكلَّم الشَّيخُ ﵋ معه: كما لا يكون نهايةٌ لدرجات الأولياء؛ كذلك لا نهايةَ للمحبَّة، فصدّقَه الشيخُ ﵋ وقال: نعم، إنَّ محبَّتي للحضرة ﵋ كانت كلَّ يومٍ في ازديادٍ، وكان ﵋ إذا احترق قلبُه بنار المحبَّة، واستولى غليانُهُ في فؤاده، وترشَّحَ على سائر قواه وأعضائه؛ يُنشدُ هذا البيتَ باللغة الفارسيَّة:

وَفا دَاري وحق كوي نه كـاري هركسي باشَـد

غـلام آصَـفَ الـدَّهرِ عـلاءُ الـدنيا والـدِّينَم

ودام في التَّرْدَادِ[2] إلى الشيخ قدس سرهما، وفي دوام سلوكه قرأ[3] شتاء شيئًا من الكتب الفارسيَّة، وفي الصَّيف يذهب إلى مشاغل بيته وأراضيه، وفي

(١) في حاشية (ب): (أي: الشيخ تقي الدين).

(٢) التردُّدِ، خ.

(٣) كان يقرأ، خ.

الشِّتاء الآخر قرأ «مِنَح الغوث ﵋»، ويجتمع على ذلك معه أبناءُ الشيخ ﵋، وقراءتُها تكون سببًا لفتح باب الصُّحبة، وسببًا لازدياد المحبَّة والشَّوْق، وينتفع منها الخاصَّةُ والعامَّةُ، وتلك القراءةُ تكون بعد صلاة العشاء دائمًا، ومجيئُه إلى الشيخ قدس سرهما يكون سببًا للفرحة وفسحةِ البال له، ويتكلَّمُ معه من أحوال السَّادات وسائر المشائخ، روَّح الله أرواحهم، وتكون تلك المباحثُ سببًا لفيضان الفيض الإلهيّ وقبول النَّفْس له، ويقول السَّالكون غيرُه: ليتك كنت دائمًا عند الشيخ ﵋ ليُشْبِعَ القولَ في الصُّحبة، ويروي غليلَنا من عَطَش الطَّبيعة.

ومع كونه حفيدَ شيخه ﵋ كان الشيخُ ﵋ يحبُّه حبًّا ذاتيًّا كثيراً، ويمدحه كثيراً في حال عدم حضوره، ويذكرُه بالفضل كثيراً لكثيرٍ، حتى رأينا أنَّ الشيخَ ﵋ والملا محفوظ ﵀ تحاورا[1] مرَّةً، فجرى بينهما البحثُ عن الشيخ معشوق، فقال الملا: نِعمَ الولدُ هو، فقال الشيخُ ﵋: إنَّ الشيخ تقي الدين أيضًا نِعمَ الولدُ، وكلاهما أعلى كعبًا وأوسع خُلُقًا من الكلِّ كما أرى من أخلاقهما السَّنيَّة، وكم مرارٍ[2] يقول [١٦٩] له الشيخُ قدس سرهما: الحمد لله على أن جعلك نصيبًا لي من بين أحفاد الأستاذ الأعظم ﵋ وأنت حسبي.

وقال الشيخ محمد عاصم: كنت في بعض توجُّه الشيخ الأجلّ أبي

(١) يتحاوران، نسخة.

(٢) في (ب): (مراتٍ).

الشيخ محمد علاء الدين قدس سره جالساً في جنب الشيخ تقي الدين قدس سره، وهو قاعدٌ عند سجادة الشيخ قدس سرهما، فلما أخذ الشيخُ في قراءة السلسلة، وضع رأسه على فخذه، فلما توجَّهه قرأ عليه:

إلهـي غُنْجـة أُميـد بَكَشَـاي   كُلّـي أز روضـة جاويـد بنمـاي

فكرر الشيخُ قدس سره المصراعَ الثاني، وقال:

كُلّـي أز روضـة أسـتاذ بنمـاي

فمِن كمال اعتناء الشيخ قدس سره بتربيته ووفور شفقته له وكثرة همَّته العالية عليه يفعل مثلُ هذه الأحوال معه كثيراً.

وكان محبَّةُ شيخه الأخير مولانا الشيخ محمود القره كوي له أيضاً كثيرةً، حتى قال له ابنُه الشيخُ محمد عيسى حين أنْ أحال الشيخُ محمد عاصم إلى الشيخ تقي الدين قدس سره: إنَّ الشيخَ تقيّ الدين ولد الحضرة، ولذلك نحبُّه ونُرَجِّحُه، فقال: بل ولغير ذلك أيضاً، ويشير به إلى أنَّ له مزايا أخرى في ذاته محبوبةٍ مرغوبةٍ لدى كلِّ أحدٍ، وهو كذلك، وكثيراً ما يقول: إنِّي أخلو مع قلبي، وأرى أنَّ القلبَ بحُسْن رضاه يَعُبُّ[1] فداءه للشيخ الأجلّ قدس سره.

ويقول ابنه الشيخ محمد حفظه وحرسه الله [الحافظ][2] المجيد: بعد أن توفّي الشيخُ الأجلُّ قدس سره كان أبي يجمع أولاده وأهل بيته، ويذكر مقامات

(١) في (ب): (يُحِبُّ).

(٢) ما بين معقوفتين من متن (ب)، وهي في حاشية (أ) خ.

الشيخ قدس سره بالشَّوْق والمحبَّة وحرقة القلب، فيبكي ويبكي، ويُطَوِّل البحثَ، ويأتي بالحسرات والزَّفرات، فعلمَ بذلك الحالِ أهلُ بيت الأستاذ الأعظم قدس سره كلُّهم، واشتهر أمرُه فيما بينهم، فيوماً بعد صلاة الصبح وضع القرآنَ الكريمَ يقرؤه، فأتم القراءةَ، وبدأ بذكر الشيخ قدس سره على عادته المستمرَّة، وكنا حوله نبكي على عادتنا معه، ففتحَتْ عمَّتُه عائشة رحمها الله البابَ، ورأت الحالَ، أقبلت عليه ولامته، وقالت: ما هذه الكآبةُ والجزعُ المستدامان؟ فقد نَحَلْتَ نفسُكَ وأنْحَلْتَ مَنْ وراءك من الأهل والأولاد، فقال[1]: تعالَيْ يا عمتي المحترمة، فقالت: وقد رأيتَ الحضرةَ وأباكَ وأخاكَ قد ذهبوا وقد سَلَوْنَا عنهم، وحمدنا الله [١٧٠] تعالى على أن أَوْقَدَ لنا السِّراجَ، ثم أطفأ علينا ذلك الوهّاجَ، فاترك أنت ما كنت تفعل وتَسَلَّ عنه. فأجابها بأنّي رأيت الحضرةَ قدس سره، وما عرفتُه بالشَّيخيَّة، ورأيت أبي وما عرفْتُه بالأبوَّة، وأخي وما عرفته بالأخوَّة لصغري وعدم بلوغي إلى حدِّ معرفتهم، وأما هو قدس سره؛ فقد عَرَفْتُه حقَّ المعرفة بأنَّ أبي وشيخي وكلَّ ما أرتجيه في شأني إنَّما هُوَ هُوَ لا غيرُه، ففَقْدُه أصعبُ عليَّ من فَقْدِ روحي، ووضَعَ يده على القرآن الكريم، وقال: بهذا القرآن الكريم - ثلاث مرات - وددتُ أن أكون أنا أوّلاً ثم أبنائي الثلاثة في هذا الفوت وعُضال الموت فداءً له، ويبقى هو ليُفِيدَ الناسَ في دينهم وهدايتهم، وألبتّةَ في آونته يَذكرُني ويدعو لي.

(١) في حاشية (ب): (أي: الشيخ تقي الدين رحمه الله).

وهذا الفداءُ للمقتدَى به بالنفس والأولاد إنَّما ينشأ عن المحبَّة القسريَّة الصَّادقة التي جعلها السَّاداتُ الكرامُ شرطًا في الطَّريقة النَّقشبنديَّة، والتي تكون سببًا لأخذ الفيوضات منه، وحصولها للمريد باتباع الشَّريعة الغرَّاء، قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله﴾[1]، ويلزم أن تنتهي إلى الغاية كما قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ: والله أنت أحبُّ إليَّ من مالي وأولادي وأهلي سوى نفسي، فقال ﷺ: **«ما تمّم حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك»**، فتفكَّرَ وظهر فيه حالة، فقال: ومن نفسي أيضًا. أو كما قال.

قال الغوثُ الأعظمُ قدس سره في مِنحَةٍ: المحبَّةُ مغناطيسُ المنفعة، فقال بعضٌ: ما تُجْدِي محبَّةُ المريد، إنَّما النَّافعُ محبَّةُ الشَّيخ، فقال قدس سره: يحبّ الكريمُ سائلَه، والمولى خادِمَه.

وقال قدس سره في مِنحَةٍ: إنَّ المحبَّةَ تنتهي إلى حيث تجذب صورةَ المحبوب وتكسوها المحبَّ، بل إلى حيث تُقَرِّب قبره إلى قبره... إلخ.

ووقع للصِّدِّيق الأكبر رضي الله عنه أنَّه كان في حجرة أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فأرته مرآةَ النبيّ ﷺ، فلما نظر إليها ما رأى صورته فيها، بل رأى صورةَ النبيّ ﷺ. ووقع مثلُ ذلك لابن عباس عند أم المؤمنين خالتِهِ رضي الله عنهم.

وتلك المحبَّةُ والرَّابطةُ للشَّيخ المقتدَى به تسري إلى الفناء في الشَّيخ،

(١) سورة آل عمران: ٣/ ٣١.

وهو مقدِّمةُ الفناء في الله تعالى جلَّ جلالُه.

وقال بعضٌ من أكابر العلماء: أنا لا أعلم درجةَ الشيخ تقي الدين قدس سره ما هي، ولكن في المحبَّة لشيخه الشيخ محمد علاء الدين والشيخ محمود القره كوي قدس سره كان أعلى كعبًا من كلِّ محبٍّ رأيناه في هذا الزَّمان.

قالت حرمُ الشيخ الأجلّ قدس سره السيِّدةُ الكريمةُ المحترمةُ رحمها الله: قلت له قدس سره مرَّةً: إنَّ أولادَك وسائرَ السالكين غيرَ الشيخ تقي الدين؛ فلا بأس بتأخيرهم، وأنت وشأنَك معهم، وأما هو؛ فإنَّه ذو بيتٍ عظيمٍ، ومشاغلُه كثيرةٌ، ولا يتحمَّلُ المشاقَّ في الجمعيَّات، فلِمَ لا تأذنُ له[1]؟ فأجابني بأنَّ إذنَ بعضٍ من الشيوخ لسالكيهم قد وقع في هذا الزَّمان، أما الشيخُ تقي الدين؛ فلا أكتفي بهذا القَدْر، وأريد وأتمنَّى أن يصل[2] إلى درجة أسلافه الكرام، فليتأخَّرْ في هذه السَّنَة، ثم ننظر ما يقضي الله ويُقَدِّرُ مِن بَعدُ، وإن كان أرفعَ من الأماثل، وأفضلَ من كثيرٍ من الأفاضل.

وبعد أن توفِّي الشيخُ الأجلّ قدس سره في تلك السَّنَة، وأحال سالكيه إلى أخيه المعنويّ الشيخ محمود القره كوي قدس سره؛ تم ذلك الأملُ، ثم أذن له[3] الشيخ محمود، ونعلم أنَّ تلك الأمنيةَ أصابت محزَّها، ووجدتْ مركزَها، والحمد لله.

(١) في (أ) و(ب): (تأذنه)، والصواب ما أثبتناه.

(٢) في حاشية (أ): يبلغ، خ.

(٣) في (أ) و(ب): (أذنه)، والصواب ما أثبتناه.

وقال الشيخ محمد عاصم: قد سألني يوماً عن أوَّل شعرٍ آخره:

مَـا الحُـبُّ إِلَّا لِلْحَبِيـبِ[1] الأَوَّلِ

ففتَّشتُ ورأيته هكذا:

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الأَرْضِ يَأْلَفُهُ الفَتَى ... وَحَنِينُـهُ أَبَـداً لِأَوَّلِ مَنْـزِلِ

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَى ... مَـا الحُـبُّ إِلَّا لِلْحَبِيـبِ الأَوَّلِ[2]

[١٧١] وكان قدس سره يكرِّرُ هذا البيتَ كثيراً، ويجعله دليلاً على توفُّر محبَّته للشَّيخ الأوَّل قدس سره.

وقال قدس سره أيضاً: ما المقصودُ من هذا الشعر باللسان الكرديّ أنشده الغوثُ الأعظمُ قدس سره في صحبةٍ له:

زَرِيَـا مِـنْ صِـبَه يَـه سِـرَا صِـبي لمـن سَادتـي

دَنْـكِ كَـوَا كَـوزَل لِـبِنْ ظَنَـازِتي[3]

حَيفَـا مِـن نَـائِي بَتُـو حَيفِـي لـي حيفـا مراتـي

جَـوَانْ خَوَازِنَـا بُـوكِيْن لِبـا خِـلا مِيـري كَـال تـي

ففسَّرته بأنَّ ريحَ الصَّبح الباردة كنايةٌ عن حوادث الدَّهر وبليَّاته،

(١) في (ب): (للمجيب).

(٢) في (أ) و(ب): (في الهوى ما الحب إلا ... إلخ). والصواب ما أثبتناه.

(٣) في (ب): (زِنَارْتي).

وصوتَ القبجة الأصيلة كنايةٌ عن نداء الملك الذي ينادي كلَّ يومٍ: لدوا للموت وابنوا للخراب، والمرادُ من الفتاة: الرُّوحُ؛ لأنَّه لا يشيب، ويشيب الجسدُ ويسقطُ، والرجلُ الشيخُ كنايةٌ عن الجسد الهرم. وسمع بعض أولاده[1] قدس سره أنَّه قرأ هذا البيتَ في صحبةٍ له، وأطال عليه كثيراً، واستخرج منه نُكاتٍ ولطائفَ وتدقيقاتٍ مهيِّجةٍ للشَّوق والمحبَّة.

وكان قدس سره ينفع الناسَ كثيراً نفعاً بيِّناً، ويطوف بين مريديه بالوعظ والنَّصيحة والتَّوجُّه والاستتابة، ويتوب على يديه من النَّاس جمٌّ غفيرٌ، وجمعٌ كثيرٌ، ويترقَّى أمرُه يوماً فيوماً، وشهراً فشهراً، وهكذا، ومع ذلك كلِّه كان ممراضاً ومبتلىً بمرض القلب وضيقة النَّفَس في الغاية.

وكان عنده سالكون عديدةٌ، ولم يأذنْ إلا لأربعةٍ بالخلافة تأسِّياً ببعض السَّادات الكرام، قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ، وهم بنبيِّهم خير الأنام عليه وعلى آله وأصحابه أفضلُ الصلاة وأكملُ السلام: أوَّلُهم: الشيخُ محمد عاصم بن شيخه الأوَّل الشيخ الأجلّ الشيخ محمد علاء الدين قدس سره، والملا طيفور الديار بكري، والملا محمد البالكي الجِلْخُوري[2]، والملا عبد الباري بن الملا سعيد الكواشي رضي الله عنه، اللهم أَعْلِ درجاتهم، وحقِّق مَرَامَاتهم، واجعلهم عنصراً تمثيليّاً لساداتهم.

(١) وهو محمد باقر قدس سره.

(٢) في حاشية (أ): (ابن عبد العزيز).

[مبحث وفاته ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُ وَعنّا بِهِ][1]

وكان انتقالُه إلى مولاه واستراحَتُه بالرَّوح والرَّيحان في عالية فراديس الجِنان قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ في قرية نورشين المحروسة عن الآفات الدِّينيَّة والدنيويَّة، وقبرُه عند آبائه وأجداده الكرام في تل المرقد في يوم الثلاثاء في شهر صفر الخير بعد مضي [١٧٢] سبعة وعشرين يوماً منه، من شهور سنة (١٣٨٧هـ) أي: ثلاثمائة وسبع وثمانين بعد الألف، والرابع والعشرين من شهر مايس من شهور سنة (١٣٨٧ق) (١٣٨٣) (١٩٦٧) أي: ثلاثمائة وثلاث وثمانين بعد الألف بالشمسية، وتسعمائة وسبع وستين بعد الألف بالميلادي، وكانت صدفةُ تاريخ وفاته ﷺ بالجُمَّل الكبير كما قال بعضُ[2] المحبّين الصادقين له ولآبائه الكرام ﷺ:

إنَّ تقـيَّ الـدين راح للجنـان بالجزيـل
مـن نعم كادسـة[3] مـن فضـل ربِّـه الجليـلِ
قـد أَسْبَلَ السِّـترَ على صبر الأحبَّـة حسرتا
أَحسِنْ إليـهم ربّنـا السُّـلوان والصَّـبر الجميـل

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) وهو نور الله.

(٣) في حاشية (أ): (أي: كختاة).

فاجئـــةٌ كادحـــةٌ فقدانُـــه وقـــد صَـــدَقْ
أغـابَ صـبري بعـده وكـان تـاريخ الرَّحيـل

وكان[1] بقعةُ مرقده قِبليَّ مرقد الأستاذ الأعظم والحضرة الأفخم قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ.

وقد جلس شيخُنا الأجلّ الشيخ محمد علاء الدين ﷺ يوماً هنالك يراقِبُ ويستمدُّ من فيضهم، ومعه الملا محمد باقي وجمعٌ من العلماء، فقال الملا محمد باقي بعد أن حوَّل الشيخ ﷺ وجهه من المراقبة: كنت جالساً خلف الشيخ لَعَلّي أرى رؤيا[2] حسنةً، ثم قال الشيخ ﷺ: هذا المكانُ طيبٌ جداً؛ لأنَّ الأستاذَ ﷺ إذا قام للحشر يسوق مَنْ هنا أمامه، فإذا أنا متُّ وكان نصيبي تراب نورشين؛ فادفنوني هنا، فإنَّ من كرمهم أن لا يتركوا مَن أمامهم إذا ذهبوا إلى المحشر. ومن إحسان ربنا العالي أن دفن في تلك البقعة المباركة أوّلاً وقبل كلّ أحدٍ الشيخُ تقي الدين ﷺ وحرمه المحترمة ﷺ، ثم مَلَؤُوا حولهما من أحفاد الأستاذ الأعظم ﷺ.

ومن أحسن التَّوافق: أنَّ وفاتَه ـ كوفاة شيخه المذكورين قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ ـ كانت في شهر صفر الخير.

وخلَّف ﷺ مِن البنين ثلاثةً: الشيخ محمد حفيد المأذون بالإجازتين

(١) في حاشية (أ): وكانت، خ.

(٢) في (ب): (رؤىً).

العلوم الظَّاهريَّة والباطنيَّة كليهما من الملا محمد باقي ﷺ، وعطاء الله، ومحمد باقر أنبتهم الله نباتًا حسنًا، وأوصلهم إلى درجات أسلافهم البررة الكرام، وكذا سائر أولاد الأستاذ الأعظم قدَّس الله أسراره، وأسبل علينا فيضَه وبِرَّه وأنوارَه، ولم يَبْقَ لنا من بعدهم [١٧٣] وقوض خيامهم من ساحة هذه الدُّنيا الفانية إلا أن نترنَّمَ بأشعارٍ تفاجئ قلوبَنا بادِّكارهم، ونتسلَّى بها مثلَ قول الشَّاعر:

لـي سـادةٌ مَـنْ حـبَّهم أقـدامُهُم فـوق الجبـاهْ
إنْ لـمْ أكـنْ مـنهم فلـي في حـبِّهم عِـزٌّ وجـاهْ

وقول آخر:

سُـقيًا لأيـامٍ مَضَـتْ مـع سـادةٍ ... كانـتْ منازلُنـا بهـم أوطانـا
رحلـوا إلـى أوطـانهم فتبـدَّلَتْ ... أفراحُنـا بفـراقهم أحزانـا

وقول آخر:

حريفـان بادهـا خوردنـد ورفتنـد ... تِهـى خُمْخَانَهـا كَردَنـد وُرَفْتنـد

وقول آخر:

مضـينا زمانـًا لَعِبْنـا بـه ... وهـذا زمـانٌ بنـا يَلْعَـبُ

ولنختم الكلامَ بالأدعية والرَّجاء من الملك العزيز العلّام بقول: اللهم لا تَحْرِمْنا من نفحاتهم وفيوضاتهم في خلواتنا وجلواتنا، وعمِّمْ نسبتهم في أولادهم وأتباعهم، واجعلهم لنا سلفَ خيرٍ، وزِدْنا بهم شرفًا ونُبلاً، واهْدِ من

يلونهم إلى طاعتك ببركتهم، واجعلهم شافعين مُشَفَّعين يوم لا ينفع مالٌ ولا بنونٌ إلا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ، جزاهم الله عنّا خيراً، ولا أراهم في مثواهم الأخير ضيراً، بجاه سيِّدنا سيِّد الأنبياء والمرسلين عليهم من الصَّلوات[١] أفضلُها، ومن التَّسليمات أكملُها، وعلى آلهم وأصحابهم[٢] أجمعين.

والحمد لله ربِّ العالمين على إكمال ما رُمْناه، واجعله لنا ذخراً في يوم الدِّين.

واستراح من تسويده قَلَمُنا التعبان وقت الضحى من يوم الخميس السادس عشر من ربيع الأول من شهور سنة (١٤١٧) أي: أربعمائة وسبع عشرة بعد الألف الهجرية القمرية، والتاسع عشر من شهر تموز من سنة (١٤١٢) أي: أربعمائة واثني عشر بعد الألف الشمسية.

هذا ما أردنا كَتْبَه وكتبناه من «بِرْكَة الكلمات[٣] في مناقب بعض السَّادات» قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمْ، وأفاض علينا أنوارهم، والآن نريد أن نُذَيِّلَها تكملةً لها ببعض مناقب بعض علمائنا في الشّرق الأوسط من الأكراد الذين لنا معرفةٌ بهم، وعلمٌ من آثارهم، وإن لم نُحِطْ بها كلّها ولا بهم كلِّهم علماً، وإنّهم في حدِّهم ذاتهم[٤] كثيرون، فالعفوُ من شيمة الأبرار.

---

(١) في (أ) و(ب): (التصليات)، والصواب ما أثبتناه.
(٢) في (ب): (آله وأصحابه).
(٣) في (ب): (الكليمات).
(٤) في (ب): (حدّ ذاتهم).

[مبحث بدأ ذيل «بركة الكلمات»
في ذكر بعض علماء الشَّرق الأدنى الأكراد ﵏][1]

[١٧٤] فنقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أنَّ ساداتِ العلماء وكبرائَهم في الشَّرق الأدنى كثيرون، ولا نحيط بهم علماً، وأما الذين نعرفهم؛ فمنهم من ذكر في بحث السَّادات النَّقشبنديَّة ﵃، ونكتفي بذكرهم هنالك، ولنذكرْ بعضاً منهم الذين نعرفهم، وإن لم نعرفهم حقَّ المعرفة، ولم يُذكَرْ لنا قُصوى أحوالهم، وقد انتشر صِيتُهم في أطراف الدُّنيا.

لقد رأينا بعض علماء هندستان في مكّة المكرَّمة، وبعد أن سلَّموا، وجلسوا، وجرى بيننا وبينهم الاستفسارُ من أين وممَّن القوم؛ فأجابونا بأنّا من هندستان، وسألناهم عن طريقتهم، فأجابوا بأنا چِشْتِيّون، ثم هم سألوا عنا، فقلنا: نحن من كردستان، وطريقتُنا النَّقشبنديَّةُ، فقالوا: بخٍ بخٍ، لقد سمعنا من مشايخنا وأسلافنا أنَّ كردستان مملوءةٌ علماً وعلماء، وفضلاً وفضلاءَ، وتقوى وأتقياءَ، وقالوا: هل يدوم تلك النِّعمةُ الكبرى فيكم؟

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

فأجبناهم بأنَّا لم نعرف حقَّ المعرفة، ولم نَفِ حقَّ تلك الشَّرَافة والكرامة العظمى، فرفعها اللهُ تعالى من بيننا، ولم يَبْقَ منها إلا قليلُ، والحمد لله الذي لم يرفَعْها بالكلِّيَّة.

وفي الحقيقة إنَّ أمرَ علماء كردستان من عُمْق نظرهم، ودقَّة فكرهم، وحسن شيمتهم، وبلاغة عباراتهم انتشر في عالم الدُّنيا بحذافيرها، واشتهر في العالم الإسلاميّ وغيره، ولنذكر الآن بعضاً ممن تقدَّموا من جهابذة علمائهم قَدْر ما نعرفهم أو سمعنا ممَّن له خبرةٌ بأحوال مَن شاهدهم، أو سمع ممَّن[1] له علم بذلك.

** ** **

(١) قوله: (ممن) سقط في (ب).

[مبحث الأستاذ الأجلِّ الملَّا يحي المزوري ﵀][1]

منهم: الأستاذُ الأجلُّ الملا يحيى المِزُورِي، العلّامةُ الفهامةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، ولا عِلْمَ لنا بتفصيل قراءته عند الأساتذة الكرام، ولكن سمعنا من بعض أحفاد الأستاذ الملا خليل الأسعرديّ ﵀ أنَّهما كانا متلازمين بالآخرة، قرءا عند الأستاذ الملا محمود البهدينيّ ﵀، وأخذا الإجازةَ منه معًا في مجلسٍ واحدٍ، فوقت رجوعهما من عنده قال الأستاذ الملا يحيى ﵀: إن شاء الله نحن نخفِّفُ [عن][2] أستاذنا تعبات التَّدريس، ونؤدِّي هذه الوظيفةَ بتمامها. وقال الأستاذُ الملا خليل: نرجو من الله الكريم أن يطوِّل عمرَ أستاذنا، ويداومَ تدريسَه للطُّلَّاب، وتعليمه للفقهاء، ويجعله ملجأً لنا في حلِّ مشكلاتنا. فاستعذب الأستاذُ الملا محمود كلام الملا خليل، وأما كلامُ الملا يحيى؛ فلم يَرضَ به، فقال العلماء: كان كلامُ الأستاذ الملا خليل هذا سببًا لنشر علمه أكثره[3].

وسمعنا ورأينا في كتب المناقب تسليمَه لمولانا خالد ﵌، وذلك أنَّ مولانا خالد ﵌ بعدما رجع من دهلو، واشتهر أمرُه في إرشاد العامَّة؛ هجم

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) ما بين معقوفتين من (ب).

(٣) في (ب): (أكثر).

عليه علماءُ شهرزور منكرين عليه، وقالوا: إنَّه تسليمٌ باقوريٌّ سحريٌّ لا يؤثِّرُ فيه أيُّ شيءٍ، فكتبوا بذلك إلى الفاضل المزبور [١٧٥] الملا يحيى ﵀، وقالوا: إنَّما يُبطِل هذا السِّحرَ والشَّعبذةَ أنت، ولا نأملُ ذلك من غيرك.

** ** **

[مبحث تجربة الملّا يحي ﵀ لمولانا خالد قدس سره وتسليمه له][1]

فلما قدم عليهم الملا ﵀ شيَّعوه تشييعاً تامّاً بتعظيمٍ وتبجيلٍ، فقال لهم الملا ﵀: لا أجيبكم بشيءٍ إلا أن أرى الشَّخصَ الذي ذكرتموه في نميقتكم، فقصده، وقد كان أحضر من كلِّ علمٍ مسألةً غامضةً من مسائل ذلك العلم، وهيَّأها ليسألها عن مولانا خالد قدس سره، ويجرِّبَه بها، فلما تمَّ الوصالُ، وحان وقتُ السؤال؛ لم يلبثْ مولانا قدس سره، وبدأ بالمسائل، وقال: إنَّ في العلم الفلانيّ المسألةَ الفلانيّةَ، وجوابُها هكذا، وفي العلم الفلانيّ المسألةَ الفلانيَّةَ، وجوابُها هكذا، وفي العلم الفلانيّ مسألةَ كذا، وجوابُها هكذا، وهكذا وهكذا، إلى أن أتى قدس سره على جميع مسائل الملا ﵀ وأجوبتها فقال الملا يحيى ﵀: لم يَبْقَ لي شيءٌ من الإنكار عليك، واستسلمْتُ لك، وحاشاك أن تكون من المفسدين، وعَلِمَ أنَّ ذلك إلهامٌ من الملك العلَّام، ألهمه وأفرغه في قلبه وسرِّه، وليس شيءٌ من ذلك من قِبَلِ نفسه. ثم سلك في الطَّريقة على يديه.

ولا علم لنا أنَّه معدودٌ من الخلفاء أم لا.

ثم تراءى[2] الملا يحيى ﵀ أولئك المُرْسِلين إليه للردّ عليه قدس سره،

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) في (ب): (رأى).

بركة الكلمات في مناقب بعض السادات

فردَّهم، ودعاهم إلى اتِّباعهم لمولانا، فانتفع من رزقه الله الحسنى، وخسر من كتب الله له الخسرانُ، وهو أحكمُ الحاكمين.

وإنَّه كان في نهاية القبول، وغايةِ أخذ الإربَة والمأمول عند مولانا خالد قدس سره، ولم يكن في تسليمه له غِلٌّ ولا غِشٌّ، ويَرُدُّ المنكرين عليه بأبلغ ردٍّ، ويذودُ عنه ما يشينه من مقالاتهم السيِّئة بقوَّة فصاحته وطاقةِ بلاغته، وبمكاتيبه الحسنة بعباراته المستحسنة، ومنها مكتوبُهُ هذا: عنوانه:

** ** **

[مبحث مكتوب رسالة الأستاذ الملّا يحي للشيخ معروف السُّليماني وردُّ إنكاره][1]

هذا مكتوبٌ أرسله الملا يحيى أفندي المِزوَرِيّ نوّر الله روحه في جواب مكتوبٍ، أرسله له الشيخُ معروف السليمانيّ في إنكار مرشدنا الشَّيخ خالد ﷺ روحي فداه، وردّ عليه:

أما بعد: فالمنتهي إلى جنابكم هو أنَّه وصل إلينا مكتوبُكم، وفهمنا ما فيه، فيا أخي، إن كان إنكارُكم على مرشدنا الشَّيخ خالد ﷺ من حيث الطَّريقة؛ فمعلومٌ أنَّ طريقَ السَّادات النَّقشبنديَّة حقٌّ كسائر طُرُق السَّادات الباقين، قال عليّ القاريُّ: [١٧٦] في شرح حديث: «**وَمَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ كُتِبَ لَهُ أَلْفُ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ أَلْفُ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرُفِعَ لَهُ أَلْفُ أَلْفِ دَرَجَةٍ**» «حصن الحصين»: ولعلّ وجه هذه الفضيلة بخصوصها: أنَّها محلُّ الغفلة، فالذَّاكرُ فيها كالمجاهد في الغاوين، وهذا دليلٌ لِمَا اختاره السَّاداتُ النَّقشبنديَّةُ من أكابر الصُّوفيَّة، حيث قالوا: الخلوةُ في الجلوة، والعزلةُ في الخِلْطَة، والصوفيُّ

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

كائنٌ بائنٌ، وغريبٌ قريبٌ، عرشيٌّ فرشيٌّ، ونحو ذلك، نفع[1] الله ببركاتهم، ومن تشبَّع أحاديثَه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وعرف أخباره وأحواله وأقواله وأفعاله؛ تبيَّن[2] له أنَّ هذه الطَّريقةَ هي التي اختارها صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد البعثة، وبعثه الله على هذه الحالة، وتبعه أكابرُ الصحابة، دون ما ابتدعه المبتدعةُ، ولو كانت مستحسنةً في الجملة. انتهى كلامه.

فانظر يا أخي بعين الشَّفقة على نفسك، كيف أثنى على طريقة مرشدنا.

وإن كان إنكارُكم عليه ﷺ من حيث خصاله وأحواله وأفعاله؛ فيا أخي، ما صاحبتموه، ولا خالطتموه؛ لأنَّ مَنْ خالطه سَلِمَ، ومن تابعه عَلِمَ، ومن عانده نَدِمَ، كيف ومن أحواله أنَّه يأمر بقيام اللَّيل، ودوام الوضوء، ووصول العشاءين والطلوعين، والإشراق والضُّحى والأوَّابين، بل سائر السُّنَن فضلاً عن الواجبات، وينهى عن البُصَاق إلى القبلة أو اليمين، والشُّربِ قائماً أو في نَفَسٍ واحدٍ، بل وعن سائر المكروهات فضلاً عن المحرمات؟!

ولعلك تقول: هو يأمر بالذِّكر القلبي، مع أنَّه قال في «حصن الحصين»: كلُّ ذكرٍ مشروعٍ ـ واجباً كان أو مستحسناً ـ لا يُعتَدُّ بشيءٍ منه حتى ليتلفَّظَ به ويُسمِعَ نفسه. فنقول: قال شارحُه علي القاريّ في شرح هذا

(١) في حاشية (أ): نفعنا، خ.

(٢) في (ب): (بين).

الكلام: وهذا كلُّه فيما أمر الشَّارعُ بأن يُذكَرَ باللسان، كما في قراءة الصَّلاة والتَّشهُّد وسائر أذكارها وأدعيتها، وليس معناه: أنَّ من ذكر بالقلب من غير أن يتلفَّظ بلسانه؛ لا يكون في الشَّرع معتدّاً به؛ لأنَّ مداومةَ الذِّكْر لا تُتصوَّرُ بدون اعتباره، بل هو أفضلُ أنواعه، [١٧٧] فقد صرَّح أبو علي المُوصلي في «مسنده» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ: الخَفِيُّ الَّذِي لا يَسْمَعُهُ الحَفَظَةُ، إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ جَمَعَ اللهُ الخَلَائِقَ لِحِسَابِهِمْ، وَجَاءَتِ الحَفَظَةُ بِمَا حَفِظُوا وَكَتَبُوا، قَالَ لَهُمْ: انْظُرُوا هَلْ لَهُ شَيْءٌ آخَرُ؟ فَيَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا شَيْئًا مِمَّا عَلِمْنَاهُ وَحَفِظْنَاهُ إِلَّا وَقَدْ أَحْصَيْنَاهُ وَكَتَبْنَاهُ، فَيَقُولُ اللهُ: إِنَّ لَكَ شَيْئًا عِنْدِي حَسَبْنَاهُ وَلا تَعْلَمُهُ، وَأَنَا أَجْزِيكَ بِهِ، وَهُوَ الذِّكْرُ الخَفِيُّ**» في «البدور السافرة في أحوال الآخرة». وفي «الجامع»: «**خَيْرُ الذِّكْرِ: الذِّكْرُ الخَفِيُّ، وَخَيْرُ الرِّزْقِ: مَا يَكْفِي**» كما رواه ابنُ حبان والبيهقيُّ عن سعد بن أبي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انتهى.

وقال علي القاري في شرح: «**يَذْكُرُ اللهَ قَوْمٌ عَلَى الفُرُشِ المُمَهَّدِ يُدْخِلُهُمُ الجِنَانَ**» قال: وفيه دليلٌ على أنَّ الملوكَ والأمراءَ ومن يجري مجراهم من أهل الدُّنيا المترفِّهين لا يمنعهم حشمَتُهم ورفاهَتُهم عن ذكر الله تعالى، وهم في ذلك مأجورون ومثابون، ويدخلون الجنَّةَ برحمته. اهـ.

وفيه إيماءٌ إلى طريق بعض السَّادات الصُّوفيَّة كالنَّقشبنديَّة والشاذليَّة والكُبْرَويَّة، وأنت يا أخي وفّقك الله الهدي أن تدخل هذه الطَّريقةَ، وتحصِّلَ

ما يحصل لغيرك من الاستغراق في بحر التَّوحيد، والحَيرَة في مطالعة الجمال والجلال، تدع عن إنكارك، وتندَّمْ على ما كنت تفعله.

ويا أخي، لِمَ لا تصدِّقُني؟ وإني لا أخدع نفسي، وقد جرَّبْتُ ووجدتُ ما تقرُّ به العيون، مع أنّي أرذلُ مريدي[1] مرشدنا وقرَّة عيوننا، وقد كنتم تعتمدون عليَّ قبل اليوم وتصدِّقونني، فيا عجبا أنا صرتُ اليوم كذاباً.

وقد ذكرتم في مكتوبكم أنَّه لا بُدَّ للمريد أن يمشي على الماء، ويطير في الهواء. فيا أخي، إنَّ مرشدَنا ينهى عن إظهار الكشف والكرامات، فلا يُسَوِّغُ لهم أن يظهروهما، على أنَّ غرقةً واحدةً في بحر التَّوحيد أفضلُ من ألفِ كشفٍ وكرامةٍ، والكراماتُ حَيْضُ الرجال، وأيضاً منقولٌ عن سلسلة الذَّهَب: حبُّ الكرامات دليلُ المحرمات، على أنَّ أعظمَ الكرامات التَّصرُّفُ في القلب، لا المشيُ على الماء والطَّيرانُ في الهواء. والسَّلام على من اتَّبع الهدى. تمت.

** ** **

(١) في (ب): (مريدِ).

[مبحث بيان اختلاق الشَّيخ معروف رؤيا في تنقيض مولانا قدس سره](1)

وهذا الشيخ معروف [١٧٨]حاوَلَ في إنكار مولانا ذلك قدس سره غايةَ ما جاء منه، حتى اختلق مِنْ عنده صورةَ رؤيا، أَمَرَ واحداً من أتباعه أن يَقُصَّها بحضرته قدس سره، وفي ملأٍ من أتباعه وسالكيه وغيرهم تنقيضـًا وتنقيصـًا له قدس سره، فجاء ذلك الواحدُ السَّيئُ الأدب في ذلك الوقت إلى محضره وجماعته الحافلة بالأتباع ووجوه الناس، وقال: إنّي رأيتُ في حقّ شخصك رؤيا، فقال قدس سره: لتكنْ خيراً، فاذكرها، فقال: إنِّي رأيتُك قد فُقِئَتْ عيناك، وكُسِرَتْ رقبتك، وقطِعتْ يداك ورجلاك وشفتاك وعورتُك، وبُقِرَ أحشاؤُك، وأُلْقِيتَ على المزبلة. فأجابه الشيخُ قدس سره: خيراً رأيتَ، أَحْسِن وأَعْظِمْ بها من رؤيا صالحةٍ، وتأويلها: أنّك رأيتَ عيني قد فُقِئتا، فلا أنظر إلى ما نُهيتُ عن النَّظَر إليه، وكُسِرَتْ رقبتي، فلا أخضع للشَّيطان، وقُطِعتْ يدايَ، فلا أبطشُ بهما بأحدٍ من المسلمين، وقُطِعتْ رجلايَ، فلا أذهبُ بهما إلى محافلِ الشرِّ، وقطعتْ شفتاي، فلا أتكلَّمُ بهما عن المكاره الشَّرعيَّة، وقطعتْ عورتي، فلا أفعلُ بها ما لا يليق بكبريائه تعالى، وبُقِرَ أحشائي، فأُخرِجَ منها المنهيّاتُ كلّها، وألقيتْ على المزبلة، وهي قوّةٌ عاديّةٌ لِنَبْتِ الحشائش والبقولات، فهذه الرُّؤيا قد سرَّتني كثيراً. وقال لخادمه: أَعْطِه ما عندك من النُّقود في بشرى رؤياه لي.

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

وبعد أن رأى الرَّجلُ هذا منه قدس سره؛ ندم على إنكاره، وتابَ على يديه، وصار من الخالصين من أتباعه قدس سره.

** ** **

[مبحث بيان التجاء عبد الوهاب الذي رده شيخه مولانا خالد قدس سره إلى الملّا يحي ليشفع له عند مولانا قدس سره[1]][2]

وقد كان لمولانا قدس سره خليفةٌ يقال له: عبدُ الوهّاب، فردّه عن الطَّريقة والخلافة بسببٍ مذكورٍ في مناقبه قدس سره، فذهب إلى الشَّاه الدّهلوي قدس سره بدلاً عن شيخه مولانا، فلم يقبلْهُ، وقال: إنَّ عندكم خالداً الكرديّ، فاذهب إليه، فبعد أن لم يَبْقَ له طريقٌ غيرُ ذلك؛ التجأ إلى الأستاذ الملا يحيى المزوريّ رحمه الله ليشفعَ له عند شيخه مولانا، فيقبله مرَّةً ثانيةً، فذهب ذلك الأستاذُ إليه، ورجا منه كثيراً، وصرف غايةَ وسعه في القبول، ومع ذلك لم يقبلْهُ، وقال: لم أكن ردَدْتُه، بل ردّه السَّاداتُ الكرامُ، ولم يَبْقَ شيءٌ بيدي، فما دام يلحّ ولا يقنع، فليسوّد وجهُه، ويغيّر هيئته، ويركب الحمار معكوساً، ويأخذ بذَنَبِه ويجول في طُرُق الشَّام [١٧٩] وأسواقها، ويكسر نفسه، وتنكسر عظمتُه، فإذاً يحتمل أن يقبله السَّاداتُ.

وعلم الأستاذ الملا يحيى أنَّه لا يفعل كذلك، فقال: إنّي أفعل بَدَلَه ما تقول[3] من المكاره في نفسه، فقال مولانا قدس سره: لا يُقبَل منك عنه، فدام عبدُ

(١) قوله: (إلى الملا يحيى ليشفع له عند مولانا قدس سره) سقط في (ب).

(٢) ما بين معقوفتين من (ب).

(٣) ذكرته، خ.

الوهاب المذكور على إنكاره إلى أن مات، أعاذنا الله من تلك السَّيِّئات المشؤومات العاقبة.

وكان الأستاذُ الملا يحيى رحمه الله مقبولاً ومحبوباً كثيراً عند مولانا قدس سره، وكان يوماً نائماً في غرفةٍ، وقصدها مولانا قدس سره، فأراد النَّاسُ أن يوقظوه لمجيء مولانا، فقال مولانا قدس سره: لا توقظوه، فدخل وقبَّل شفتيه، وقال: حُقَّ أن تقبَّل شفةٌ تشتغل دائماً بالعلوم والأذكار.

وكان الأستاذُ الملا يحيى هذا رحمه الله عالماً ماهراً متواضعاً وتابعاً للحقّ، يدور معه أينما دار. وسيجيء إن شاء الله تعالى بعضٌ من تسليمه للحقِّ والاعتراف بأنَّه مخطئٌ في بعض المسائل.

ولم يَصِلْ إلينا من تأليفاته سوى حاشيةٌ مبيِّنَةٌ لبعض عبارات ابن حجر في «التحفة بشرح المنهاج».

ونعتذر من النُّظَّار الكرام أنْ لا يشهروا علينا سيوفَ الملام في استقصاء بحثه بأنَّا بعيدون منه مكاناً وزماناً لا يمكننا ذلك الاستقصاءُ، وليس في حوزتنا السُّؤالُ عن إخوتنا في حقِّه، فلا يُنظَر إلى قصورنا.

** ** **

[مبحث الأستاذ الملَّا خليل الأسعردي ﵁ وأحواله][1]

ومن أكابر علماء مملكتنا الشَّرق الأدنى: الأستاذُ العلَّامةُ، والبحرُ الفهَّامةُ، صاحبُ التَّأليفات الفائقة، مولانا وسيّدنا وأستاذنا الملا خليل بن الملا حسن بن الملا خالد الكلبيكيّ موطناً، والأسعرديُّ مسكناً.

وكان ذلك الأستاذُ الماهرُ الماجدُ طالباً للعلم من طفوليّته، ولكثرة شفقة أبيه عليه لرؤية النَّجابة فيه كان يسلِّمه إلى أهل الذَّكاء والفطنة من العلماء الأعلام، وقرأ على كثيرٍ منهم إلى أن نشأ وبرع في أنواع العلوم، وحقَّق اللهُ أمنيةَ أبيه فيه، وما من عِلْمٍ إلَّا وله فيه قدمٌ راسخٌ، وهو في تأليفِ رسالةٍ منه ناسخٌ.

وأتم كَتْبَه بالآخرة عند مفتي العماديّة الملا محمود البَهْدينيّ رحمه الله رحمةً واسعةً، وأجازه إجازةً تامَّةً، وأجاز هو كثيراً من العلماء الكاملين، حتى لا [١٨٠] يُنسبُ علمُ مملكتنا إلى أحدٍ سواه.

وبعد أن برع في العلوم، وأبدع أنواع النُّكات والفنون؛ اشتاق إلى تحصيل علم القلوب اللَّائق بمعرفة علَّام الغيوب من التَّصوُّف، والأخذ من أحوال وأنوار السَّادات الكرام.

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

[مبحث من بعض أحوال شيخه الشَّيخ أحمد الرَّشيدي ﵁ وقتل بعض شيخ العرب الفاسق][1]

فتبع الشَّيخَ أحمد الرشيديّ ﵀ من سادات الطَّريقة القادريَّة، وعمل حسب طاقته ووسعه، حتى كَمُلَ وفاق، وأخذ منه الإذنَ للخلافة والنِّيابة، وكتب في مناقب شيخه رسالةً، وبيَّن فيها أحواله.

ولنبيِّن حالاً منها يدلُّ على بقيَّتها، وهو أنَّ الأستاذَ كتب في مناقب شيخه ﵀:

إنِّي كنتُ يوماً جالساً في حجرتي السُّلوكيَّة، وسمعتُ صوتَ الشَّيخ من الخارج، فسرعان ما خرجت وذهبت إليه، فإذا بيده المُدْيَة، وهي ويداه ملطَّخةٌ[2] بالدَّم، فطلب مني الماءَ، فأفرغته على يديه، وغسلهما، فسألته: ما هذا الدم؟ وما سببُه؟ فأجابني: بأنَّ هذا دمُ شيخٍ من ظلمة مشائخ العرب، بسبب أنَّ امرأةً قادريَّةَ النَّسب فقيرةَ الحال ذاتَ أطفالٍ صغار قصدتْ ذلك الظَّالمَ الغشومَ رجاء أن يُعِينَها ببعض ما يسدُّ فقرها، فردَّها خائبةً، وزيادةً على تلك الخيبة حين أن رجعت المرأةُ مدَّ رجله الخبيثة قدَّامها، فسقطت على الأرض، وانكشفت عورَتُها، فاغتاظتْ واستقبلتْ إلى جهة مرقد الغوث

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) ملطختان، خ.

الكيلانيّ قدس سره، وبصقتْ إليها، وقالت: هذا على غيرتك إن قُبِلْتَ ذلك، فجاءني روحانيَّةُ الغوث قدس سره، وقال: قم نذهبْ إلى فلانٍ الظَّالم، فذهبنا، فإذا هو جالسٌ خلف فسطاطه، فقال: أنا آخذ منه الإيمانَ، فاقتله أنت؛ إذ لو أقتله لا يرى منه أثرٌ ظاهرٌ، فلا يكون عِبرَةً لمن اعتبر، وأما إنْ تقتله أنت؛ فيُرَى قتلُه؛ لأنَّك في قيد الحياة، ويحصل من ذلك ما يؤخذ منه العبرةُ، فذبحتُه، فهذا دمه. ثم بعد أيَّام سمعنا أنَّ الشَّيخَ الفلانيَّ ذُبح، ولم يعلم ذابحُه.

وكتب الأستاذ قدس سره في حقّ هذا الحادث العجيب والأمر الغريب شعراً:

الأسـدان التقيـا في الـوغى ... مـن ذا يُعَاديهمـا إذا رَصَـغَا[1]

بأسُـهُمَا بـالله بـأسٌ شـديدٌ ... مـن عَادَيَا ذابَ ولـو مِـنْ حَدِيـدِ

وبعد أن فاق في العِلْمين [١٨١] على الأماثل والأقران، وصار أستاذاً للكلِّ في الكلِّ؛ رجع إلى هيزان، وأقرأ الطَّالبين، وعلَّمهم في مدرسة ميدان[2] خمس سنين، وبعد ذلك رحل إلى أسعرد، وأمضى فيها[3] بقيَّة عُمُره مشتغلاً بالتَّدريس والإرشاد، وأهلُها لم يَقْدُروا قَدْرَه، ولم يعاملوا معه كما هو اللَّائق به[4]، ولم يجاملوا معه بما هو الفائقُ فيه، حتى إنَّ يوماً من الأيَّام كان ذا مطرٍ غزيرٍ، وبيتُه كان ضعيفَ السَّقف ـ أي: قليلاً ترابُه ـ، ويقطر الماءُ من السَّقْف

(١) الظاهر أنه بالسين.

(٢) في (ب): (ميران).

(٣) في حاشية (أ): (فيه)، وهي المثبتة في متن (ب).

(٤) قوله: (ب) سقط في (ب).

من شدَّة المطر، ولم يلتفتْ إليه أحدٌ من أهل المحلَّة، وكانوا كذلك في الزَّمان الأوَّل عفا الله عنهم، وأما الآن؛ فهم أطوعُ لأهل العلم، وأكثرُ معاونةً لهم من جميع الأمم الإسلاميَّة من الذين في جوارنا، وأَغْيَرُ وأشجعُ إلى إجابتهم لأيِّ أمرٍ كان، فعَلَا ابنُه الملا مصطفى على السَّطح لإصلاحه، وقطع تلك النَّقطات، فانفعل الأستاذُ أبوه من تلك الحالة، وأمره بالنُّزول عن السَّطح، ولم يمتثل، فأمر الأستاذ أن يخرجوا ابنا للملا مصطفى إلى المطر كي يتضجَّر قلبه لابنه، فيعلم أنّ قلبَ كلِّ أحدٍ يتضجَّرُ[1] على ولده، وينفعل من ذلك، فينزل من السَّقْف، ففعلوا كذلك، وبكى الطِّفلُ، فسأل السَّببَ، فبيَّنوا له الحالَ، وأوقفوه على المقال، فنزل عن السَّقف[2] في الحال.

** ** **

(١) قوله: (يتضجر) سقط في (ب).

(٢) السطح، خ.

[مبحث ذهاب الأستاذ الملّا خليل إلى الملّا يوسف البايزيدي[1] رحمه الله][2]

وكان به ضيقةُ يدٍ، وله عيالٌ كثيرةٌ، فمن ذلك قصد الملا يوسف البايزيديّ رحمه الله ومعه ابنُه الملا مصطفى، فسارا راجلين، وكان ذلك الملا يوسف من الأغنياء المكاثرين، وذا ثروةٍ عظيمةٍ، فلما وصلا إليه؛ كان هو على درسِ تلميذٍ له وهو لا يعرفهما، فقبَّلا يده، فسأل: مِنْ أين أنتما؟ قال الأستاذ: من أسعرد، فقال: ما اسمك؟ فقال: خليل، فقال: بأيِّ حاجةٍ جئتَ؟ قال: للإقراء عليك، فقال: أفبعد هذه الشَّيبة وبياض اللِّحية؟ ودام في تدريسه، فعَيِيَ عن الحل في عبارةٍ مغلقةٍ، وكرَّر، ولم ينجح له التَّكرارُ، فقال للتّلميذ: جاء وقت الصلاة، فلنتوضَّأْ ونصلِّ حتى يقضي الله أن نعلم تلك المشكلةَ ببركة الوضوء والصَّلاة، فذهبا إلى الوضوء، فنظر الأستاذ الملا خليل قدس سره إلى العبارة، وحلَّ المشكلَ بعبارةٍ واضحةٍ مبيّنةٍ، وكتب تحت الحاشية اسمه خليل، وبعد أن جاء الملا يوسف وتلميذه إلى المدرسة، ورأى الملا يوسف الحاشيةَ، واطَّلع على المعنى؛ تعجَّب، وقال للتلميذ: كيف لم نَرَ الحاشيةَ؟ ثم استدرك أنَّ الحاشية من ضيفه، فسأل: ألستَ الملا خليلاً [١٨٢] الأسعرديّ[3]؟ فقال: بلى، فقام من موضعه، وقبَّل يده، ووقع

(١) في (ب): البازيدي رحمهما الله.

(٢) ما بين معقوفتين من (ب).

(٣) في (ب): (ألست خليل الأسعردي؟).

على رجليه، وأكرمه مع تعظيمٍ تامٍّ واحترامٍ.

وبعد أن جرى بينهما الاحترامُ، وأشبعوا المجلسَ من مستلذّات الكلام، سأل الملا يوسف: هل كان تشريفُك لديارنا خيراً؟ فقال الأستاذُ: إنَّه كان بي ضيقةُ اليد وشدَّة الغلاقة[1]، ولم أستحسن أن أرفع حاجتي إلى الجُهَّال من أهل الثروة، وسمعتُ بغنائك وقدرتك على ما يقدرُ عليه الجهَّال، وأنت من أبناء جنسنا من العلماء على كلِّ حالٍ، فرفعنا حاجتنا إليك، فأجاب بأن جئتَ على رأسي وعلى رأس أبي، فليتك أرسلتَ مكتوباً حافلاً بجميع حاجاتك، فأضعها على رأسي، وأوصلتها إليك، وحسبت ذلك لي الزُّلفى، وامتننتُ به.

فبدأ بتدبير إرجاع الأستاذ وابنه الملا مصطفى رضي الله عنهما إلى مملكتهما، فانتخب لهما حصانين من جياد حُصُنِه بسَرْجِهِمَا ولجامِهِمَا وما يلزم لذلك، وأحضر لكلِّ أحدٍ من أفراد بيته بذلَةً فاخرةً من الألبسة اللَّائقة بهم، وأعطاهما من النُّقود مقداراً كثيراً، ثم أرجعهم إلى أسعرد.

وفي تلك الضّيقة يجيء إليه الطَّلبةُ كثيراً، ويأخذون منه الإجازة، وهو يقول لهم: إنَّ جبابكم وعمائمكم كلَّها منكم، فلا يمكنني إعطاءُ تلك المصاريف.

(١) في (ب): (الطاقة).

وكان ﵁ ذا لطائفَ فكاهيَّةٍ، وقيل له[1]: يا أستاذ، سمعنا أنَّ هذا السَّماءَ الذي فوقنا فضَّةٌ، فقال: لا أصدق ذلك، فقالوا: لمَه[2]؟ قال: لأنَّه لو كان ذلك صادقًا؛ لاحتال السّعرديون للوصول إليه، ولنالوه وأخذوه.

** ** **

(١) قوله: (له) سقط في (ب).

(٢) في (ب): (ليمه).

بيان فتوى للملَّا يحي المزوري غلطاً وتنبيه الأستاذ الملَّا خليل إياه ﵀

وقد أفتى الملا يحيى المزوريّ ﵀ ورضي عنه فتوى، وكان غالطاً في ذلك بسبب غلطِ عبارةٍ في الكتاب، فلما سمع الأستاذ الملا خليل ذلك الفتوى، وأحسَّ بأنَّه غلطٌ؛ لم يكتفِ بإرسالِ نميقةٍ مبيَّنةٍ[1] لذلك تأدُّباً واحتراماً، فقام بنفسه، وذهب إليه احتراماً وتعظيماً لذلك الجناب، وبيَّن له الغلطَ، وأقرَّ هو.ذلك لـمَّا أحس بمنشأ ذلك، فقام على سطحٍ ونادى بأعلى صوته: أيها النَّاسُ المستمعون: إنَّ فتوايَ في المسألة الفلانيّة غلطٌ، وبيَّن لي الملا خليل غلطته[2][3] وإنّي راجعٌ عن ذلك وتائبٌ [١٨٣] إلى الله تعالى.

فيا إخواننا العلماء، تأمَّلوا في أدبهم وحرمتهم لأهل العلم، ومعاملتهم أحدهم مع أحدٍ، فخذوا تلك المستحسنات منهم، فلا تضل بيننا، ولا نحرم عنها رأساً.

وبعد أن كُفَّ بصرُه ـ أي: الأستاذ الملا خليل ـ كان يوماً قاعداً في حجرته إذا لدغته[4] عقربٌ، ففتَّش أرض حواليه، فلم يرها، وبكى، فأحسَّ بذلك أهلُه، وقالوا: هل تتوجَّعُ منها كثيراً؟ قال: لا، فقالوا: لـمَ تبكي؟ قال: لا

(١) في حاشية (أ): (منبئة).

(٢) في حاشية (أ): غلطتها، خ.

٣ غلطتها خ.

(٤) لسعته، خ.

أبكي من ذلك، ولكن أبكي على ما قال النبي ﷺ: «**دم العلماء سَمٌّ**» أو كما قال، ففتَّشْتُ ولم أرها، فظننتُ أنِّي لم أكن ممن يشمله الحديثُ من العلماء، ففتَّشوا، فرأوها قد ماتت، فأعلموه بذلك، ففرح وحمد الله على ذلك.

** ** **

[مبحث بيان كون ابن الملَّا خليل الملَّا مصطفى مدرساً لبدر خان بك ﵀][1]

وكان ابنُه الملا مصطفى مدرّساً في مدرسة بدرخان بك البهتي، وكان بدرخان بك أخذه بكلِّ رجاءٍ من أبيه للتَّدريس، فقبل أبوه ذلك، وذهب هو إليه، واشتغل بالدَّرس والتَّعليم، وكان طلبتُه كثيرين، وتحصيلُهم في نهاية الدَّرجة العليا، فذهب واحدٌ إلى أبيه الملا خليل ﵀، وأعلمه بأنَّه رأى ابنَه الملا مصطفى، وذكر له حسنَ حاله وتدبيره وتحصيله وكثرة طلابه، وسقط من فمه أنَّه أعلمُ وأعلى كعباً، فقال الأستاذ: نعم، إنَّه مدرّس بدرخان بك، وعنده خزانةُ الكتب، فإلى أيٍّ منها احتاج يُحْضر له بسهولةٍ، وأما أنا؛ فأجمع مشكلاتي في دفترٍ، ولا يوجد عندي من الكتب ما يشفي غليلتي، فبالضَّرورة أذهب إلى ديار بكر، وهنالك آخذُ حَلَّ جميع مشاكلي من خزانة الكتب فيها، ثم أجيبُ عنها، وهكذا حالي في كلِّ سنةٍ مرَّة.

ويروى أنَّ محمد أمين بن الأستاذ الملا خليل كان يقرأ عند الأستاذ الملا يحيى رحمهم الله تعالى، فلما رجع إلى أبيه سأل عنه أبوه: أيُّنَا أعلم: أنا أم أستاذُك الملا يحيى؟ فسكت الملا محمد أمين، فقال أخوه الملا مصطفى: لمَ لا تجيبُ الأبَ؟ فقال: أيّ شيءٍ أجيب؟! أستاذي أعلم، فقال

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

أبوه: نعم، إنَّه مدرِّس بدرخان بك، وعنده خزانةُ الكتب، إلى آخر ما قدّمنا.

فإما أن يحمل هذا الجوابُ[1] على تعدُّدٍ للواقعة أوّل مرَّةٍ حصل في زمان تدريس الملا يحيى عند بدرخان بك ومرَّة في زمان تدريس الملا مصطفى عنده، أو يُحمَلُ على تغليظ الرُّواة في نقولهم، أو كانت التَّقصيراتُ منا حيث لم نضبطْ.

** ** **

(١) في حاشية (أ): هذه المكالمة، نسخة.

[مبحث بعض أحوال بدر خان بك مع الطَّلَبة والفقهاء][1]

وكان لبدرخان بك هذا ﷺ مع طلبته أحوالٌ كثيرةٌ غريبةٌ مشهورةٌ في أفواه النَّاس، ومنها: أنَّه كان يُرْسِلُ للطَّلبة كلَّ ليلةِ جمعةٍ شاةً سمينةً ليذبحوها ويتنعَّموا بلحمها، ففي بعض المواعيد رأى بعد ظلام الليل كأنَّ أسطوانةَ نورٍ ارتفعتْ على المدرسة، واستطالتْ إلى السَّماء، فدخل المدرسةَ لاستكشاف الحقيقة؛ إذ إنَّ الطَّلبة جمعوا عظام مأدوبتهم، ووقفوا حولها يُهرُّون إليها كالكلاب وحاشاهم. فأما أن رأى كذلك بدرخان بك ﷺ؛ ألقى نفسه بينهم بالهرير مثلهم، فقال بعضهم: [١٨٤] تأدَّبوا إذ حضر بك، فقال: بل بك أكبرُ الكلاب.

** ** **

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

[مبحث بيان تغريب الحكومة العثمانية لبدر خان بك ومتعلقاته إلى إستانبول وفيهم الملَّا مصطفى ﵀[1]][2]

ووقتًا نفى وغرَّبَ الحكومةُ العثمانيّةُ بدرخان بك هذا مع كلِّ منسوبيه، وأمَّر على ذلك أميراً اسمه أسد باشا، وهو الأميرُ الكبيرُ، وآخر دونه اسمه عثمان باشا، لأميرٍ سياسيٍّ من السّياسات الدوليّة، فائتمرا، وأخرجاهم من أرضهم[3] وأوطانهم الأصليّة إلى إستانبول، ونُفي معهم الأستاذ الملا مصطفى بن الملا خليل رحمهما الله وأعلاهما قدراً.

وقال أسد باشا لعثمان باشا: اذهب أنت بالمنفيين، وأرسلهم بالسَّفينة من أرضروم إلى قره دنز إلى إستانبول، وأنا أفتِّشُ المملكةَ، وأرى كيف حالها، وأرسلهم، وهو بنفسه طاف البلاد، وفتَّشَ عن أحوالها وسكانها وعلمائها، حتى ذهب إلى أسعرد، وسأل: هل مِنْ عالمٍ كاملٍ في هذه الدِّيار لحلِّ مشكلةٍ لي في علم الكلام؟ فقالوا[4] له: نعم، هنا عالمٌ علّامةٌ، ولكنَّه مكفوفُ البصر، ونَحِلَ جسمُه من الكهولة، واختلاف العلل فيه، فقال: إن كان بيتُه مساعداً؛ نزوره هنالك، وإلا؛ فإن رضي نأتِ به إلينا، وبالآخرة

(١) قوله: (وفيهم الملا مصطفى رحمه الله) سقط في (ب).

(٢) ما بين معقوفتين من (ب).

(٣) في حاشية (أ) و(ب) فوق كلمة (أرضهم) نسخة.

(٤) في (ب): (فقال له).

جاؤوا به ﵀ إلى حضرة الباشا، فأكرمه وعظَّمه وبجَّله وسأل أحواله، ثم حاول إلى مسألته، وبيَّن له مشكله فيها، فقال: نعم، أُبيِّنُها بقدر استطاقتي إن شاء الله تعالى، فألَّف له رسالةً حافلةً بجميع ما يستشكله، ولما أراه إيّاها في الصَّباح، فطالعها، فإذا هي في غاية الجودة والإتقان، ولكن رآها طويلةً، أو أراد أن يعلم قدرتَه على التَّصرُّف في الكلام، وقال: فيها طولٌ، أريد أن يختصره الأستاذُ، فدعا كاتباً وهذَّبها، وكتب الكاتبُ المهذَّبُ في المجلس، فلما طالعها رأى أنَّها في غاية الحسن، وأنَّ الأستاذَ في غاية الذَّكاء والفطنة والعلم، فتعجَّب، وقال: إنَّ هذه هديةٌ منك إليَّ إلى نهاية عمري، وإنّي أريد أن يكون منّي إليك هديةٌ من قضاء حاجةٍ من حاجاتك، قال الأستاذ: لا حاجةَ لي، فألحَّ عليه، وقال: لا بُدَّ وأن يكون منّي إليك شيءٌ، فقال الأستاذ: ما دام أن تُلِحَّ عليَّ بذلك؛ فإنَّ لي ابناً اسمه الملا مصطفى، وهو ثمرةُ علمي، وكان مدرِّساً لبدرخان بك، ونُفي معه، فإن تَمُنَّ عليَّ؛ فامننْ[1] عليَّ بإرجاعه إليَّ، فكتب في الحال لعثمان بك في إرجاعه، وأرسل بريداً، فأسرع حتى وصل إليه في أرضروم، فرآه [١٨٥] أنَّه أحضر الباخرةَ ليرسل المنفيين إلى إستانبول، فأعطاه المكتوبَ.

** ** **

(١) في حاشية (أ): فمنّ، خ.

[مبحث بيان إرجاع أسد باشا الملّا مصطفى من النّفي والتّغريب بطلب أبيه الملّا خليل رحمهما الله[1]][2]

ولَمّا فهم مضمونَه؛ أرجع الملا مصطفى وعياله، وأرسل الباقين، فلما وصل الملا مصطفى إلى حدود موش سمع أنَّ أسد باشا فيها، فأرسل الأهلَ والعيالَ، وقال: إنّي أرى الباشا، ثم أجيء، فزاره، فقال: إنّي أسكن هنا زمنًا، وأطلب أن تقرئني درسًا من «تفسير البيضاويّ» حتى نذهب في سبيلنا، فقال: نعم، ففي كلّ يومٍ يقرأ درسًا. ويومًا كانا على الدرس سمع الملا مصطفى قرعًا، ونظر إليه، فإذا الباشا يضرب بسوطه على زَرَمُوزته، فأطبق الكتابَ، وقال: أريد تغريبي، فقال الباشا: لمَه؟ فقال الملا: إنّي منفيٌّ من الوطن لا أسيرٌ، وإنّي لا أقبل الأسرَ، وأرضى بالتّغريب، وفعلُكَ الذي تفعل معي إنّما يُفعل بالأسرى فحسب، فاستفسر عن السَّبَب، فقال: تفعل على درس القرآن الكريم وتفسيره هكذا؟ فقال: والله العظيم لم يَبْقَ لي شعورٌ، ولا صَدَرَ منّي ذلك قصداً، واعتذر عنه، وبالغ في الاعتذار حتى أرضاه.

وأما بدرخان بك؛ فبعد تغريبه إلى إستانبول دار السّلطنة العثمانيّة، فإلى الشّام الشّريف، توفّي هنالك إلى رحمة الله تعالى، ودفن في مقابر

(١) قوله: (بطلب أبيه الملا خليل رحمهما الله) سقط في (ب).

(٢) ما بين معقوفتين من (ب).

الصّالحيّة متّصلاً قبرُه بحائط[1] قبة مولانا خالد قدس سره.

وقال شيخنا الأجلُّ حضرة الشيخ محمد علاء الدين بن الشيخ فتح الله قدس سرهما: حينما ذهبنا إلى الحجّ برفاقة شيخنا الأجلّ حضرة الشيخ محمد ضياء الدين النورشينيّ قدس سره، وزرنا مرقدَ مولانا خالد قدس سره؛ سأل الحضرةُ قدس سره عن قبر بدرخان بك رحمه الله، فأروه، وجاء إليه، وقرأ الفاتحةَ، ودعا له، ثم بدأ بصحبته في حقِّ بك، وقال: إنَّ أهلَ الدُّنيا والآخرة يعرفون بعد الممات بأنَّ أهلَ الدُّنيا كانوا مَن كانوا تحت رايات أهل الآخرة وفي ظلِّهم، فإنَّ بدرخان بك كان من مشاهير حكّام الدُّنيا، وكان تحت يده جميعُ كردستان، ومولانا كان من الفقراء المكسورين في الدُّنيا، وترون أنَّ قبَّةَ مولانا مرتفعةٌ من هنا إلى العرش العظيم، ويقصدونها كلُّ حافٍ ومنتعلٍ، وقبرُ الحاكم المشهور بدرخان لا يعرفه أحدٌ، ولا يقصده أحدٌ، حتى من أولاده. وتكلَّم الحضرةُ قدس سره في صحبته مثلَ هذا عند قبر ميرزا بك الخيوطيّ رحمه الله عند مرقد سيِّد التّابعين [١٨٦] مولانا أويس القَرَني رضي الله عنه.

ولنرجعْ إلى إتمام بحث الأستاذ الملا خليل قدس سره ورحمه الله رحمةً واسعةً، ومعلومٌ لدى كلِّ أحدٍ أنَّه أوحديُّ العصر، ورئيسُ العلماء، وأمضى عمره في التّدريس[2] والتّأليفات، وما من علمٍ إلا وله فيه مؤلَّفٌ، وأقرأ جميعَ

(١) في حاشية (أ): بقبة قبة.

(٢) التحصيل، نسخة.

أولاده وأحفاده وجمعاً كثيراً من غير الأقارب، وعِلْمُهُ باقٍ في ذرِّيَّته إلى الآن، بل علومُ ديارنا كلِّها من منبع علمه ومن شظاياه، وانتشر في العالم.

وكانت ولادته في سنة (١١٦٤) أي: مائة وأربع وستين بعد الألف من الهجرة النبوية ﷺ، وانتقاله إلى مولاه كان في سنة (١٢٥٩) أي: مائتين وتسع وخمسين بعد الألف الهجري، وعمره ستٌّ وتسعون، وقيل في مدحه وتاريخ وفاته رحمه الله:

أَفَلَتْ شَمْسُ البَدِيعِ فِي العُلُومِ وَالفُنُونْ

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا لِلإِلَهِ رَاجِعُونْ

قَمَرٌ هَلَّ بِهَيْزَانَ بأسعردُ غرب

نَشَرَ العِلْمَ فَأَهْلُ العِلْمِ عَنْهُ آخِذُونْ

إِنَّهُ القَمْقَامُ وَالضَّمْضَامُ وَالفَحْلُ البَدِ

يعُ مِنْ بِحَارِ عِلْمِشهِ أَلْفَى اللَآلِي السَّائِلُونْ

أُخْمِدَتْ نَارُ العُلُومِ وَانْطَوَى بَسْطُ الفُحُول

مُذْ سَقَاهُ اللهُ كَأْساً مِنْ كُؤُوسَاتِ المَنُونْ

إِنَّهُ بِاسْمِ الخَلِيلِ امْتَازَ وَالفَضْلِ الجَزِيلْ

يَا إِلَهِي اجْعَلْهُ مِمَّنْ فِي القُصُورِ آمِنُونْ

مِنْ صَمِيمِ القَلْبِ حَقّاً قِيلَ فِي تَارِيخ

تَاجُ أَهْلِ العِلْمِ طُرّاً هَا هُوَ الدُّرُّ المَصُونْ

وخلّف أربعةَ ذكورٍ: الملا مصطفى المدفون في جِدّة، والملا عبد الله، والملا محمد أمين، والملا محمود، وكلُّهم علماءُ كبراءُ فضلاءُ، ذو القَدْر والحرمة عند الله والنَّاس، ولكلِّهم أعقابٌ وذرِّيَّاتٌ علماءُ وصلحاءُ، رحمهم الله أجمعين، وجعل الجنَّة مثواهم، وأصلح مَنْ كانوا أو سيكونون بعدهم.

ودفن رضي الله عنه في مقابر أسعرد المحروسة، وامتلأ الآن حوالي مرقده من قبور أولاده وأحفاده وبعض ذريَّاته، حفّتهم الجنَّةُ، وشملَتْهم الرحمةُ والرضوانُ، واجعلهم اللهمَّ دلائل الخُلَّان إلى حضرة الملك الدَّيَّان، آمين يا رب العالمين.

** ** **

[مبحث ومن العلماء المتبحّرين الأستاذ الملّا رسول السيبكي ﵀](1)

ومن العلماء المشهورين في الشَّرْق الأدنى: الأستاذُ العلامةُ، والبحرُ الفهامةُ، الملا رسول السيبكيّ رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وجعل الجنَّةَ مثواه، ونحن الآن في صَدَدِ ذكر بعض مناقبه، وإن لم نعلم منها إلا قُلَّا من كلٍّ، وهو كما نقل لنا مشائخُنا من أتباع مولانا خالد قدس سره، حيث نقلوا عنه أنَّه قال: كنت فقيهاً عند ملائي ختي من أراضي عراق، فجاء إلى القرية مولانا خالد مع جمعٍ كثيرٍ من العلماء والصُّوفيِّين، فتكلَّم على الجمع من التَّصوُّف والآداب، فحصل لأهل الجمع حالةٌ مرجفةٌ كالجذبة، ووقع منهم [١٨٧] اللَّغطُ والصِّياحُ، وبعد ذلك أقيمت الصلاةُ، فقاموا إليها، وصلّوا جميعاً، فبعد الصلاة قال الملا الختي: ما هذا الذي رأينا منهم؟ فإن كانت تلك الحركاتُ اضطراريّةً، ولم يَبْقَ لهم شعورٌ، وفعلوا تلك الحركات؛ فإنَّهم مُحدثُون، وإن كانوا مالكي عقولهم وشعورهم؛ فهي حرامٌ. فأجابه مولانا قدس سره: بأنَّهم لم يفعلوا باختيارهم، ولا غابوا عن شعورهم بالكليَّة، مثل المحموم أو المبتلّ بالماء البارد مع برودة الهواء يعتريهما الارتجافُ والحركاتُ، ولا يمكنه قَطْعُ تلك الحركات، مع أنَّه مالكُ عقله وشعوره بالتمام. فطال الكلامُ بينهما على ذلك، وغضب الملا، وقال: لا أراك أبداً

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

من بعدُ، فأجاب مولانا قدس سره بأنِّي أراك إن شاء الله تعالى، ولكن أنت مخيَّرٌ بين الرُّؤية وعدمها.

وبعد مضي سنةٍ ذهب مولانا قدس سره إلى تلك القرية، فذهب إلى الملا لرؤيته وهو مكفوفُ البصر، فرآه مولانا قدس سره، ولم يره هو، وجعل الله كليهما صادقين في مقالهما.

وقال الأستاذ الملا رسول ﵀: فبعد تلك المنازعة بينهما قام الملا وجميع طلبته، فخرجوا غضاباً، وأنا تعوَّقْتُ عنهم، وقلت: غاب مداسي حتى ذهبوا، فرجعت إلى مولانا قدس سره، وتُبْتُ على يديه، وكنت مريدَه ومن أتباعه.

وقال الأستاذ أيضاً: إنِّي ذهبتُ إلى خليفةٍ من خلفاء مولانا قدس سرهما، وكان ذا جذبةٍ ووجدٍ، وفي بعض الأحيان يغلب عليه حالُه ووجدُه، فيركب على ظهري، ويقول: چو چو ـ أي: كما تساق الحمير ـ وأدور به في البيت على يدي حتى يخفّ عليه ما به، ثم ينزل ويقرئني درسي.

ويُعلَم مما ذكرنا أنَّ الأستاذ الملا رسول من أتباع مولانا قدس سرهما، ويُعلَم من بعض الكتب أنَّه مجازٌ من مولانا قدس سره في العلوم الظَّاهريَّة، وكان من السَّالكين أيضاً، ولكن لا نعلم أنَّه هل أجيز بالخلافة أم لا؟

وبعد أن برع في العلوم كلِّها، وفاق على الأقران كلِّهم؛ فاق في علومٍ لم

تكن عند غيره، كعلم الجهة والهندسة والاسطرلاب، وما شابهها مما لم يكن عند غيره من علماء مملكتنا.

ونُقل أنَّ الشيخَ الأكبرَ الشيخ فتح الله ﷺ قرأ عليه عِلْمَي الحكمة والحساب.

** ** **

[مبحث بيان ضجره عن الأستاذ الشَّيخ خالد الأولكي وإخراجه من عنده وإيواء الملَّا عبد الرَّحمن التيلي إياه[1]][2]

وسكن الأستاذُ في قرية كوغاك من قرى بلانق الملحقة ببلدة موش، ودرَّس وعلَّم [١٨٨] التَّلامذة هنالك كثيراً، وفي وقت كان عنده الشيخُ خالد الأولكيّ وحضرة الشيخ فهيم الأرفاسيّ وآخرُ غيرهما لم أحفظ اسمه ـ ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾[3]، وسمعتُ من بعض الإخوان أنَّ اسمَه: الملا عبد الغفار الكرافيّ ـ متلمذين عنده، وكلُّهم من مشاهير العلماء، فسُئل عنه: أيُّ طلبتك من الثَّلاثة أعلى كعباً وأوفرُ ذهناً؟ فأجاب بأنَّه: أما الشيخُ خالدٌ ﷺ؛ فعند الدَّرس بعضاً أنا أقوله له، وبعضا هوَ يقوله لي، ولكن ما يقوله هو لي أكثر مما أقوله أنا له. وأما الشيخُ فهيم ﷺ؛ فأنا وهو متساويان. وقال في حق الآخر: فأنا أقول له، وهو يقول لي، والذي أقوله له فهو أكثرُ.

ويوماً ألحَّ حضرةُ الشيخ خالد الأولكيّ ﷺ في السُّؤال مرَّةً بعد مرَّةٍ إلى أن عجز الأستاذُ وتضجَّر، فقال: لا أقرئك من بعدُ، فمهما حاول الشيخُ

(١) في (ب): الملا عبد الرحمن الملاكندي إياه.

(٢) ما بين معقوفتين من (ب).

(٣) سورة الكهف: ١٨/ ٦٣.

خالد في إرضائه؛ فلم يَرْضَ ﷺ، وأخرجه من المدرسة، فذهب إلى قرية ملاكند عند الأستاذ الملا عبد الرحمن المشهور بالتيلي صاحب «حاشية التركيب»، فقال له هذا الأستاذُ: إنّي أخافُ أن أسكنك هنا، فتقرأ، فإنَّك من تلامذة[1] الأستاذ الملا رسول، فقال: وما بالي، إنَّه أخرجني بضجرٍ وعنفٍ من عنده، فجئت. فبعد أيامٍ سمع الأستاذ الملا رسول أنَّه عند الملا عبد الرحمن في ملاكند ويقرأ عليه، فثار عليه ثورةُ الغضب، وركب حجرتَه الموسومةَ بهولى، وهجم عليهما في ملاكند، فلما رؤي من بعيدٍ قال الأستاذ الملا عبد الرحمن للأستاذ الشيخ خالد: فاختفِ أنت عنه، فلا يراك حتى نرى ماذا نفعل. فشيَّعه الأستاذُ الملا عبد الرحمن وطلبتُه، واستقبلوه تعظيماً له، فأنزلوه واحترموه كلَّ الاحترام، فبعد أن تكلَّموا وتحدَّثوا مقداراً؛ رجع على الملا بالكلام، وقال: سمعتُ أنَّك آويت تلميذي الملا خالد وتقرئه، هل بلغت تلك الدَّرجة والتَّجاوز عن الحدّ؟ فقال الملا عبد الرحمن بلطفٍ وكسرِ نفسٍ: فماذا أفعل يا أستاذ؟ إنَّك غضبتَ عليه وأخرجْتَه، فجاءني، فآويتُه، فقال: بل أنت تدَّعي مقاماً عالياً، فأتِ بـ«تفسير البيضاوي» أريك منه شيئاً أو مشكلاً، فإن أحللته؛ فذاك، وإلا؛ فكيف تليق لدرس تلميذي؟ فأراه عبارةً من البيضاويّ، فطالعها الملا عبد الرحمن، ودام على مطالعتها، فذهب الأستاذُ الملا رسول [١٨٩] إلى الوضوء، فدعا

(١) في متن (ب): تلاميذة. وفي حاشية (أ): تلاميذ، نسخة.

الملا عبد الرحمن الشيخ خالداً، وقال: إنَّك أوقعتني في ورطةٍ عظيمةٍ، فتعال وعاوِنّي لعلنا نخرج منها كفافاً، فحلَّاها وعَلِماها[1]، ثم اختفى الشيخُ خالد مرَّةً أخرى، وجاء الأستاذ الملا رسول، فأوضح الملا عبد الرحمن له معنى تلك العبارة، فقال الملا رسول: والقرآن الكريم معناها كذلك، وأُقسِم به إنَّك لم تعلم من عِندك، بل إنَّما قاله لك: إما حضرةُ الخضر ﷺ أو الملا خالد، فقال الملا عبد الرحمن: إنَّ الخَضِر لا يظهر لمثلنا، وأما الملا خالد؛ فيمكن، فقال الملا رسول: إنّي أذهبُ بتلميذي إليَّ، ولكن ما دمتُ حيّاً؛ فلا يُدَرِّس في المملكة المادّة الكبرى، وهي ما فوق «شرح الشمسية» غيري، فأرجعه إلى مدرسته.

والملا عبد الرحمن هذا كان من أكابر العلماء ومشاهير الفضلاء، وقد قرأ عليه أفاضلُ الكبراء، مثل: الأستاذ الأعظم الشيخ عبد الرحمن التاغي ﷺ حينما كان في قرية تيل، والشيخ الأكبر الشيخ فتح الله الورقانسيّ ﷺ، والحاج سليمان أفندي البتلسي ﷺ حينما كان في ملاكند، وأخذ عنه الإجازةَ العلميَّةَ والطَّريقةَ النَّقشبنديَّةَ عن الأستاذ الأعظم التاغي ﷺ، وقرأ عليه غيرُ هؤلاء الكرام من العلماء الأعلام جمعٌ كثيرٌ.

وكان الملا عبد الرحمن هذا قد ذهب إلى الغوث الأعظم الهيزانيّ ﷺ، فقال الغوثُ ﷺ: جئتَ بالخير والسَّلامة، ولكن جئتَ بتأخيرٍ، إشارةً

(١) قوله: (وعلماها) سقط في (ب).

إلى عدم طول البقاء كفاية قضاء الحاجة.

وكان محبّاً شقيقاً للأستاذ الأعظم (قدس سره)، وكان السببَ الأعظمَ لمجيء الأستاذ الأعظم إلى المملكة الروزكية، ولم يتمسك به (قدس سره)، ولكنَّ ابنيه الملا إبراهيم الجوقرشيّ والملا خليل خليفتان للأستاذ الأعظم قدّس الله أسرارَهم العَلِيَّة، وكذا إخوة الشيخ عبد القادر الهزانيّ خليفةٌ للأستاذ الأعظم (قدس سره).

وتوفي الملا عبد الرحمن هذا في ملاكند سنة (١٢٨٩) أي: مائتين وتسع وثمانين بعد الألف الهجري، ودفن فيها، وهو ابنُ الملا عبد الله الفاروقيّ الشمرشيخيّ[1] من خلفاء مولانا خالد (قدس سره)، ومن أقارب الأستاذ الملا خليل الأسعرديّ، وافترقا حينما خرجا من هيزان، فذهب الأستاذُ إلى أسعرد، والملا عبد الله هذا إلى شمرشيخ[2]، [١٩٠] وتوفي هنالك سنة (١٢٧٠) أي: مائتين وسبعين بعد الألف الهجريّ، ولم نُحِطْ خُبْراً بأحوالهم السَّنِيَّة حتى نذكرها تفصيلاً، أعلى الله درجاتهم، وتجاوز عن تبعاتهم، وحشرنا معهم ومع ساداتهم.

وكان لهم أولادٌ وأحفادٌ علماءُ فضلاءُ، سبق ذكرُهم في «بِركَة الكلمات»، رحمهم الله رحمةً واسعةً، وأعلاهم رتبةً شاسعةً، فلا نعيده هنا.

فلنَعُدْ إلى ذكر أحوال الملا رسول (قدس سره).

(١) في (ب): (السمرشيخي).

(٢) في (ب): (سمرشيخ).

وكان راح مرَّةً إلى أرضروم، ولكثرة احترام العلماء إذا عند رجال الدولة والضُّبّاط ووجوه الناس خصوصاً في مثل بلدة أرضروم؛ ذهب إلى ضيافة والي البلدة، وكان إذا بُسِط المائدةُ بدأ الأستاذُ بها، ثم أمر الوالي، وبعد ذلك قال الخادم: أيها الأستاذ، إنَّ الأمرَ بالمجيء على المائدة وبالبدء بالأكل حقُّ الوالي، فإنَّ البيتَ بيتُه، والضِّيفان ضِيفَانُه.

ففي اليوم التالي توقَّفَ الأستاذُ عن البدء والأمر، فانتظر الوالي بَدْءَ الأستاذ، وقال: أيُّها الأستاذ، لِمَه لا تأمرنا؟ قال: الأمرُ حقُّك، فقال الوالي: إذا كان مثلُك[1] حاضراً؛ لا حقَّ في الإذن لأحدٍ، فقال الأستاذ: وإنّي كنتُ علمتُ ذلك، ولكن غرَّني هذا الأحمقُ، وأشار إلى الخادم.

واجتمع عند هذا الأستاذ هنالك جمعٌ من رؤساء الدَّولة الذين لهم علمٌ بالهندسة، فتكلَّموا فيها، وتكلَّم الأستاذُ أيضاً فيها، فقالوا: هل يعلم علماءُ الدِّين من الهندسة؟ فقال الأستاذ: يعلَمها حقَّ العلم العلماء الدِّينيَّة، وكان هنالك بمقابلتهم شجرةُ بانٍ عاليةٌ، وقال: إن كنتم تدَّعون معرفةَ علم الهندسة؛ فقيسوا هذه الشَّجرة كم ذراعٍ أو باعٍ هي؟ فقالوا: يلزم لذلك آلاتُ علم القَيس، فقام الأستاذُ إليها، ونظر من رأسها إلى ساقها وقاسها وظلّها، وقال: هكذا ذراعاً وباعاً وقدماً وشعيرةً، فتعجَّبوا من بلاغه إلى الدَّرجة العليا في الهندسة، كما في العلوم الدينيَّة.

(١) مثل الأستاذ، نسخة.

[مبحث بيان ذهاب الأستاذ والملَّا رسول بعد أن سقط عن قوته إلى إستانبول وما وقع بينه وبين السُّلطان][(١)]

فبعد أن شاخ وسقطَتْ قُوَّتُهُ للتَّدريس؛ قصد دار السّلطنة إستانبول ليُجرِي السُّلطانُ عليه جِرايةً تكفيه ارتزاقاً ومصاريفَ مما لا بُدَّ منه، فوصلها، وأراد أن يدخل على السُّلطان، وهو السلطان عبد المجيد، وكلما قرب من دار سريره؛ [١٩١] منعه الحُرَّاسُ والحجَّابُ، وقالوا: الدُّخولُ على السُّلطان هكذا ممنوعٌ لا سبيلَ إليه، ودام على ذلك التَّردُّد والمنع نحو شهرٍ، بل أزيدَ.

ويوماً رأى أنَّ الناس يعملون في مقبرةٍ قريبةٍ من سرير السُّلطان، فذهب إليهم، وسأل عنهم: ماذا تفعلون؟ قالوا: نُصلح قبرَ أبي السُّلطان، فقال: دعُوا تعميرَ قبرَ هذا الخبيث، وكان السُّلطانُ حاضراً، فسمع مقالته، وكان في زيِّ العلماء وشيخاً همّاً، فقال له بلطفٍ: لمه قلت كذلك؟ فقال الأستاذ: لو لم يكن خبيثاً؛ لم يولد مثل هذا الخبيث سلطاننا الآن؛ فقال: لمَ تضجَّرْتَ هكذا عنه؟ فقال: لأنَّه يلزم أن يكون أبوابُ السَّلاطين مفتوحةً أمام كلِّ أحدٍ، فيذهب إليهم كلُّ أحدٍ، ويوضحوا لهم شكواهم، ويطلبوا منهم حاجاتهم، ولي حاجةٌ كبيرةٌ معه، وكلما أقصده منعني الحُرَّاس، ولا

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

يُخَلُّونني أذهب إليه، فقال له السُّلطانُ: لا تحمل على قلبك همّاً، فإنَّ السُّلطانَ كما يكون أحِبَّاؤه كثيرين؛ كذلك أعداؤه كثيرون، فهو مجبورٌ لاتِّخاذ الحُرَّاس والحجَّاب، وإنِّي أوصلك إليه إن شاء الله تعالى، وعرِّفْني اسم الفندق الذي أنت فيه، فعَرَّفَه له، فسأله: ما اسمُك؟ فقال: مجيد، فقال الأستاذ: يرضى الله عنك يا مجيد أفندي.

فبعد ذلك أرسل السُّلطانُ خادمَه، وقال: اذهب إلى الفندق الفلانيِّ، وفيه عالمٌ موشيٌّ، فجئ به إليَّ، فذهب، وقال له: تهيَّأْ وقم نذهب إلى السلطان، فقال الأستاذ ﷺ: هل هناك أفندينا مجيد أفندي أم لا؟ فقال الخادمُ: أنا لا أعرفه، فلما ذهب ودخل المقامَ؛ رأى مجيد أفنديَه جالساً على تخت السَّلطنة العظمى، فسلَّم عليه، وانخجل مما ذكرنا عنهما آنفاً، فرحم به السلطان، وقال: تكلَّم يا أستاذ الآن كما تكلَّمت أولاً، فلا عَتبَ ولا ملامَ عليك، وأنت كما تشتهي نفسك، فتكلَّما وتحادثا، ثم جاء الأستاذُ على عرض حاجته، وعرضَهَا عليه، وقال: كنتُ قبلُ مدرِّساً وإماماً، وأسكن قريةً وأُدرِّس الفقهاءَ، ويرسل اللهُ إليَّ سدَّ جوعتي وكفايةَ حاجتي، وأما الآن؛ فشِخْتُ وهرمتُ، ولم يَبْقَ لي قدرةٌ على التَّدريس أو الإمامة، ولا صَبْرَ ولا طاقةَ لي على الفاقة، وتعلمون أنَّ للعلماء حقّاً في بيت المال، فأطلب أن تُعيِّنَ [١٩٢] لي مقداراً يكفيني، فأقعد في زاويةٍ، وأرتزقُ من ذلك المكفى ما حييت، فأخذ السُّلطان بيده القلمَ، وقال: أكتب لك أن تأخذ في كلِّ شهرٍ مائةَ دينارٍ، فقال: لا، إنَّه كثيرٌ، وقال وقال، إلى أن أتى السُّلطانُ على عشرة دنانير،

فقال الأستاذ: لا، وما أفعل بها؟ بل يكفيني خمسةُ دنانير، فاتفقا على ذلك، فقال السُّلطان: أجعلها راتبةً على ذريتك وأقاربك من بعد موتك، فقال الأستاذ: لا، بل تنقطع من بعد موتي، فقال السُّلطان: من أيِّ بيتٍ تأخذه: من بيت الأوقاف أو العسكريَّة أو العمال؟ فقال: بل من جزية أهل الذِّمَّة في بلدة موش وما حولها، فإنَّها من أحلّ المصاريف.

وفي أثناء تلك المحاورة أخرج السُّلطانُ حقةَ الأنفية، واستنشقها في أنفه، وأشار إلى الخادم أن أكرمها إلى الأستاذ، فأعطاه إياها، وأخذ منها كفايته، فأشار إلى الخادم ليعيدها إلى السُّلطان، فأشار الخادمُ أنَّ تلك هديةٌ من السُّلطان إليك، وكانت ذات قيمةٍ - أي: غالية القيمة -، فأعاد الأستاذُ اقتراحَه للخادم، وقال: هل أنت وكيلُ السُّلطان؟ فلما سمع كلامهما قال للأستاذ: إنَّها لك، فإنَّ من عادة السَّلاطين إذا أعطوا أحداً شيئاً أن لا يستردُّوه ولا يأخذوه[1].

فرجع الأستاذُ ﷺ من إستانبول إلى موش، وباع الحقَّة بمائة دينارٍ، وأخذ معاشه على طِبق القرار السَّابق إلى أن تُوفِّي فيها، وكان من المغفورين، ودُفِن في صحن صُفة مسجد علاء الدين بك التي[2] في وسط سوق البلدة، وكانت وفاته رحمه الله رحمة واسعة في سنة (١٨٢٩) أي: ثمانمائة وتسع وعشرين بعد الألف بالحساب الميلادي، كما كُتب على لوح

(١) في (ب): (ولا يأخذه).

(٢) الذي، خ.

مَرْقده، ويكون بالحساب الهجري في سنة (١٢٥٠) أي: مائتين وخمسين بعد الألف.

ثم رأينا بخطّ الشيخ عبد القهار الزوقيديّ حفيد الملا خليل الأسعرديّ ﷺ: أنَّ وفاةَ الأستاذ الملا رسول كان سنة (١٢٨٣) أي: مائتين وثلاث وثمانين بعد الألف، ولعلَّ هذا هو الصَّواب.

أيُّها الإخوان، اعلموا - وأظنُّكم تعلمون - أنَّ السَّلاطينَ والحكماءَ والأمراءَ السَّالفينَ كانوا كذلك، فجعلهم الله ظِلًّا ظَليلاً على عباده، فعاش في ظِلِّهم النَّاسُ على حسب طبقاتهم، وأنَّ العلماءَ العلماءَ الفُضَلاءَ الفُضَلاءَ السابقين كانوا كما ذكرنا، فجعلهم الله وَرَثَةَ الأنبياء، وملأَ قلوبهم من نور معرفته، وصدورُهم مشحونةٌ بأنواع الرَّأفة والرَّحمة بالعباد، فليقتدِ كلُّ قسمٍ بزميله، فيرجو من الله الكريم الإصلاح والصَّلاح وتنالوا[1] الفلاح.

** ** **

(١) في (ب): (وينالوا).

[مبحث ومنهم ـ أي: العلماء[1] النّاقدين المتبحّرين ـ الأستاذ الملّا سعيد النُّورسي المعهود[2] بديع الزّمان ﷺ][3]

[١٩٣] ومنهم الأستاذُ الملّا سعيد النُورْسيّ، الشّهير ببديع الزّمان، عليه شآبيبُ الرّحمة والرِّضوان، وهو ابنُ صوفي ميرزا النُورْسيّ السّبايرقيّ الهيزانيُّ، وله إخوةٌ، أكبرهم الملّا عبد الله، ثُمَّ الأستاذ بديع الزمان، ثمَّ الملّا عبد المجيد، وهؤلاء الثّلاثةُ من الطَّبقات العليا في العلوم، ثمَّ الملّا محمَّد.

وكان علمُ الأستاذ بديع الزّمان وهبيّاً من الله الكريم لا تحصيليّاً، وقرأ هو وأخوه الكبير الملّا عبد الله في المدارس الدِّينيَّة عند كثيرٍ من العلماء، وبرعا وفاقا الأقرانَ تفوُّقاً باهراً ظاهراً، وبالآخرة قرأ الملّا عبد الله في بلدة بتليس في مدرسة الشيخ الأكبر الشيخ فتح الله الفاروقيّ الورقانسيّ ﷺ، وأجازه الشيخُ إجازةً علميَّةً، وإجازتُه كانت أوَّل إجازةٍ مِنَ الشيخ الأكبر ﷺ في بلدة بتليس، سوى إجازاته في أماكن أخرى قبلُ، فأراد الشيخُ ﷺ أن يقرأ إجازته في مسجد محلَّة مرمود[4] القريب من بيته، فادَّعى الأتباعُ أن تُقرَأ

(١) في (ب): (ومن العلماء).

(٢) في (ب): (المشهور).

(٣) ما بين معقوفتين من (ب).

(٤) في (ب): (مرمودى).

على رؤوس النّاس في المسجد الكبير وسط السوق ليشهدها العامَّةُ والخاصَّةُ، حتى رجَوا من الوالي أن يعينهم في ذلك الغرض، فأعانهم الوالي، وكان مُحِبّاً للشّيخ ﷺ، فرضي الشيخُ، واتّفق هو والوالي على ذلك، فجلس الشيخُ في صدر المجلس في يمين المحراب، وفي جنبه حضرةُ الشيخ محمد ضياء الدين، وفي يسار المحراب الشيخ أمين أفندي، وتحته الشيخ عبد الباقي بن الشيخ محمد الكُفروي ﷺ، وجلس الوالي والضُّبّاطُ والأمراءُ تحت الفريقين، وغصَّ المسجدُ بالمستمعين، ولم يَبْقَ لهم مكانٌ، حتى ارتفعوا على سقوف الدّكاكين، وملؤوا الأزقَّة والسُّوق.

** ** **

[مبحث بيان إجازة أخي بديع الزّمان الملّا عبد الله رحمه الله من الشَّيخ الأكبر في بتليس، وذكر إخوته رحمهم الله[1]][2]

فلمَّا تمَّ قراءةُ الإجازة؛ أرادوا أن يُلْبسوه الجبَّةَ، وكانت ثلاثـاً: واحدةً من الشَّيخ الأكبر قدس سره، وأخرى من الوالي، وأخرى من رئيس العسكرية ـ أي: قمندار[3] ـ، أردوا أن يلبسوه أوّلاً جبَّةَ أستاذه الشيخ قدس سره، قال الشيخُ: بل ألبِسوه جبَّةَ الوالي، فألبسوه إياها، ثمَّ قال الشيخُ قدس سره: إنِّي لا أقرأ إجازةَ أحدٍ هنا، فإنَّه يُشَمُّ منه رائحةُ الشُّهرة، وهي لنا سمٌّ مُذَفَّفٌ.

وله[4] تأليفاتٌ كثيرةٌ، وليس في أيدينا سوى «شرح المعفوات» للملّا خليل، وكان رحمه الله عالمـاً شرعيّاً جامعـاً للفتاوى الفقهيَّة.

وكان الأستاذُ بديعُ الزَّمان عليه الرَّحمةُ والرضوانُ بعد أن افترق [١٩٤] عن أخيه الملّا عبد الله رحمة الله عليهما ذهب إلى دُوغُو بايزيد، وقرأ هناك، ولم نعلم ماذا فعل، وعلى مَنْ قرأ، ثم رأينا أنَّه قرأ عند الشيخ محمد الجلاليّ، واستبطأ هنالك بُرهةً من الزَّمان، ثمَّ مال إلى الأوطان، ورجع إلى

(١) قوله: (في بتليس وذكر أخوته رحمهم الله) سقط في (ب). وفي (ب): الشيخ الأكبر قدّس سرُّهم.

(٢) ما بين معقوفتين من (ب).

(٣) في (ب): (قمندان).

(٤) في حاشية (ب): (أي: الملا عبد الله).

بتليس، فرآها ممتلئةً من العلوم ورجالها، وقد عُمِرتْ بأهلها، وليست البتليس كما رآها قبلُ.

وكان هو رحمه الله ممتلئـاً من العلوم اللَّدنيَّة، بحيث تنفجرُ من جوانبه، وكان يبيت في بيت الشيخ أمين أفندي رحمه الله، ولكن يطوفُ على العلماء والفضلاء، سيَّما حضرة الشيخ الأكبر الشيخ فتح الله قدس سره، وكان سكنُه بالنّهار أكثرَ في مدرسته قدس سره، وفي بعض الأوقات يكون ضيفـاً للوالي.

وقال يومـاً: إنّي أحفظُ للأسد ثلاثمائة اسمٍ، وكان حافظـاً لـ«القاموس المحيط»، فسأله واحدٌ: هل تحفظُ الأسماء الحسنى؟ قال: لا والله. وكان إذا السّعيدَ الأوَّلَ، وفي زيِّ الآغاوات مُسَلَّحـاً مثلهم.

ونقل شيخنا الشيخ محمود القره كوي قدس سره عنه نفسِه أنَّه قال: كنت أمرُّ في طريقي يومـاً، فرآني الشَّيخُ الأكبرُ قدس سره، فدعاني إليه، فذهبت إليه، فقال: إنِّي أحبُّك كثيراً، وأنت ذو مكانةٍ حقّاً، ولكن أرى أن بعضَ حركاتك لا أحبُّها، ولا تليق بمثلك، فأوصيك أن تدوم على دعاءٍ، وهو: (اللهمَّ أرني الحقَّ حقّاً وارزقني اتّباعَه، وأرني الباطلَ باطلاً وارزقني اجتنابَه)، فداومْتُ عليه، وانتفعْتُ به كثيراً، ثمَّ قصد بلدة وان، وفتح فيها مدرسةً كبيرةً، ودام فيها إلى بدء الحرب العموميَّة الدُّوليَّة مع العدوّ الغاشم الرُّوس، كسرهم الله وأفنى قوَّتهم، ولا جعل لهم بعدُ سبيلاً على المسلمين، وانتقل من وان إلى بتليس.

وأما استقصاءُ أحواله رحمه الله؛ فإنَّها مكتوبةٌ، فلا حاجة إلى أن نذكرها.

مبحث جرح بديع الزّمان في بتليس نتيجة محاربة الرُّوس وأخذه ﵁ أسيراً إلى بلدان الرُّوس[١]

وكان ﵁ في تلك المحاربة في بتليس مع تلميذين له، فجرح في القتال، وأُخِذَ أسيراً، وأرسل إلى قَعر بلاد العدوّ، إلى بلدةٍ اسمها قوصْتَرا، وبقي هنالك زمناً بلبس الأسارى، وفي جمعهم إذ طلع على الجمع رجلٌ ينادي: من الملّا سعيد الكرديّ؟ فأسرع إليه مجيباً: ها هو أنا، فقال الرجلُ له: لنذهب إلى خربةٍ قريبةٍ من هنالك، والبسْ أنت لبسي، وألبسُ أنا لبسك، واذهب خلف الحمار، فإنَّه يُوصِلُك إلى بيتي، وإنِّي أَخلص إليك بأيِّ حيلةٍ كانت إن شاء الله تعالى، ففعل الأستاذُ ﵁ [١٩٥] ما أمره به، فوصل إلى بيته، ووصل الرجلُ وقت المساء، فتحاورا، وسأل[٢] الأستاذ ﵁: كيف عَرَفْتَني؟ وكيف كان هذا؟ فأجابه: بأنَّ لي شيخاً هو أمرني بأن أذهب بك إليه.

وقال الأستاذ: استرحتُ في بيته أياماً، وتنظَّفْتُ عنده، فقال لي الرَّجُلُ: إنَّ شيخي مُتَنسِّكٌ في كهفٍ بالجبل الفلانيّ لا مالَ ولا أهلَ له، وله بقرةٌ يحلبُها كلَّ ليلةٍ، ويشربُ من لبنها، ويتركها، فترعى حول كهفه، وتعود وقت الحلب إلى باب الكهف بنفسها، وهكذا، فأوصلك إليه.

(١) هنا انتهت النسخة (ب).

(٢) في (ب): (فسأل).

وقال الأستاذ ﵁: لَمَّا رأيتُه رأيتُه حقّاً كما وصف، بل أعلى، ويُمِرُّ وقته في العبادات والمراقبات، وغافلاً عن المستلذَّات الدُّنيويَّة[١]، وسألني [عن][٢] أحوال المملكة، فبيَّنْتُها له، وسأل عن المشايخ في المملكة، وذكرتُ له بعضَ المشائخ الكبار فيها من الماضين ﵃، وقلت: الشيخُ الكبيرُ الآن حيٌّ[٣] في المملكة، هو الشيخُ محمد ضياء الدين المُلقّب بحضرة ﵃، فلما تكلَّمتُ عن الحضرة ﵃؛ رأيت إذا هو أعرف به منِّي، فبقيتُ عنده بُرهةً من الزّمان، ويجيء لي الرَّجلُ المذكورُ بالخبز من بيته، وكنت متأدِّباً بآدابه، وممتثلاً[٤] بأوامره ونواهيه، وانتفعتُ به كثيراً، وتشرَّفتُ به مرتوياً من فيوضاته إلى ما شاء الله.

فسألني يوماً: هل ترغبُ في الذَّهاب إلى المملكة؟ فقلت: نعم، فقال للرجل الصوفيّ السّفير بيني وبينه: هاك سلِّمه إلى فلانٍ، وهو إلى فلانٍ، وهكذا إلى قريبٍ من حدود ألمانيا، فليسلِّمْه إليهم، فإنَّهم متَّفقون مع التركية في تلك المحاربة، فقمتُ وقبَّلتُ يده المباركة، واستودَعْتُه واستدعَيْتُه، وتزوَّدتُ من أدعيته المباركة الميمونة الميمونة، فخرجتُ من عنده سعيداً جديداً والحمد لله، كما كنت دخلتُ عليه سعيداً قديماً.

(١) في حاشية (أ): عن الدنيا ومستلذاتها، خ.

(٢) ما بين معقوفتين من (ب).

(٣) في (أ) و(ب): (حيّاً)، والصواب ما أثبتناه.

(٤) في (ب): (متمثلاً).

فسُلِّمْتُ ـ كما أمر ﷺ ـ إلى ذا وذا إلى ذا، وهكذا إلى أن وصلتُ إلى ألمانيا، فأرسلوني إلى مركز كرسي السَّلطنة الإسلاميّة إستانبول، فبعد الخلاص من الأسر سكنتُ[1] في بلدة وان.

وكان الأستاذُ ﷺ قبل المحاربة الكبرى والملحمة العظمى يطلب من سلطان الوقت أن يعاونَه في فتح مدرسةٍ كبيرةٍ موسومةٍ بجامعة الزَّهراء كالجامع الأزهر في مصر القاهرة، [١٩٦] ففاجأ الزَّمانَ الدَّاهيةُ ـ أي: الحرب العموميّ ـ، فبعد أنْ رجع من الأسر وكان قد أُلغيت السَّلطنةُ، ورفع على العرش الحكومةُ التُّركيّةُ الجمهوريَّةُ؛ فكرَّر[2] الأستاذُ ﷺ دعواه الأوَّل، فقرَّرَتْها له الجمهوريّةُ، وكلَّفت أموراً مخالفةً للمقاصد الإسلاميَّة، وحقائق الدِّين القويم، فترك ما كان يرومُه، ورجع فارّاً من تلك التَّكاليف إلى بلدة وان. والتَّفصيلُ يُطلبُ من كتبه في ترجمة حياته.

وقال الملَّا زين العابدين بن المفتي الحاج الملَّا عمر أفندي الواني من بنت الشيخ الأكبر الشيخ فتح الله ﷺ: إنَّ الأستاذَ كان بعد أن رجع من إستانبول يسكن في حجرةٍ متَّصلةٍ بجامعته محلَّة النورشينيّة في بلدة وان، وكان حوالي الجامع بساتينُ وأشجارٌ مثمرةٌ، وأخذها أبي بالإجارة، ونحن نتعهَّدُها ونسكن فيها ليلاً ونهاراً، وننتفع من الأستاذ بصحباته، وفضل رؤيته ونصائحه، وحلّ المشكلات لنا كائنةً ما كانت.

(١) اخترت السكون في آه، نسخة.

(٢) في حاشية (أ): كرَّر، نسخة.

وكان يخرج بعد ارتفاع الشَّمْس من مخدعه ويجيء إلينا، ويقول: يا ملَّا عابدين، انظر إلى الفواكه وما يؤكل من الثَّمرات، أيَّتها أتمّ[1] أذكارها فائت بها نأكلها، ونأكل نحن معه ﷺ.

وقال لي ذاتَ يومٍ: قل لأمّك بنت الشيخ الأكبر ﷺ فلتَدْعُ لي، وقلت: نحن وأمُّنا نطلب الدُّعاءَ منك، فقال له: إنَّ أوَّل سبب انتباهي من داهية الغفلة كان أباها، وهذه على كلِّ حالٍ بنتُه، وإنَّما تنفعني أدعيَتُها.

وقال الملَّا عابدين أيضاً: ذهبتُ إليه أستودعُه لأزور خالي الشيخ محمد علاء الدين ﷺ في قرية أوخين المحروسة، فقال لي: بَلِّغْ إليه سلامي واحتراماتي، وقل له: إنَّ محبَّتي له كان قبلُ بالأواق، وصار الآن ـ أي: بعد وفاة الحضرة ﷺ ـ بالأرطال، وإنَّه مُستحقٌّ لمنتخبات الهدايا، والآن نهدي له رسالاتٍ من رسائلنا النُّوريَّة، وأرسَلَها له ﷺ.

ودام الأستاذُ على هذه الحالة المستطابة في بلدة وان إلى أن غَرَّبَ ونَفَى الحكومةُ رؤساءَ المملكة ومشائخَها وعلمائَها، فنفاه معهم إلى طرف أناضولي، وبعد سنتين عُفي المحكومون عليهم بالتَّغريب، إلَّا الأستاذ ﷺ، فإنَّه لم يستفدْ من ذلك العفو بسبب أنَّه لم يُطاوِع القانونَ لا بظاهره ولا بباطنه، فبقي في أناضولي، ودام في تأليف [١٩٧] الرَّسائل في العقائد، ودعوة النَّاس إلى الله تعالى، فهدى الله به كثيراً من المسرفين على أنفسهم، وحُبِسَ

(١) في (ب): (أيها أتم).

مراراً في أثناء ذلك التَّغريب، ولم يسترحْ من الضَّغطة والتَّعجيز لحظةً، وفي أثناء تلك الضّغطة وأنواع التَّعذيب كان لا يَفْتُرُ ساعةً عن رشده وإرشاده، ولم يُبالِ بالأتعاب، ويَكثُرُ له يوماً فيوماً الأتباعُ، ويحصل به الانتفاعُ، وكم مرَّةٍ أشربوه السُّمَّ لإتلافه ﵀، وحماه الله تعالى من ضرره، وحفظه من شرّه.

والحاصلُ: إنَّه رضي الله تعالى عنه ورحمه ذاق مرارات الأتعاب في سبيل ترويج العقائد الإسلاميَّة، وتأييد شريعة نبيّه، حسبه الله له، وأعلى بذلك درجته، وأناله أعلى درجات العلماء الصُّلحاء الأولياء، وزادها قَدْرَ ذلك الأتعاب فأكثر.

وأمَّا أخوه الملَّا عبد المجيد ﵀؛ قد كان عالماً ذكيّاً ماهراً، وكان كلسانٍ للأستاذ ﵀، ويترجم كتبه التُّركيّة بالعربيّة وبالعكس لتعميم نفعها، ولا يتركُه أوَّلاً، ويخدمُه بنفسه لتأمين استراحته، ثمَّ تركه بعدُ لبعض الخدمات الضَّروريَّة، ولم يُحبسْ معه، وتوفِّي بعد وفاة الأستاذ في بلدة قونية، ودفن هنالك في المقابر القريبة من قبَّة مولانا جلال الدين الروميّ ﵀، ربِّ ارحمه رحمةً واسعةً، ووسِّع له القبرَ خلاف ما أمضاه في تعب الدُّنيا.

وأمَّا أخوه الملَّا محمد؛ فلم يتركْ مَسقِطَ رأسه قرية نورس حتى توفِّي فيها، وكان دون إخوته الثَّلاثة في العلم ﵀، ولا يحرمه من درجات إخوته، وحشره وإيَّانا معهم في زمرة العلماء الصُّلحاء.

ولم يَبْقَ من ذلك البيت العالي ذرِّيةٌ سوى ابنٍ للملَّا عبد المجيد ﵀،

وهو غائبٌ لا خَبرَ عنه، ولا يعلم أنَّه حيٌّ أم ميتٌ، أو له عقبٌ[1] أو[2] لا.

وكانت لهم أختٌ عالمةٌ صالحةٌ متزوِّجةٌ بالملَّا سعيد البسياريّ، فذهب بها زوجُها فارّاً من الحكومة إلى الشام المحروسة الشَّريفة، وتوفِّيا هنالك بلا عقبٍ.

وكان الأستاذُ بديعُ الزَّمان يقول: قد أحاطتْ بي الأنوارُ من كلِّ أطرافي وجوانبي، فإنَّ شيخي اسمُه السيد نور محمد بن الغوث الأعظم الهيزاني ﵀، [١٩٨] وأمِّي اسمُها نوريّة، وقريتي اسمها نورس.

وكانت ولادته سنة (١٢٩٣)، ووفاتُه قدس سرُّه ورحمه الله كان بعد أن ثَقُل عليه المرض، وقال: هَلُمُّوا بي إلى المملكة الشَّرقيَّة، فأتَوْا به إلى عُرْفا، وتوفي هنالك إلى رحمة الله تعالى، ودُفِن فيها ﵀ في سنة (١٣٧٩) أي: ثلاثمائةٍ وتسع وسبعين بعد الألف الهجري، وفي سنة (١٩٦٠) أي: تسعمائة وستين بعد الألف الميلادي، رحمة الله عليه.

اللهم اجمعْ بيننا وبينه على حوض نبيِّك، وأدخِلنا في ظلِّ الشَّافعين في ذلك من الأنبياء والأولياء والعلماء والصَّالحين، وعمِّم نفحاته علينا وعلى جميع طلَّابه ومنسوبيه، وعلى سائر المسلمين والمسلمات، برحمتك يا أرحم الرَّاحمين.

---

(١) ذرية، خ.

(٢) أم، خ.

[مبحث بيان إخراج جنازته من قبره، ثمَّ دفنه بموضعٍ مجهول، وطمّ قبره بحيث لا يُعرف أنَّه قبرٌ][1]

ونقل عن أخيه الملَّا عبد المجيد ﷺ: أنَّه لَمَّا مضى على دفنه زمنٌ؛ دعاني ضابطٌ من ضبَّاط العسكريَّة، فقال لي: اختم على هذه الورقة، فقرأتُها، فإذا هي مزوَّرةٌ عليَّ، وكتبوا على لساني أنِّي أطلبُ نقلَ جنازة أخي من عُرْفا، فقلتُ: هذه ليستْ منِّي، ولا أختمُ عليها، فقال لي: أنت مجبورٌ بالإمضاء والختم، وكانت الحكومةُ إذاً حكومة العُرفيَّة الغير القانونيّة وحكومة الإجبار، فختمتُ عليها.

وبعد كم يومٍ[2] ذهبتُ ليلةً لأنام إذا أنا بصوت صلصلة جرس[3] الاستفسار، فخرجتُ فإذا هم الضُبَّاطُ، وقالوا: تعال لك وظيفةٌ، فقلتُ: ألبسُ ثيابي، قالوا: نعم. فذهبت ولبستُ ثيابي، وجئتُ إليهم، فأركَبوني إلى مطار قونية، أركبوني طائرةً، وأتَوا بي إلى بلدةٍ مجهولةٍ لا أعرفها، ثمَّ أركبوني سيارةً عسكريَّة، وأتَوا بي إلى قبر أخي [الكريم][4] بديع الزَّمان، فعلمتُ

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) في (أ) و(ب): (أيام)، والصواب ما أثبتناه.

(٣) أي: الذيل على الأبواب للاستعلام.

(٤) ما بين معقوفتين من متن (ب)، وهي في حاشية (أ).

أنَّهم جاؤوا بي إلى عُرْفا، وكان حول القبر أمراءُ كثيرون من العسكريَّة، وقالوا: إنَّك طلبْتَ نقلَ أخيك من عُرْفا، فها أنَّا حفرنا وأزحنا التُّراب عنه، ولكن لم نرفع الأحجارَ، وننتظرك، فالآن حضرْتَ، ورفعوا الأحجارَ، وأخرجوا جنازةَ الأستاذ منه، ووضعوها في طائرةٍ، وطافوا بها كثيراً، ثمَّ نزلوا في مطارٍ مجهولٍ، ووضعوا الجنازةَ في سيَّارةٍ عسكريَّةٍ مبدلَةِ النّمْرة، وطافوا بها في أراضٍ كثيرةٍ حتَّى [١٩٩] أنزلوا الجنازةَ في أرضٍ ذات نباتٍ وخُضراواتٍ محفورٍ فيها قبرٌ وحوله عساكرُ كثيرةٌ، فأدخلوا الجنازةَ فيه، وسوَّوا ترابَها، وألقَوا عليها التُّرابَ بالخُضراواتِ، وأخفَوا القبرَ بحيث لا يعلم أحدٌ أنَّ هنالك قبراً، فسألتُ عن أحدٍ: ما هذا المكانُ؟ ومن أيِّ بلدةٍ؟ فقال: لا تسأل عنه، فإنَّ الحكومة أخفَتْه كيلا يعلم به أحدٌ، فلا سبيلَ لأحدٍ إلى الفحص عنه، أعلى الله درجته، وجعله ذُخرا للأمَّة المحمَّديَّة، ورفعه إلى أعلى مقامات العلماء والأولياء.

وقد حقَّق الله تعالى بذلك ما في بطاقة وصيَّته رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، حيث قال الشَّيخ محمَّد معشوق بن الشَّيخ معصوم حفيد الأستاذ الأعظم النورشينيّ ﷺ: زُرْتُ ذلك الأستاذ ﷺ مرَّة، واستبشر بي، وفرح كثيراً، فتحدَّثنا مقداراً، ثمَّ أخرج من تحت بساطه خريطةَ بطاقاتٍ، وأخرج منها بطاقةً، وقال: هذه وصاياتي، فقرأها عليَّ، فإذا فيها وصاياه، ومنها: أنَّه كتب فيها: لَيَكونَن قبري في موضعٍ لا يعلم به إلَّا الله تعالى، وقد كتب الطُّلابُ عليه تحشيَةً بأنَّ قبره

ﷺ لو كان بموضعٍ معروفٍ معلومٍ للنَّاس لِيَزُوروه ويقرؤوا عنده ويدعوا ويستدعوا؛ لكان أحسنَ وأَوْلى.

ولنختم الكلامَ على إحصاء علماء الشَّرق الأدنى؛ لأنَّ علمهم جميعاً أو تفصيلَ كلِّ أحوالِ كلِّهم ليس في حَوْزة اطِّلاعنا، ولا اطِّلاعِ أيِّ أحدٍ، كما نُقِل أنَّه سُئِل عن الأستاذ بديع الزَّمان من طرف طلَّابه وأتباعه في أناضول: هل كان[1] مثلُك عالمٌ في مملكة كُردِستان؟ فأجابهم[2] بأنّي أفصِّلُ لكم كيفيَّة علماء كردستان وكميَّتهم، فقيسوا فَهَاكُم، إنّ كردستان عبارةٌ عن عِدَّة بلدانٍ، وأصغرُ بلدانها بلدتنا بتليس، ولها من القضايا عِدَّةٌ، وأصغرُها قضاؤنا هيزان، ولهيزان عدَّة نواحي، وأصغرُها ناحيتنا سبايرت، ولها قرى عديدةٌ، وأصغرها قريتنا نُوْرس، وفيها بيوتٌ، وأصغرُها وأفقرُها [٢٠٠] بيتُنا، وفي بيتنا رجالٌ كُمَّلٌ أنا أدناهم. فليُقَسْ علماءُ كُردِستان على ما ذكرناه لكم.

فها نحن نقتدي بما اشتهر أنَّ رجلاً عالماً من[3] أهل مكَّة المكرَّمة أراد أن يكتبَ أسماءَ الأولياء الذين في الحرم المكِّيِّ، فذهب إلى السُّوق ليُهيِّئ القلمَ والقِرطاسَ وسائر ما يُحتاج إليه لذلك، فذهب إلى بائع الأقلام، واشترى قَلَماً، فقال بائعه ـ وقد ألهمه الله ما أراد ذلك العالمُ ـ: فما كتبتَ بهذا القلم؛ فاكتبني في عدادهم، وأنا فلانُ بن فلانٍ، فذهب إلى القِرطاسيِّ،

(١) يكون، خ.

(٢) في (ب): (فأجاب بأني).

(٣) في مكة، نسخة.

واشترى منه الكاغد، وقال له صاحبُ القِرطاس مثلَ صاحب القلم، وذهب إلى دكَّان الحبر، واشترى مَكْفيه، فقال له صاحبُ الحبر مثل الأوَّلَين، فعَلِم ذلك الرَّجلُ العالمُ أنَّ أهل مكَّة المكرمة كلّهم من الأولياء صاحب الكرامات الشَّاسعة، فقال: إذاً لا يلزم الكتابةُ، وأقول كلمةً[1] واحدةً هي: أنَّ كلّهم أولياءُ أتقياءُ.

ونحن لا نستطيع التَّطويلَ، وليس لنا علمٌ كافٍ في أحوال أولئك العلماء الكِرام حتَّى نفصِّلَ بالتَّمام، ولا نعلمُ أسماءَ جميعهم، وكانوا في مملكة كُردِستان كثيرين، ومقابرُهم مشحونةٌ وغاصَّةٌ بهم، كما أنَّ ساحةَ أراضيهم كذلك حتى الآن، والحمد لله على تلك النِّعمة الكبرى، جعلهم الله هداةَ النَّاس كما جعلهم ورثةَ أنبيائه ومن خُلَّص أصفيائه، ولكن أقول كما قال العالم المكيّ في حقّ أهلها: أي: كلُّهم أولياءُ أتقياءُ أصفياءُ، أعلى الله درجاتهم، وأفاض على الأنام بركاتهم، ولا يحرمنا من فيوضاتهم، وتقبَّل اللهُ منهم شفاعاتهم لأمّة [سيِّدنا] محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ولا يقطع[2] دابِرهم من المملكة إلى دوام الدُّنيا وآخرِ الحين، ربَّ العالمين.

تمَّ الكلامُ فيما هو المرامُ.

** ** **

(١) في (ب): (كليمةً).

(٢) ينقطع، نسخة.

[مبحث مكتوب أرسله شيخنا الأجلُّ الشَّيخ محمَّد علاء الدِّين إلى الشَّيخ محمود الذوقيديّ قُدِّسَ سِرُّهُمَا][1]

[٢٠١] صورةُ مكتوبٍ أرسله المولى محيِّي الدِّين الشَّيخ محمَّد علاء الدِّين بن شيخنا الشَّيخ فتح الله للمولى الودود[2] الشَّيخ محمود بن الشَّيخ عبد القهَّار قُدِّسَ سِرُّهُمْ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بمناسبة تعزية خالته المرحومة الشَّريفة البدوية (زكية):

إلى قدوة العلماء، وناظورة الفضلاء، وغطريف المتأخِّرين، ومذكِّر المتقدِّمين، أعنِّي به: الخِلَّ الودودَ، الشَّيخ محمود، لا زال محموداً، آمين.

نحمد الله، اللهم الحمدُ من آلائك، ونصلِّي ونسلِّم على أشرف رسلك وخاتم أنبيائك، سيِّدنا محمَّدٍ وآله وصحبه صلاةً وسلاماً نُعِدُّهُمَا للقائك.

وبعدُ: فنُهديكم بأزكى السَّلام، ونخصُّكم بالتحيَّة والإكرام، وأقبِّلُ أيديكم مع الاحترام، وأستدعي منكم مدى الليالي والأيام، وأدعوا لدوام عافيتكم مع أهل البيت والأنجال الكرام، حفظكم الله سبحانه وتعالى من طوارق اللِّئام، إنَّه خيرُ كريمٍ، وأرحمُ رحيمٍ.

---

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) في (ب): (المودود).

وبعد ذا: قد قرع سَمْع الفقيرَ وفاةُ الخالة الشَّريفة، وانتقالُها من دار الفناء إلى دار البقاء، فبلغ تأثُّرنا إلى ما يكلُّ القلمُ عن العنونة به، واللِّسانُ عن التَّفوُّه به، ولكنَّها شيءٌ يجب الإذعانُ ومَدُّ العنق لربِّ العزَّة عند نزولها، وليس من وظيفة مثلي أن أزيد على هذا لمثلكم، بل هذا أيضاً خروجٌ عن الطَّور، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

فحمداً لمن جعلنا ممتازين من بين سائر الأمم بهذه الكلمة[1] الطَّيبة بتبشير قائلها عند إصابة مصيبةٍ بنزول صلواتٍ ورحمةٍ من ربِّهم[2]، وحَصَرَ الاهتداءَ فيهم النَّبيُّ الكريمُ عليه وآله وصحبه أفضل الصَّلاة وأتمّ التَّسليم، وناهيكم به مبشِّراً. فنعزِّيكم ـ وأنا شريككم في هذه المصيبة ـ بأنَّ في الله سبحانه عزاءً من كلِّ مصيبةٍ، وخلفاً من كلِّ هالكٍ، ودركاً من كلِّ فائتٍ، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإنَّ المصاب مَنْ حُرِم الثواب، أعظم الله أجركم، وأحسن عزاءكم، وغفر لمرحومتكم، ونعزِّي نجلَيها ومنْ يُنسب إليها، [٢٠٢] وهي شريكةٌ في كلِّ ما أقرأ.

والأولاد مظهر وخالد وعاصم يقبِّلون رجليكم وأيدي الأنجال الكرام، ونسلِّم أيضاً عليهم، ونستدعي منهم، وندعو لهم، ونستدعي من

---

(١) في (ب): (الكليمة).

(٢) في هامش (أ) و(ب): (هذا تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾).

جميع أهل البيت، وكذا أهل البيت.

وفي هذه الأيام نسمع أشياءَ موجبةً للمرق، فهل هو كذلك هنالك أم لا؟ ولا يبقَ قلبكم على جنيد، بل كونوا في اطمئنان القلب من طرفه، فإنَّه عندي أرقى من جميع أولادي، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

✍ المستدعي: محمَّد علاء الدِّين

** ** **

[مبحث مكتوبان أرسلهما حضرة السَّيِّد طه إلى الغوث السَّيِّد صبغة الله قدس سرهما](1)

هذا مكتوبٌ أرسله حضرة الشَّيخ السَّيِّد طه إلى حضرة الغوث الأعظم، والقطب الأفخم، الشَّيخ السَّيِّد صِبغة الله قَدَّسَ اللهُ أَسْرَارَهُمَا(2)، وأفاض الله علينا كما أفاض على العالمين برّهما وأنوارَهما، آمين.

جناب مستغنى الألقاب أفاضتْ وأفادتْ، ومشيخة مآب جناب الملا صبغة الله سلام خوان ودعارِ سانيم، بس أز شرح دعا شهود ميكرد دكه مراسله شما ارسال داشته رسيد موجب فرحة كشت لله سبحانه الحمد والمنة كه محبة فقرا سَر مئة سعادة دنيوية وأخروية است رسوخ تمام دارد وتمادى أيام مفارقة تاثيري دران نكرده دوجيزرا محافظة لازمست.

اتباع صاحب شريعة عليه وعلى آله [وصحبه](3) الصلاة والسلام والتحية ومحبة وإخلاص باشيخ مقتداى بااين دوجيز هرجه دهند نعمتي است.

واكرجيزي ندهندواين دوجيز راسخ باشند غم نيست آخر خواهند

---

(1) ما بين معقوفتين من (ب).

(2) في (ب): (قدِّس سرُّهما).

(3) ما بين معقوفتين من (ب).

داد واكر عياذا بالله سبحانه دريكي أزين دوجيز خلل رفت مع ذلك أحوال وأذواق بحال خوداست آنرا استدراج بايد دانست وخرابي خود بايد انكاشق طريق استقامة انيست والله سبحانه الموفق.

وثانيا اكر أحوال داعي سؤال نما يند الحمد لواهب العطايا، والشكر لدافع البلايا، سلامتي بكام دوستانست وسفارش كرده كه برادر زاده أم خواهد كه باين مسكين باجند لسان ديكربه استانه بيايند اجازة هست ديانه خوب بخسر بيايند بشرطي كه خود راعاجز ننمايندكه جناب شُمَا باز بأمامي مابي[1] بيايند هرجند خاطر ايشان خواست بنشنيد وهروقتي كه خاطر ايشان بازبروند بازبروَند[2] والسلام والدعاء.

✍ أضعف العباد: السيد طه الخالدي النقشبندي

** ** **

(١) في متن (ب): بإمامي بيابي. وفي حاشية (ب): بانامي يابي، خ.

(٢) في (ب): (بازبروند بازرون).

[مبحث مكتوبان أرسلهما حضرة السَّيِّد طه إلى الغوث السَّيِّد صبغة الله قدس سرهما][1]

[٢٠٣] هذا مكتوبٌ أرسله حضرةُ مولانا الشَّيخ السَّيِّد طه أيضـًا للغوث الأعظم الشَّيخ السَّيِّد صِبغة الله قدَّس الله أَسْرَارَهُمَا وَأَرْوَانَا مِنْ بِحَارِ أَنْوَارِهِمَا آمين.

جناب مستغنَى الألقاب سلام خوان ودعا برساينم وبحافظ حقيقي وبهِمَم بيران كرام مي سباريم بعد الدعا مشهود ميكردد كه[2] زيب مراسلة شما ببال آوري أين داعي بصحابة صوفي على إرسال بود وشافي مقصود بداعي رسيد مضمون مورة نمونش معلوم ومفهوم خاطر ايشان كرديد وجون مشهود برصحة وسلامة ذات خجسته صفات بحق موجب فرحة[3] كشته ودرهمه خصوص درنامه ملانا صرنوشته وصوفي على باخبر مقصود تقريرش اعتبار نُماي وسلام ودعاي بي حد وغاية بر جناب ملا جلال باشد وجون إمسال مسموع داعي شده كه تجاوز از امرش نمي نمايد هميشة دعاي داعي شامل خود راند بشرط كه بخواند بايد نجاتي وإلا موجب تكدُّر

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) في (ب): (مي كودد كه).

(٣) في (ب): (فرهة).

خاطر داعي كرد. باقي السلام عليكم وعلى من اتبع[1] لديكم من الإخوان.

✍ أضعف العباد: السيد طه الخالدي النقشبندي

** ** **

(١) في (أ) و(ب) فوق كلمة (اتبع) نسخة.

[مبحث مكتوب أرسله حضرة الشَّيخ خالد الأولكي إلى الأستاذ الشَّيخ عبد الرَّحمن التَّاغي قدس سرهما][1]

هذا مكتوبٌ أرسله حضرة الشَّيخ خالد الأُولكي العُمريّ النَّقشبنديّ إلى حضرة الأستاذ الأعظم الشَّيخ عبد الرَّحمن التَّاغي قدَّس الله أَسْرَارَهُمَا، آمين[2].

إلى ذي الفضيلة، الجناب المولويُّ، والأخ المعنويُّ، الملَّا عبد الرَّحمن أدام رشدهٗ وتقاه، آمين.

وصل الفقيرَ المكتوبُ المرغوبُ المصحوبُ بعرفات، فسُررنا بوصوله، واستبشرنا ببعض ما اندرج في فصوله، وشكرنا الله تعالى على سلامة عاقبة تلك الواقعة، وعلى أن طَهُر بفضله العظيم ذيلُ فقراء الدَّائرة الغوثيَّة الأعظميّة عن غبار الدَّاهية الفاجعة، وسيُحسِن إن شاء الله تعالى بلطفه فيما بقي كما أحسن فيما مضى، وله الحمدُ في الآخرة والأولى، ووقوعُ الحادثة وفق ما حرَّرتم، وكونكم بُرآء[3] من إيقاد تلك النَّار وإشعالها، كما اعتذرتم وسطرتم، وإن كان مجزومَ أمثال الفقير من الأحباب، ومعتقدَنا في

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) قوله: (آمين) سقط في (ب).

(٣) في (ب): (براء).

[٢٠٤] شأن كلِّ كلاب الباب، غير أنَّ كتابَكم لم ينشرح به البالُ، ولم يتطابَقْ(١) بيننا الجوابُ والسُّؤالُ، حرّضْنَاكم على المحاسبة والاستغفار، وأجبتم بالبراءة والاعتذار، ويُرى أنَّ الجوابَ الحريَّ كان إمَّا تعيينَ ما أصابتكم المصيبةُ به بالظنِّ والتَّخمين، أو أن تكتبوا: لـمَّا حاسبنا عجزنا من كثرة ما شاهدنا من القصور عن اليقين، وحوَّلنا الإصابةَ على مجمل كسب اليد باليقين.

على هذا درج السّلفُ، واقتدى بهم فيه صالحوا الخلف، ففي مناقب سيدي أبي سليمان الدَّارانيّ ﷺ: أنَّه لَمَّا حكى له صاحبه أحمد بن أبي الحواريّ ريحانة الشَّام عن محمَّد بن سيرين أنَّه قال: أعلمُ سبب حبسي، قلت يوماً لرجلٍ: يا مُفْلِس، فعوتبتُ وحُبِستُ بالإفلاس، فبكى أبو سليمان، وقال: يا أحمد، أولئك كانت ذنوبُهم قليلةً، فإذا أصيبوا مصيبةً؛ علموا مِنْ أين أصيبوا، وأمَّا أنا وأنت؛ فذنوبُنا كثيرةٌ، فلا نعرف إذا أُصِبْنَا مِن أين أُصِبنا.

واعلم يا أخي أنَّ الدُّنيا عالَمُ الحكمة، وفي مطاويها عالَمُ القدرة، عكس الآخرة، وكذلك الدُّنيا مع الآخرة في كلِّ شأنهما، ما طَوَوْه في إحداهما(٢) يُبرِزونه في الأخرى، وما يُبْرِزونه في تلك يَطْوُونه في هذه؛ ومن قطرات محيط حكمة الحكيم المطلق جلَّ شأنُه في هذه الدَّار أنْ رتَّب عباده

(١) في (ب): (يطابق).

(٢) في (ب): (أحدهما).

مراتبَ، وحدَّ لكلِّ مرتبةٍ حُدوداً، نهى أصحابَها عن اعتداء تلك الحدود، بل عن قربانها، ولو كان قليلاً(١) أن يتركهم سُدىً، أو يجعل التَّصرُّفَ في كلِّ الأمور بينهم بالسَّويَّة فوْضى، إلَّا أنَّه فُصِّل الأمرُ من لدن حكيمٍ خبيرٍ.

وحَكَمَت الحكمةُ الفائقةُ بالمنع والتَّحجير، نهى الزَّرَّاعَ والحجَّامَ، عن اقتراب وظائف الأمراء والحكَّام، ومنعَ العلماء والمشايخ العظام، من أن يدخلوا عوائدَ السُّلطان والإمام، وما منَّا إلَّا له مقامٌ معلومٌ، ومن استعجل الشيءَ قبل أوانه فهو محرومٌ، وللحرب رجالٌ لها خلقوا.

ومن رأفته البالغة التي حيَّرت الأوهامَ وأذهلت العقولَ: أنَّه مع هذا التَّحجير الشَّديد لم يدعْ مشرباً من المشارب العالية إلَّا وجعل لأدنى مراتبِ عباده منه مشرباً، ولا مكرمةً من المفاخر السَّامية إلَّا وفتح لضعفاء خلقه إليها باباً، [٢٠٥] ورزقهم منها نصيباً، فللحائك من مشرب السَّلطنة العظمى خلافةٌ ولو على بدنه، وللصُّعلوك حجٌّ ولو في الجمعة أو إلى قلبه.

وعلى هذا الطَّرز البديع رَتَّب إنكارَ المنكرين(٢) على ثلاث مراتب: باليد، فباللسان، فبالقلب، وفوّض كلَّ مرتبةٍ إلى من أقدره على الوفاء بحقِّها، لم يأذنْ بإحراق المذنبين للأئمَّة والأمراء، ولم يرخِّصْ في ضرب وحبس المجرمين للمشايخ والعلماء، ولم يُبِحْ مجادلةَ الضَّالِّين للجهلاء،

(١) في حاشية (أ): قديراً، خ.

(٢) في (ب): (المتكبرين).

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِى لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(١)، فكان حظُّك من هذه القضيَّة البُغْضَ الجنانيُّ، ثمَّ الإنكارُ اللِّسانيُّ، ثمَّ المهاجرةُ بعد اليأس، لو لم ينزجروا عن القرية الظَّالم أهلها، واليأس ربَّما لا يحصل إلَّا بعد سنين عديدةٍ.

وأمَّا قولُ(٢): خذوا المجرم فغلُّوه، أو انزعوا المرأةَ منه وحاربوه؛ فهو قولُ الأمراء بعيدٌ بمراحلَ عن الفقراء، لا سيَّما بين قومٍ حديثي العهد بآداب الطَّريقة، بل مراسم الشَّريعة الغرَّاء.

ومن العجب أنَّكم كتبتم في المكتوب: إنِّي أمرتُ بأخذ المجرم، وبحكمته تعالى وقع في أسماعهم أمر ضربه، فاعلم يا أخي أنَّ هذا الفقيرَ بعيدٌ عن فهم أمثال هذه المقالة، ولعلَّك أشعرتَ بكتابة تلك الفقرة: أنَّه وقعت ُالقضيَّة بينك وبين أتباعك كما وقعت في فتح مكَّة زادها الله شرفاً، حين كان الرَّسولُ عليه الصَّلاة والسَّلام يأمر برفع السَّيف عن أهل مكَّة، والرَّسولُ بينه وبين خالدٍ رضي الله عنه يبلغ أمرَ وضع السَّيف فيهم، ولو قلت: أشمُّ من هذه الفقرة رائحةَ الدَّعوى لم آمَنْ من سوء الظَّنِّ. وبالجملة لم يبلغْ مقامُ هذا الفقير إلى فهم هذا الاعتذار.

واعلم يا أخي ما كلُّ مرَّةٍ تسلَم الجرَّة، ولا تُقال كلُّ عثرةٍ(٣)، فالحذرَ

---

(١) سورة يس: ٣٦/ ٤٠.

(٢) في (ب): (وأما قوله).

(٣) في (ب): (كل عثرة ولا تقال).

الحذرَ من العود إلى مثل ما نجَّاك الله منه بفضله.

ولولا عائقُ الاشتغال؛ لأطنَبْتُ في المقال، ولم أَخْشَ من الملال. وأستغفر الله العظيمَ لي ولكم وللإخوان، وأبتهلُ إليه في الحفظ عن موجبات النَّدامة والأحزان، وأتوسَّل إليه بالوسيلة العظمى صلَّى الله تعالى [٢٠٦] عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم في أن يعطفَ علينا بنظرة الغوْث الأعظم قَدَّس اللهُ سِرَّهُ الأَكْرَمَ، وأن يمِدَّنا بأنفاسه الكافلة لكلِّ خيرٍ، الدَّافعة لكلِّ ضَيْرٍ، فإنَّ جميع ما تصاب به إنَّما هو بعدم اهتمامه بنا في ذلك الوقت، وعدمُ اهتمامه بنا لارتكابنا ذلك المقت، هذا من ذاك، وذاك من هذا، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم، والسَّلام.

جمادى الأول ١٢٩٣هـ

** ** **

[مكتوب أرسله الشَّيخ خالد أيضاً إلى الأستاذ الملَّا عبد الرَّحمن الملاكندي رحمهما الله]

هذا مكتوبٌ أرسله حضرةُ الشَّيخ خالد الأولكي رحمه الله للملَّا عبد الرَّحمن الملاكنديّ رحمه الله.

هو الخليفةُ على كلِّ شيءٍ.

إلى الجناب الأخويِّ، والحضرة المولويِّ، والصَّديق المعنويِّ، حضرة الملَّا عبد الرَّحمن رقَّاه الله ووقَّاه، آمين.

وصل الفقيرَ مكتوبُكم الخطيرُ، فأَوْجَبَ فرحةَ الحقير لِمَا أشعر من عبور الخادم بخاطر المولى، دلَّ على سبقكم إلى المكارم، وأنتم من القديم بالسَّبق إليها أَحرى وأَوْلى، وأنبأ عن تَصَلُّد الإخوان في تلك النَّاحية في الوداد، وتعصُّب الأخلَّاء ثمَّة في مسلك الاتِّحاد.

وكلُّ ذلك بهمَّة حضرة الغوث الأعظم قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الأَكْرَمَ، وكفى بهذا مبشِّراً لنا أنَّ تلك الحضرة لم يَقطع نظرَه عن هذه اليتامى، ولم يدَعْهم بعده حيارى هَيامى، فحياتُه كانت خيراً من مماته، ومماته خيراً من حياته، لكن كلٌّ في آفاته.

ولقد وقع الاستفسارُ في المكتوب عن كيفيَّة معاملة تلك الحدود مع

السَّيِّد عبيد الله حين الورود، فاستمع لما خطر من الجواب بالبال، ولا يأخذنَّكم من طوله المُستَقصَرِ نظراً إلى المقام كلالٌ ولا ملالٌ.

أيُّها المولى، إذا تقرَّب السَّيِّدُ من الحدود، فإن لم يمكثْ وعَبَر؛ فلا هو لكم بالمذموم ولا المحمود، وإن قصد الزِّيارةَ للرَّوضة المطهَّرة؛ فاستقبلوه وأَخْدِموه بالمقدور، ولازموا خدمَتَه إلى الرَّوضة بالميسور. وإن جال في تلك النَّواحي للإرشاد، فمَنْ أخلص به واعتقده وذهب إليه لا لِضِرارٍ ولا عِنادٍ؛ دعَوْنا له بالخير وعدم الخيبة، ومَن اعتقد حجراً نفعه، وكما أنَّ أكثرَ الخلق [٢٠٧] إنَّما يعبدون ربّاً موهوماً لا موجوداً؛ كذلك أكثرُ الطَّالبين في غالب الأعصار إنَّما يأخذون ويبايعون شيخاً موهوماً لا موجوداً، لكنَّ عابدَ الموهوم محرومٌ، وخادمَ الشَّيخ الموهوم إن كان عن إخلاصٍ مرحومٌ، والذَّاهبون إليه للضِّرار سيكفينا الله إن شاء إياهم كما كفى المسلمين عَمَرَةَ مسجد الضِّرار.

وإنْ لمْ يكتفِ السيِّدُ بذلك، بل نَفَّر عن الانتساب إلى حضرة الغوث وأبنائه والتَّردُّد إلى خلفائه؛ فلا تَضِيقُوا به ذرعاً، ولا تتقلَّدوا لذلك سيفاً ولا دِرعاً، وأنشدوا ما كان ينشدُه حضرةُ الغوث كثيرا شعر:

هركه خواهد كوبياء وهرجه كويد[١] كوبكو

كبر وناز وحاجب ودربان درين دركاه نيست

(١) في حاشية (أ): خاهد، نسخة.

فالعوامُّ الذين لم يعرِّجوا في معرفة الغوث معرجَ التَّحقيق، وبقَوا في حضيض التَّقليد عن ذُرَى التَّدقيق؛ أولئك كالأنعام، يتردَّدون إلى الوراء مرَّةً وأخرى إلى الأمَام، وقد كان حضرةُ الغوث لا يعبأُ بهم ولا يبالي، ولا يعدُّهم في الثَّاني والتَّالي.

وسمعتُه رضي الله عنه يقول: العوامُّ لا يَعدمون شيخاً لهم في زمانٍ ما، وإنَّ إخلاصَهم سريعُ الحصول سريعُ الزَّوال، فخلُّوهم أنتم أيضاً وطبعَهم على ذلك المنوال، والخواصُّ أنتم آمنون عن تزلزل أقدامهم، ولو أَورَد الخصمُ عليهم ألفَ شبهةٍ في صورة البرهان.

أيُّها الإخوان، إنْ صَدَقْنا فيما ندَّعيه من أنَّا لا نبغي من الخلق إلا صلاحهم، ولا نطلبُ ما عدا فلاحهم؛ فاللهُ أعظمُ من أن يحصر هدايةَ عباده في أصحابنا، والدَّعوةُ إلى الله أوسعُ من أن تنحصر فينا وبسببنا، ولم تنحصرْ في زمانٍ إلَّا في الحبيب المصطفى ﷺ لِسِرٍّ فيه خفيٍّ.

وكأنّي أسمعُ مثلي من ناقص الأصحاب يعارضني ويقول: إنَّنا نمنع الطُّلَّابَ عن الأغيار، وندعوهم إلى الاكتفاء بنا؛ لِمَا أنَّا ندعوهم في الحقيقة إلى حضرة الغوث الذي كان أكملَ أهل زمانه وأَوْلى، فهو من قبيل النُّصح للمسلمين ودلالتهم على الأحرى[1]، وما يقوله ليس إلَّا من دسائس الشَّيطان وإغوائه، وإيحائه إلى النَّفس وأوليائه، كلَّا، لو منعناهم؛ فإنَّما هو

(١) في (ب): (الأخرى).

للجاه والمال، ونتحمَّلُ[1] ما لا نطيقه من الأثقال، فمتى ادَّعى [٢٠٨] ذلك حضرةُ الغوث في زمانه؟ ولو سُلِّمَ؛ فأنَّى لنا دعوى نسبته تمامِهَا بعد أوانه؟ نعم، كنَّا نفعل شيئاً من حصر الدَّعوة إليه رضي الله عنه في حياته، وذلك أيضاً كان من الحال لا من العلم، والحالُ غيرُ حجَّةٍ في الطَّريقة، وإن سُلِّمَتْ لصاحبها الصَّادق الطَّويَّة، والغيرةُ لحضرة الغوث ليستْ بأمثال تلك التُّرَّهات، بل بالتَّحقيق بسيرته وحفظها عن الشَّتات، فاكتفوا بدعوة الفِعَال عن مؤنة المَقال، وأَحيُوا ذكرَهُ بالأخلاق، ودَعُوا ما اعتاده القاصرون بعد شيوخهم من القناعة بمدحهم، والانتساب القوليِّ إليهم، فإنَّه من الطُّمْطُراق.

ورأى هذا الفقيرُ المختلُّ الأحوال، المناقضُ بسوء الفعال حسنَ الأقوال في معاملتكم مع السَّيِّد، فإنَّه إن أحسستم[2] منه بالوِفاق؛ فَبِها، وإلَّا، فإن أورد عليكم الشُّبهات، فما تعلَّق منها بنفس حضرة الغوث وطريقته؛ فليتصدَّ لحلِّها، والجواب مَنْ وثق من[3] نفسه بالثبات، وعلم اقتدارَه على إلزام الخصم والإسكات، وليعتزله العاميُّ كالعالم المُتَزَلْزِل، فما كلُّ عالمٍ مأذوناً في المناظرة، وكم من مناظرٍ رجع مُسلِّما بالصَّفْقَة الخاسرة، للحرب رجالٌ لها خلقوا. وما تعلَّق منها بسيرة المنتسبين إلى حضرة الغوث؛ فسلِّموا النَّقصَ لأنفسكم، وامنعوها عن إخوانكم، وقولوا: نَقْصُ التَّابع لا

(١) في (ب): (ونحتمل).

(٢) في (ب): (أحسنتم).

(٣) في (ب): (عن).

يسري إلى المتبوع. وإذا استفاض لديكم قبل الملاقاة أنَّه باقٍ على إنكاره؛ فالحذرَ الحذرَ من أن تغترُّوا وتقولوا: نذهب إليه لنجذبه ونصطاده، فكم من صائدٍ صار صيْداً، ولا ينجو من كيد المنكر إلَّا من كاد الله له كيداً، وفي ظنِّ الفقير أنَّه بيّن في «المنح» حكمةَ تضرُّر المخلص باختلاط المنكر، وعدم انتفاع المنكِر بالمخلِص، والسَّلام.

ونسلِّم على عواني آغا، وندعو له بالخير، ويمكن إن شاء الله أن يُرتّب من بعدُ مكتوباتٌ ممَّا يصدر إلى الأحباب ابتداءً أو جوابًا، فإن كان إليها رغبةٌ؛ فقيِّدوا هذا المكتوبَ عندكم في موضعٍ آخر يكثرها الله إن شاء، واجعلوا هذا أوَّلَها.

ونسلِّم على الملَّا إبراهيم، وسائر أولادكم الأمجاد، والشَّيخ إبراهيم وأولاده، وسائر الطَّلَبة والأحباب، والسَّلام.

** ** **

[مبحث صورة إجازة الشَّيخ عبد الله شاه الدَّهلوي لحضرة مولانا خالد قطب الإرشاد قدس سرهما](1)

[٢٠٩] هذه(٢) صورةُ الإجازة الشَّريفة التي كتبها الشَّيخُ عبد الله شاه الدَّهلوي لحضرة خليفته قطب دائرة الإرشاد، غوث الثَّقَلَين على السَّداد، السَّائر في الله المجاهد، حضرة مولانا الشَّيخ خالد قدس الله أسرارهما وأمطر علينا أنوارهما، آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد وصلاة: فقير عبد الله المجدِّدي النَّقشبندي عفي عنه كذارش مينما يدكه سرامد علماء دين وكزيدة طالبان راه حق ويقين حضرة مولانا خالد قدس سره وسلمه الله براي طريقة نقشبندي أزملك كردستان بنزداين فقير آمده تاده ماه در خلوتي بترك مألوفات واشتغال بكمال جد وجهد بر داختند الحمد لله بعناية إلهي سبحانه بواسطة بيران كبار رحمة الله عليهم بمدارج طريقة ترقيات كردند وبحضور وياد داشت وتهذيب لطائف عالم أمر وفنا وبقا وبي خوديها فائز شدند وأنوار سر لطائف خلق وكيفية وحالات كه برهيات وحداني سالك در طريق حضرة مجدد رحمة الله عليه

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) في (ب): (هذا).

فائض من شوند باطن ايشان منوّر ومكيف ساخته وازكمال طريقة بتكميل آن رسيدند بس ايشانرا بإجازة وخلافة وتربيت طالبان ممتاز فرموديم ودر طريقة قادرية وجشتية وسهروردية وكُبروية رحمة الله عليهم ينز مجاز ساختيم جنانجه مأمول أين طريقة است دست ايشان دست من است وايشان نائب وخلق الصدق بيران من اند ورضاي ايشان رضاي من [اند](١) وخلاف ايشان خلاف من بس بدولم ذكر وتوجه ومراقبات وإحياء سنن سنية واجتناب بدعة وصبر وتوكل وتسليم ورضا ونقل علوم تفسير وحديث وصوفية براي طالبان مشغول باشند. وأسأل الله لي وله دوام العافية.

✍ الفقير عبد الله النقشبندي المجددي عفي عنه

** ** **

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

[مبحث بيان للشّيخ خالد الأولكي وتقريظ للشّيخ محمّد علاء الدّين في مدح المنحة الغوثيّة قدس سره](١)

[٢١٠] للشّيخ خالد الأولكي خليفة الغوث الغيدوي(٢) رضي الله عنهما وقدّس أسرارهما:

وَأَيْقِظْ مِنَ النُّوَامِ سِتًّا(٣) مَعَ العَشْرِ ... وَلَا تَخْشَ بِالإِيقَاظِ شَيْئًا مِنَ الضُّرِّ

فَمَنْ لَمْ يُصَلِّ الفَرْضَ وَالوَقْتُ ضَيِّقٌ ... وَمَنْ نَامَ فِي المِحْرَابِ فِي مَسْجِدِ الذِّكْرِ

وَمَنْ نَامَ فِي أَوَّلِ صَفٍّ وَنَائِمًا ... أَمَامَ مُصَلٍّ بَعْدَ عَقْدِهِ بِالأَمْرِ

وَمِنْ فَوْقِ سَطْحٍ لَا حَوَالَيْهِ حَائِلٌ ... وَمَنْ نَامَ مِنْ بَعْدِ فَرِيضَتِهِ العَصْرِ

وَمَنْ نَامَ مِنْ قَبْلِ العِشَاءِ وَنَائِمًا ... بِبَيْنِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مَعْ بَزْغَةِ الفَجْرِ

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

(٢) لعله الفيدوي.

(٣) خمسًا، خ.

وَمَنْ نَامَ فِي بَيْتٍ وَحِيداً وَنَائِمُةٌ
عَلَى ظَهْرِهَا وَالوَجْهُ لِلعُلْوِ فَازْجُرِ

كَذَا رَجُلٌ قَدْ نَامَ مُنْبَطِحاً عَلَى
مَحَاسِنِهِ فَازْجُرْهُ مِنْ نَوْمِهِ النُّكْرِ

كَذَاكَ مُرِيدُ الصَّوْمِ كَيْ يَتَسَحَّرَا
كَذَا لِصَلَاةِ اللَّيْلِ نَبِّهْ مَعَ الأَجْرِ

وَفِي عَرَفَاتَ النَّائِمِينَ فَأَيْقِظُوا
لِيَبْتَهِلُوا وَقْتَ الوُقُوفِ مَعَ الفِكْرِ

كَذَا نَائِمٌ وَاليَدُ فِيهَا مِنَ الأَذَى
حِذَاراً مِنَ التَّلْوِيثِ مِنْ مسحة الغمرِ

وَيَا نَاظِراً أَمَّا ظَفِرْتَ بِغَيْرِهَا
فَأَلْحِقْ بِهَا إِنْ شِئْتَ بِالنَّظْمِ أَوْ نَثْرِ

وَإِنِّي مَدَى عُمْرِي لَفِي نَوْمَةِ القَلْـ
ـبِ فَلَيْتَ هُبُوباً قَبْلَ نَوْمَتِي فِي القَبْرِ

فَبِاللهِ دُلُّونِي عَلَى مَنْ يَصِيحُ بِي
وَأُفْدِيهِ إِنْ شَاءَ البَقِيَّةَ مِنْ عُمْرِي

نَعَمْ صِبغةُ اللهِ بِلَا أَخْذِ فِدْيَةٍ
يَصِيحُ بِنُوَّامِ القُلُوبِ إِلَى النَّشْرِ

وَلَكِنَّنِي مَيْتٌ وَهَلْ هَبَّةُ المَيْتِ
سِوَى نَفْخَةِ الصُّورِ لَدَى أَوَّلِ الحَشْرِ

خُوَيْلِدُ لَا تَيْأَسْ وَآمِنْ بِأَنَّهُ(١)
لَيُحْيِي بِإِذْنِ اللهِ مَنْ مَاتَ مُذْ دَهْرِ

[٢١١] وقد ألحق به شيخُنا الشَّيخُ محمَّد علاء الدِّين بن الشَّيخ فتح الله رضي الله عنهما ما به يصير ستّ عشرة كما في أكثر النُّسَخ، وهو هذا:

كَذَا نَائِمٌ(٢) قَدْ كَانَ بَعْضُهُ فِي الظِّلِّ
وَآخِرُهُ فِي الشَّمْسِ أَيْقَظَهُ لِلضُّرِّ

تمّت

للشَّيخ خالد الأولكي في مدح شيخه الغوث السَّيِّد صبغة الله قدس سره:

من كه باشم تابجويم روى أوباكاشكى
كاشكى طوف حريمش دست دادي جون فلك

هركه رويش رابديد عينا بدانَد آبخه كفت
آن جلال الدين أسيوطى بتنوير الحلَك

درثنائش جز نبوة ازكمالات بشر
قل ولا تخش فقد افتيتُ عن علم الفلك

(١) أي الشأن.
(٢) نائمًا، خ.

كرشدي كشف خطا آز زائران مشهدش

ديدي تاوز قيامة إزدحامات ملك

راست نايد خالد ابرقد اوجامه ازسخن

كربرد قس وسحبانش سَحَر دوز جلك[1]

تقريظٌ للشَّيخ محمَّد علاء الدِّين بن الشَّيخ فتح الله الورقانسيّ قدس سرهما في مدح كتاب «المنح الغوثيَّة» قدس سره:

لقد جاد[2] ذِهْنُ الألمعيِّ المُمَجَّدِ

بفتحٍ من الله الكريمِ المؤيِّدِ

هو الخالدُ فاق الأنامَ بعلمه

وعِرفانه العالي وورعْه والزُّهدِ

ببعضِ كلامِ شيخه ورموزه[3]

مشيِّدِ بنيانِ طريق المجدِّدِ

كتاباً يفوق الكلَّ في حُسْنِ سَبْكه

وإرشادِهِ نحوَ السَّبيل المسدَّدِ

(١) وربرد قس وسبحان سحر دوزتلك، نسخة.

(٢) فاض، خ.

(٣) ببعض منائح شيخه غوث عصره، نسخة. شيخه: السيد صبغة الله الأرفاسي قدس سره، وفي (ب): صبغة الله الأرواسي.

حريّاً بأوراق اللُّجين وأقلامِ

يواقيتَ[1]، والكتب عليها بعَسْجَدِ

ويروى عن صاحب «المنحة» الشَّيخ خالد الأولكيّ الشيروانيّ العمري المستشهد في قتال الروس في معركة بايزيد نور الله مشهده في شيخه رضي الله عنهما: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾[2].

** ** **

(١) في (ب): (يَواقِت).

(٢) سورة البقرة: ٢/ ١٣٨.

[رسالة الرَّابطة لمولانا الشَّيخ خالد قدس سره إلى الإخوان في إستانبول رضي الله عنهم[1]]

[٢١٢] هذه رسالةُ الرَّابطة لمولانا الشيخ خالد قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.

من العبد الفقير المُستهام، خالد النقشبندي المتمسِّك باتِّباع سُنةِ خير الأنام، عليه وعلى آله وصحبه أفضلُ الصَّلاة وأكملُ السَّلام، إلى الإخوان المخلصين الكرام من سكَّان دار الخلافة العظمى، لا زالت مصونة عن كيد الخائنين، ومقرونةً بنصرة صاحبها وحامي بلاد المسلمين إلى يوم الدين، آمين.

السَّلامُ التامُّ، والتحيَّةُ على الكرام.

أما بعدُ: فقد وردتْ مكاتيبُكم الدَّالَّةُ على صحَّة ذواتكم، فأَورَثَت المسرَّةَ المشيرةَ إلى ثباتكم على الطَّريقة والسُّنَّة السَّنِيَّة مع كثرة مزاحمة المنكرين، فحمدتُ الله تعالى على ذلك مرَّةً بعد مرَّةٍ، وقرع بسمع هذا المسكين أنَّ بعض الغافلين عن أسرار حقِّ اليقين يَعُدُّون الرَّابطةَ بدعةً في الطَّريقة، ويزعمون أنَّها شيءٌ ليس له أصلٌ ولا حقيقةٌ، كلَّا، إنَّها أصلٌ عظيمٌ

(١) هنا انتهت النسخة (أ).

من أصول طريقتنا العليَّة النقشبنديَّة، بل هي أعظمُ أسباب الوصول بعد التَّمسُّك التَّامِّ بالكتاب العزيز وسُنَّة الرَّسول، ومن جملة ساداتنا من كان يقتصرُ في السُّلوك والتَّسليك عليها، ومنهم من كان يأمر بغيرها أيضـاً مع تنصيصه على أنَّها أقربُ الطُّرُق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدِّمةُ الفناء في الله تعالى، ومنهم من أثبتها بنصِّ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1]، فقال من السَّادات [الكرام][2] الكبار الشيخُ عُبَيد الله المشهور بخواجه الأحرار قدس سره ما حاصلُه: إنَّ الكينونةَ مع الصَّادقين المأمور بها في كلام ربِّ العالمين: الكونُ معهم صورةً ومعنىً، ثمَّ فسَّر الكينونةَ المعنويَّةَ بالرَّابطة، وهو عند أهله مشهورٌ، وفي كتاب «الرشحات» بالتَّفصيل مسطورٌ.

فكأنَّهم لم يتصوَّروا معنى الرَّابطة اصطلاحـاً، وإلا؛ لما وَسِعَهم إنكارُها؛ إذ هي في الطَّريقة عبارةٌ عن استمداد المريد من روحانيَّة شيخه الكامل الفاني في الله، وكثرة رعاية صورته ليتأدَّبَ وليستفيضَ منه في الغيبة كالحضور، ويتمَّ له باستحضاره[3] الحضورُ والنُّورُ، فينزجرَ بسببها عن سفاسف الأمور، وهو أمرٌ لا يُتصوَّرُ جحودُهُ إلا مَنْ كَتب الله في جبهته[4]

(١) سورة التوبة: ٩/١١٩.

(٢) ما بين معقوفتين من متن (ب) نسخة.

(٣) في (ب): (بالاستحضار).

(٤) في (ب): (جهة).

الخسران، واتَّسم ـ والعياذ بالله تعالى ـ بالمقت والحرمان؛ لأنَّه إن كان ممن كان يعتقد بالأولياء؛ فقد صرحَّوا بحسنها وعظم نفعها، بل واتَّفقوا عليها كما لا يخفى على من تتبَّع كلماتهم القُدْسِيَّة، واستنشق نفحاتهم الأنسيَّة، وإلا؛ [٢١٣] فلا بُدَّ أن يعتقد بكلام أئمَّة الشَّرْع، وأساطين الأصل والفرع، فقد قال بها من كلِّ مذهبٍ من المذاهب الأربعة أئمّةٌ تصريحاً، وها أنا أعدُّ بعضَ(١) ما ذكروه مع تعيين الأماكن ليراجعها من ليس في قلبه مرضٌ، ولا ينكر على الأولياء بمجرد اتِّباع الهوى والغرض، فأقول وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطَّريق:

قد صرَّح بالتَّصرُّف والإمداد الروحانيِّين جماهيرُ المفسِّرين في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾(٢)، ومنهم صاحبُ «الكشاف» مع انحرافه عن الاعتداد والاتِّصاف بالإنكار والاعتزال، ولفظُه: وفُسِّر البرهانُ بأنَّه ـ أي: يوسف عليه السلام ـ يسمع صوتاً: إيّاك وإيّاها، فلم يكترثْ له، فسمعه ثانياً، فلم يعمل، فسمعه ثالثاً: أَعرِضْ عنها، فلم ينجعْ فيه حتى مُثِّل له يعقوب عليه السلام عاضّاً على أنملته، وقيل: ضرب بيده في صدره... إلى آخر ما قال.

وقال من الأئمّة الحنفيّة: الشيخُ الإمامُ أكمل الدين في «شرح المشارق» في حديث «من رآني» إلى آخر: الاجتماعُ بالشَّخص يقظةً مناماً

(١) في (ب): (بعد)، والصواب ما أثبتناه من (أ).

(٢) سورة يوسف: ١٢/ ٢٤.

لحصول ما به الاتِّحادُ، وله خمسةُ أصولٍ كليّةٍ: الاشتراكُ في الذَّات أو في صفةٍ فصاعداً، أو في الأفعال، أو في حالٍ، أو في المراتب، وكلُّ ما يُتَعقَّلُ من المناسبة بين شيئين أو أشياء لا يخرج عن هذه الخمسة، وبحسب قوَّته على ما به الاختلافُ وضعفه يكثُرُ الاجتماعُ ويقلُّ، وقد يقوى على ضدِّه، فتقوى المحبَّةُ بحيث يكاد الشَّخصان لا يفترقان، وقد يكون بالعكس، ومن حصَّل الأصولَ الخمسةَ، وثبتت المناسبةُ بينه وبين أرواح الكُمَّل الماضين؛ اجتمع بهم متى شاء. انتهى.

وقال منهم أيضاً في «شرح الأشباه» أحمدُ بن محمد الشريف الحمويّ في كتابه «نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامة بعد الانتقال» ما خلاصَتُه: إنَّ الأولياءَ يظهرونه(١) في صورٍ متعدِّدةٍ بسبب غلبة روحانيَّتهم على جسمانيَّتهم، وحُمِلَ عليه بعضُ روايات الحديث الصَّحيح حيث قال ﷺ: «**ينادَى من كلِّ بابٍ من أبواب الجنَّة بعضُ أهل الجنَّة**»، فقال له حضرةُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه: وهل يدخل أحدٌ من تلك الأبواب كلِّها؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**». انتهى بالمعنى.

وقال:(٢) إنَّ الرُّوحَ الكليَّةَ تظهر في سبعين ألف صورةٍ في دار الدُّنيا، ففي البرزخ من باب أَوْلى؛ لأنَّ الرُّوحَ فيه أقوى وأكثرُ انتقالاً بسبب المفارقة

(١) في حاشية (أ): يَظْهَرون، نسخة.

(٢) قالوا، خ.

عن البدن. اهـ. قال: ومن الأئمَّة الشَّافعيَّةُ الإمامُ الغزاليّ في «الإحياء» في باب تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كلِّ ركنٍ من الصَّلاة ما نصُّه: وأَحْضِرْ في قلبك النَّبيَّ ﷺ وشخصَهُ الكريمَ، وقل: السَّلامُ عليك أيها النَّبي؛ ليصدقَ أملُك في أنَّه يبلغُه، ويردُّ عليك ما هو أوْفَى منه. اهـ.

وقال منهم العلامةُ الشهابُ [٢١٤] ابنُ حجر المكيُّ شيخ الشهاب الخفاجيّ في «شرح العباب» في بيان معاني كلمات التَّشهُّد ما نصُّه: وخوطبَ ﷺ كأنَّه إشارةٌ إلى أنَّه تعالى يكشف له عن المصلِّين من أمَّته، حتى يكون كالحاضر معهم ليشهد لهم بأفضل أعمالهم، وليكون تذكُّرُ حضوره سبباً لمزيد الخشوع والخضوع. ثم أيَّده بما مر عن[1] «الإحياء».

ولشيخ الشُّيوخ الإمام العارف السهرورديّ الشافعيّ في «العوارف» في باب صلاة أهل القُرْب مثله، وعن عباراته: ويسلِّم على النَّبي ﷺ، ويُمثِّل له بين عيني قلبه. انتهت.

وصرَّحه العلامةُ الشهابُ ابن حجر في أواخر «شرح الشمائل» ـ وفاقاً للحافظ الجلال السيوطيّ في كتابه «تنوير الحلك في رؤية النَّبي والملك» ـ: أنَّه حُكِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه رأى رسول الله ﷺ في النَّوم، فدخل على بعض أمهات المؤمنين، فأخرجتْ له مرآتَه ﷺ، فرأى صورتَه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ولم ير صورةَ نفسه. انتهى.

---

(١) في (ب): من.

وهذا هو الفناءُ في الرَّابطة في اصطلاح القوم.

لا يقال: ليس الكلامُ في صورة النَّبيّ ﷺ؛ لأنَّا نقول: إنَّ هذا ليس من خصائص الأنبياء، وكلُّ ما هو كذلك؛ فهو مشتركٌ بينهم وبين الأولياء، ولا شكَّ في هذا عند أهله. نعم، مخاطَبَةُ غيره ﷺ في الصَّلاة مبطلةٌ لها، وإحضارُ الصُّورة فيها والتَّسليم على صاحبها من خصائص حضرة روح الوجود، وصاحب المقام المحمود، عليه وعلى آله وصحبه الصلاةُ والتسليمُ من الكريم الودود، وهو غيرُ مرادٍ فيما نحن فيه.

هذا، وقال منهم الحافظُ الجلالُ السيوطيُّ في رسالةٍ حافلةٍ ألَّفها في مثل هذه المادَّة سمّاها كتاب «المتجلي في تطور الولي» نقلاً عن الإمام السبكيّ الشافعيّ في «الطبقات الكبرى»: الكراماتُ أنواعٌ، إلى أن قال: الثّاني والعشرون: التَّطوُّرُ بأطوارٍ مختلفةٍ، وهو الذي يسمّيه الصُّوفيَّةُ بعالم المِثال، وبنَوْا عليه تجسُّدَ الأرواح وظهورَها في صورٍ مختلفةٍ من عالم المثال، واستأنسوا له[1] بقوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[2]، ومنه: قضيةُ قضيب البان[3]، ثمَّ ذكرها وذكرَ غيرَها. اهـ.

وقال منهم الإمامُ العارفُ الشعرانيُّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ في كتاب «النفحات

---

(١) قوله: (له) سقط في (ب).

(٢) سورة مريم، ١٩/ ١٧.

(٣) في (ب): البيان، والصواب ما أثبتناه من (أ).

القدسية» عند عدِّ آداب الذِّكر ما نصُّه[1]: السَّابعُ: أن يُخَيِّلَ شخصَ شيخه بين عينيه، وهذا عندهم آكَدُ الآداب. انتهى بحروفه.

قلت: وليس الرَّابطةُ عندنا ـ معاشرَ النَّقشبنديَّة ـ إلا هذا، كما يشهدُ له ما في جميع كتبهم المعتمدة، وذكر العلامةُ السَّفِيريُّ الحلبيُّ من الشَّافعيَّة [٢١٥] في «شرح البخاري» عند قوله: «**ثم حُبِّب إليه الخَلَاءُ**»: إنَّ الشَّياطين كما لا تقدرُ أن تتمثَّلَ بصورة النَّبيِّ ﷺ؛ لا تقدرُ أن تتمثَّلَ بصورة الوليِّ الكامل أيضـاً، بشرطٍ ذكره.

ثمَّ قال من أكابر الحنفيّة أيضـاً العلامةُ الشَّريفُ الجرجانيُّ ﵀ في أواخر «شرح المواقف» قبيل ذكر الفرق الإسلاميّة بصحّة ظهور صور الأولياء للمريدين، وأخذهم الفيوضَ منها حتى بعد الموت، وكذا في أوائل حواشيه على «شرح المطالع».

وقال منهم أيضـاً الإمامُ العارفُ بالله تعالى الشيخ تاج الدين الحنفيُّ النقشبنديُّ العثمانيُّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ عند بيان طرق الوصول إلى الله تعالى في رسالته المعروفة بـ«التاجية» ما نصُّه: الطريقُ الثَّالثُ: الرَّابطةُ بالشَّيْخ الذي وصل إلى مقام المشاهدة، وتحقَّق بالصِّفات الذَّاتيَّة، فإنَّ رؤيتَه بمقتضى: هم الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله تعالى تُفِيدُ فائدةَ الذِّكر، وصحبتَه بموجب: هم جلساءُ الله تعالى تُنْتِجُ صحبةَ المذكور. إلى أن قال: فينبغي أن تحفظَ صورةَ

(١) في حاشية (أ): ما نص، نسخة.

الشَّيخ في الخيال، وتتوجَّه للقلب الصنوبريِّ حتى تصلَ الغيبةُ والفناءُ عن النَّفس، وإن وقفتَ عن التَّرقِّي؛ فينبغي أن تجعلَ صورةَ الشَّيخ على كتفك الأيمن، وتفرضَ عن كتفك إلى قلبك أمراً ممتدّاً، وتأتي بالشَّيْخ على ذلك الأمر الممتد، وتجعلَهُ في قلبك، فإنَّه يُرجَى لك بذلك حصولُ الغيبة والفناء. انتهى بحروفه.

وجرى عليه قدوةُ المحققين، وزبدةُ المتأخرين، الشيخُ العارف عبد الغني النابلسيُّ الحنفيُّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ[1]، وأقرّ في «شرحه على التاجية».

وقال من أئمّة الحنابلة الغوثُ الأعظمُ، والإمامُ الأفخمُ، سيّدي الشيخُ عبد القادر الجِيليُّ ﵁ ما معناه: إنَّ للفقير ـ أي: السالك طريقَ القوم ـ رابطةً قلبيّةً مع الأولياء، ويستفيدُ بسبب تلك الرَّابطة[2] باطناً، فلا بأس بعدهم إكرامه ظاهراً، بخلاف الأجنبيّ الذي ليس له رابطةٌ معهم. اه عن الإمام السهرورديّ في باب آداب المريد مع شيخه من «عوارفه».

وقال منهم أيضـاً العلامةُ شمس الدين ابنُ القيِّم في كتاب «الروح»: إنَّ للرُّوح شأناً مع البدن، فتكون في الرفيق الأعلى وهي متَّصلةٌ ببدن الميت، بحيث إذا سُلِّمَ على صاحبها؛ ردَّ[3] السَّلام وهي في مكانها هناك. انتهى نقلاً عن الحافظ السيوطيّ في كتابه «المتجلي».

(١) في (ب): (قدس سره).

(٢) في متن (ب): (بتلك الرابطة)، وفي حاشيتها: بسبب تلك، خ.

(٣) في (ب): (يرد).

والنُّصوصُ بهذا المعنى أكثرُ من أن تُحصَى، وفيه دلالةٌ ظاهرةٌ على نوع تصرُّفٍ للأولياء بعد الموت.

وقلت: قد ألَّف كثيرٌ من المحقِّقين في ذلك رسائلَ واضحةَ المسالك، فليحذر الموفَّقُ عن إنكاره، فإنَّه من المهالك.

وقال من أئمة المالكية الإمامُ الجليلُ صاحبُ «المختصر» المشهور الشيخ خليل ﷺ ما نصُّه: الوليُّ إذا تحقَّقَتْ ولايتُه؛ تمكَّنَ من التَّصوُّر في روحانيَّته، ويعطى من القدرة التَّصوُّر في صورٍ عديدةٍ، وليس ذلك بمحالٍ؛ لأنَّ المتعدِّدَ هو [٢١٦] الصُّورةَ الروحانيَّةُ، وقد اشتهر ذلك عن العارفين بالله. نقله السيوطيُّ عنه في الكتاب[١] المذكور.

ونقل فيه أيضـًا عن الإمامين الهمامين من المالكية الشيخ أبي العباس المرسيّ وتلميذه ابن عطاء الله ﷺ ما يقاربُهُ.

فكيف[٢] يسوغُ للعوامِّ إنكارُ مثل هذه الأحكام بعد تصريح الأولياء الكرام والعلماء الأعلام الذين هم أهلُ الحَلِّ والإبرام، ومنهم من يتلقّى العلوم المدنية[٣] بلا واسطةٍ من الحيّ الذي لا ينام، واقتصرتُ على هذا القدر من الكلام، خوفـًا من الإملال والإسئام، وإلَّا؛ لألَّفتُ فيه مجلَّداً حافلاً بعون المنعام.

(١) في متن (ب): (كتابه)، وفي حاشيتها: الكتاب، خ.

(٢) في (ب): (يكف)، والصواب ما أثبتناه من (أ).

(٣) اللَّدنية، نسخة.

ولولا رعايةُ الشَّفقة على الإخوان في الدِّين من وقوعهم في إنكار طَوْر الأولياء الكاملين؛ لَمَا أقدمتُ على إظهار بعض هذه الأسرار، لكن ألجأني إليه أمران:

الأمرُ الأوَّلُ: الذَّبُّ عن الطَّريقة التي هي عروةُ الوصول، وسُلَّمُ رضوان الله تعالى واتِّباع الرسول، التي أصولُها التَّمسُّك بعقائد أهل السُّنَّة الذين هم الفرقةُ النَّاجيةُ، وتركُ التقاط الرُّخَص، والأخذ بالعزيمة، ودوام المراقبة، والإقبال على المولى، والإعراض عن زخارف الدُّنيا، بل وعن كلِّ ما سوى الله تعالى، ومَلَكَةُ الحضور المُعبَّر عنه في الحديث الشَّريف بالإحسان، وهو «**أن تَعبُدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنَّه يراكَ**»، والخلوة في الجلوة، مع التَّحلِّي بالاستفادة والإفادة في علوم الدِّين، والتزيِّي بزيِّ[١] عوامِّ المؤمنين، وإخفاء الذِّكْر، وحفظ الأنفاس، لا يخرج ولا يدخل مع الغفلة عن الله الكريم، والتَّخلُّق بأخلاق نَبِيِّ الله صاحب الخلق العظيم عليه الصَّلاة والتسليم.

وبالجملة، فهذا الطَّريقُ بعينها هي طريقةُ الأصحاب الأنجاب عليهم الرِّضوانُ، من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، وهي عبارةٌ عن عزائم الكتاب والسُّنَّة، ولهذا قال إمامُ الطَّريقة وغوثُ الخليقة الشيخُ بهاء الحق والدين محمد البخاري المعروف بنقشبند قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ ما معناه: من أعرض عن طريقتنا؛ فهو في خطرٍ من دينه.

(١) في (ب): (والتربي بزي).

والأمرُ الثَّاني: التَّحذيرُ عن تمويه الغافلين وتزويرهم؛ لئلا يؤدِّي إلى إنكار هذه الطَّائفة وتكديرهم، ويسري من شؤمه ـ والعياذ بالله تعالى ـ إلى بابٍ لا يزال الفقراءُ الصَّادقون [٢١٧] متضَرِّعين إلى الله لتأييده وبقائه، ولحفظه من فتن حُسَّاده، ومكايد أعدائه.

وهذا الفقيرُ يوصيكم بجميع ما تقدَّم من الآداب، ويخبركم بأنَّه يَبْرَأ إلى الله تعالى من كلِّ من يخالف[1] السُّنَّةَ والكتابَ، ولم يَتْبَع هذا النَّبيَّ والأصحابَ، ويأمركم بصالح الدُّعاء في الصَّباح والمساء لدوام تأييد الدَّولة العليَّة العثمانيَّة التي عليها مدارُ الإسلام، ونُصرَتها على أعداء الدِّين من النَّصارى الملاعين، والأعجام المرتدِّين.

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته في البدء والختام.

ولقد كتبنا آثارَ ومناقبَ وبعضَ رسائل الذَّواتِ الكرام ﷺ؛ لتكون خدمةً منَّا لدين الإسلام، ونحتذي بهممهم العالية وبركاتهم الدَّانية، ونفوز بدعواتِ من يلتقط من دُرَرِهم الغالية، المستخرجة من بحار أسرارهم المتلاطمة الأمواج، ويقضي الحوائجَ منها كلُّ محتاجٍ، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2]، والدُّعاءُ بظهر الغيب مقبولٌ، ومن كلِّ النَّاس مأمولٌ، والسَّلام.

---

(١) في (ب): (ما يخالف).

(٢) سورة غافر: ٤٠/ ٦٠.

والحمدُ لله أوّلاً وآخراً، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رئيس المرسلين، ومفتاح الوجود، سيِّدنا محمَّدٍ وآله وأصحابه وأزواجه وذريَّاته وأصهاره ومهاجريه وأنصاره وتابعيه، ومن استهدى وهدى واهتدى من أمَّته، ورضي الله عنَّا بهم، آمين، يا ربَّ العالمين.

تمَّت

[على يد أضعف العباد، الحقير الفقير، كثير الخطأ والتَّقصير، تراب أقدام العلماء العاملين، وخادم المشائخ السَّالكين، في سلك سيِّد المرسلين، بدر الدين بن الشيخ شهاب الدين بن الشيخ أسعد بن الملا عبد الرحمن الملاكنديّ ﷺ، وغفر الله لهم ولنا ولجميع من اتَّبع الهدى، في سنة (٢٠٠٩) ميلادي، في شهر نيسان، في القرية المسماة ببُويراجِق، من قرى كِنِك، من قضاء إزمير. وصلَّى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم][1].



** ** **

---

(١) ما بين معقوفتين من (ب).

فهرست كتاب «بركة الكلمات»

بركة الكلمات في مناقب بعض السادات

** ** **